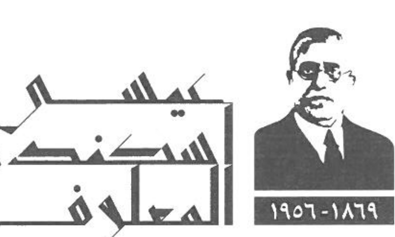
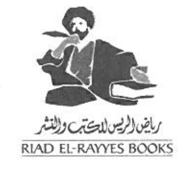



تاريخ الاسر الشرقية

١ - المقدمات

تحرير و إشراف
فوّاز طرابلسي


رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

A HISTORY OF EASTERN FAMILIES

Volume One: Introductions

By

Issa Iskandar Maalouf

Editor: Fawaz Traboulsi

First Published in January 2007

BEIRUT- LEBANON
elrayyes@sodetel.net.lb . www.elrayyesbooks.com

ISBN 9953-21-234-1

تصميم الغلاف: جنى طرابلسي
الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير ٢٠٠٧

المحتويات

تقديم

أخيراً،

بعد نحو نصف قرن على وفاة مؤلفه، وبعد عشرين سنة من العمل على تحرير النص والبحث له عن ناشر ثم طباعته، ها هو «تاريخ الأسر الشرقية» في متناول القرّاء. يصدر القسم الأول منه متضمّناً ستة أجزاء عن أسر لبنان تتصدّرها المقدمات وتواريخ الشعوب بعامة، على أن يليه القسم الثاني وهو يضم أسر سورية وفلسطين والأردن والعراق والقبائل العربية ونبذاً من أسر مصر والمغرب.

عمل عيسى إسكندر المعلوف (١٨٦٩ ـ ١٩٥٦) على «تاريخ الأسر» خلال حياته الطويلة كلها. وهو يعترف بأنه كان شغوفاً بأصول الأسر منذ نعومة أظافره. وقد قاده هذا الشغف إلى البحث ابتداء من العام ١٨٩٣ عن أصل أسرته، فاكتشف أصلها الغساني اليماني، وتتبع انتشارها في أنحاء المشرق العربي انطلاقاً من خزّان التوزيع الرئيسي للأسر اللبنانية، والمسيحية منها خاصة، في سهل حوران. نجم عن ذلك البحث كتابه «دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف» الصادر عام ١٩٠٨.. ولما كان

المعلوف قد اكتشف خلال إعداده «الدواني» شبكة واسعة من العلائق بين أسرته وبين عدد من أسر لبنان وسورية، قرّر توسيع مشروعه وتدوين تواريخ الأسر اللبنانية والسورية في تأريخ عنونه «الأخبار المروية عن أسر لبنان وسورية». ومع الوقت تطوّر المشروع فلم يعد يقتصر على الأخبار المروية بل شمل الأخبار المدوّنة أيضاً، وفاض عن لبنان وسورية ساعياً إلى تغطية ما استطاع الوصول إليه من أخبار أسر فلسطين والعراق وقبائل الجزيرة العربية ومصر والمغرب فصار العنوان «الأخبار المدوّنة والمروية عن تاريخ الأسر الشرقية».

كثيراً ما تذمّر المعلوف من إهمال أو تقصير العديد ممن اتصل بهم طالباً تزويده بما لديهم من مرويات أو مدوّنات عن أسرهم. على أن العقبة الأكبر التي اعترضته كانت عدم عثوره على ناشر للكتاب. في عام ١٩٢٤ أصدر كرّاساً وزّعه على أرباب الأسر يحثّهم فيه على القيام بهذه المهمة الوطنية على اعتبار أن «تاريخ الوطن هو تاريخ سكانه» مبيّناً أن دور تدوين تاريخ الأسر قد آن بعد قرون سادتها أدوارُ الرواية الشفوية. فجدد دعوته إلى جميع أبناء الأسر تزويده بتواريخ أسرهم «دعوة عامة غير مقتصرة على طبقات معلومة. وفتحتُ أبواباً رحبة في كتابي لكل بحث يأتيني منهم على اختلاف طبقاتهم ومواطنهم وأصولهم ومذاهبهم ليكون التاريخ معجماً للأسر.» ثم ختم طالباً إلى أرباب الأسر الاشتراك بالكتاب وإرسال القيم النقدية مقدّماً لكي يتمكن من طبعه. في عام ١٩٤٦ كان المعلوف لا يزال يحاول طبع كتابه ويأسف لأنه لم يتمكن بعد من ذلك لأن معظم الأجوبة التي تلقّاها على كرّاسه كانت تقول «إنسخ لنا عيلتنا وأرسلها لنا فإن كانت موافقة نشترك». وتوفي المعلوف بعد عقد من ذلك والكتاب لم يجد طريقه إلى النشر وقد «حمل همّ نشره حتى وفاته» حسب تعبير ابنه الشاعر الراحل رياض المعلوف في مقدمته لهذا الكتاب.

إذا لم يكن المعلوف قد نجح في نشر كتابه خلال حياته فقد حقق أقلّا الهدف الأول من سعيه، وهو تدوين أكبر قدر من المرويات عن أصول

العيل ومشجّراتها وأسباب مهاجرتها وتفرّقها وأماكن استيطانها. ولم يكتف المؤلف باستدراج المساهمات الكتابية بالمراسلة مع أبناء الأسر أو أعيانها، بل طاف على القرى والبلدات والمدن منقّباً عن أصول أسرها وأسباب ارتحالها. ولما كان جعرافياً وآثارياً إلى كونه مؤرخاً، عرّف بتلك القرى والبلدات والمدن من تلك الأوجه جميعها. ينطبق هذا الأمر بنوع خاص على لبنان وإلى حد ما على سورية حيث سكن المعلوف دمشق خلال فترة الحكم الفيصلي عاملًا في «قسم الترجمة والتأليف» التابع للحكومة العربية، ثم أخذ يتردد إليها بانتظام بما هو عضو في المجمع العلمي العربي.

يبسط لنا المؤلف في مقدمته لـ «دواني القطوف» منهجه في التدوين والتحقيق:

«فدوّنت ما وقع عليه الاختيار غير معتمد على مجرد الرواية ولا واثق بصحة النقل بل كنت أقيس الحوادث بأشباهها. وأعرض الروايات على أصولها. وأستقري جميع دقائقها وأطرافها ليجيء المروي من تقاليدهم موافقاً للحقيقة. ولتكون الأخبار متواترة لا يمكن تواطؤهم على اختلاف مع تباين المكان والزمان. والمرويات مؤيدة بالبراهين اعتماداً على ما اشتهر من الأسانيد وذهاباً إلى التحقيق والتثبت. فأمعنت في التنقير والتنقيب ولا ظهير لي إلّا الجَلَد والثبات. وبالغتُ في التمحيص والتدقيق ولا دليل لي إلّا قديم المخطوطات. حتى صار ذلك شغلي الشاغل. ومدار حديثي في المحافل».

وإذ يؤكد أن المزلق الرئيسي للمؤرخين هو التشيّع والتغرّض، يواصل قائلًا:

«وكثيراً ما وقفتُ عند تعديل الروايات وتجريحها وقفة المسافر يشكو وعورة الطريق وهو نازع إلى استشراف ما وراء ظلّ الخفاء، فكنت إما أستسهل الصعب وأطأ أعراف العوائق متابعاً السير إلى الوجهة التي اخترتها فأظفر بالمراد. وإما أرجع على أدراجي خشية أن أضلّ سواء السبيل وأهبط إلى مهاوي التخليط في الروايات فأخلد إلى السكون وفي نفسي ما فيها من

حب التطالّ إلى استطلاع المجهول واستكشاف المستور فأرجىء البحث فيه إلى أن يفتح الله عليَّ بما هو أسدّ منهجاً وأثبت حكماً». (**دواني القطوف**، ص ٤ و٥).

ويسهل على القارئ قياس ضخامة الجهد الذي بذله المؤلف على هذا العمل الموسوعي الذي نال شهرة واسعة قبل أن ينشر. إذ أراد أن لا يقتصر على التأريخ لأسر الأعيان والسادة والأشراف ورجال الدين، فسعى إلى التأريخ لأكبر عدد ممكن من الأسر العامية التي ليست تدّعي أي نسب شريف أو مرتبة دينية أو مقام اجتماعي. وهذا ما ميّزه عن تواريخ الأسر التقليدية السائدة حتى تلك التي أنتجها مجايلوه. بهذا المعنى، هذا الجهد الموسوعي هو تجميع لمواد خام ومواد مشغولة تتعدى إشباع فضول أبناء الأسر إلى أصول أسرهم، لتقدّم مساهمة قيّمة في علم الأنساب أولاً وفي علوم الاجتماع والجغرافيا والتاريخ والإناسة تالياً.

❋ ❋ ❋

«النسب لغة القرابة»، يقول المعلوف، «واصطلاحاً علمٌ يعْرَف به أصول القبائل وفروعها بقواعد معلومة عند أصحابها». لماذا تهتم الأسر بأنسابها؟ يجيب المعلوف «للتناصر بالعصبية وللتفاخر بالأجداد». في هذا التعريف يعيّن المعلوف أمرين: العلم الذي هو مجموعة قواعد معرفية، والوظيفة العملية. من وحي هذا الجواب، يبدو لنا أن ثمة مجموعتين من الأسباب تفسّر ذاك الاهتمام. في باب «التناصر بالعصبية» يعيّن النسبُ «العصبَ»، وهو عندنا الانحدار الأبوي بما يخدم تغليب الزواج من ابنة العم وابن العم - حصراً للأملاك داخل الأسرة - كما يخدم الحشد والتعبئة للعمل كما للقتال. كذلك يسمح النسب بتعيين «الكفاءة»، أي «المزاويج» حسب التعبير العامي، وهم العائلات التي تجوز مصاهرتها (في عملية تبادل النساء). وأخيراً وللأسباب ذاتها يعيّن النسب آليات التوريث. وأما «التفاخر بالأجداد» فهو العنصر الإيديولوجي في القرابة لأن الإديولوجيا إن هي إلّا توطين لعناصر من الحاضر في الماضي.

تلك هي بعض من مجموعة الأسباب الثابتة لاهتمام الأسر بأنسابها ولتدوين قوائم الأنساب ومشجراتها. على أن الأسر والجماعات ليست تهتمّ بالبحث عن أصولها وتدوين قوائم أنسابها على نحو متواصل وعلى وتيرة واحدة. تتفاوت نسب الاهتمام والوتائر حسب الأحداث والظروف والفترات التاريخية.

لماذا تهتم الشعوب في مراحل معينة وليس في أخرى بالبحث عن أصولها وتدوينها؟ تلعب الكوارث الطبيعية والمجاعات والحروب دوراً بالغ الأهمية في ذلك الدافع حيث التدوين مقاومة للموت والفناء وأمل في تواصل النسب والسلالات. وهنا تكمن الأسباب المتحولة إذ ينضاف إلى الطوارئ المذكورة أعلاه سبب آخر أقل درامية من الكوارث والمجاعات والحروب وإن يكن ليس بأقل أهمية منها في الاجتماع البشري. إنه البحث في النسب عن عناصر للهوية الاجتماعية للأسر المعنية وبالتالي عن مسوّغات لتمايزها الاجتماعي وبالتالي لموقعها من السلطة. وغالباً ما يتصل هذا الدافع بلون من ألوان الحراك الاجتماعي من مثل ارتقاء فئة اجتماعية جديدة في سلّم التراتب الاقتصادي - الاجتماعي أو السياسي أو حتى الثقافي أو وصول طاقم سياسي إلى السلطة. وفي كلا الحالين، تبحث تلك الفئات والأطقم عن تشريع مواقعها الجديدة بتوطينها في أصول راسخة في الزمن.

إذا كان المعلوف اعتزم رحلة فردية بحثاً عن أصل عائلته، إلّا أنه ما لبث أن التقى خلال ذاك حاجة اجتماعية مزدوجة. وجهها الأول الإقبال المتزايد على تدوين قوائم الأنساب في منطقتنا فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى. وهو أمر زاد من إلحاحه ما لحق بلاد الشام، والمناطق التي سوف يتكون منها «لبنان الكبير» خصوصاً، من مآسي الحرب والمجاعة والهجرة مجتمعين. وأما الوجه الثاني للحاجة إلى تدوين قوائم الأنساب فهو التحولات الاقتصادية الاجتماعية التي عرفتها بلاد الشام في أواخر العصر العثماني، في انعكاسها على البنية العائلية ذاتها وعلى العلاقات المتبادلة بين العائلات داخل التراتب الاجتماعي. فقد شهدتْ حقبةُ «ما بعد التنظيمات

العثمانية» رسملة متسارعة تحت وطأة التغلغل الكولونيالي وانهيار النظام المقاطعجي وانحسار اقتصاديات الاكتفاء الذاتي الريفي وضمور أو حتى انهيار عدد من الحِرف التقليدية وما رافق ذلك من حراك اجتماعي كان من أبرز مظاهره نمو الإنتاج السوقي العائلي الصغير في الزراعة وصعود طبقة وسطى جديدة، ناشطة، لها فرعان رئيسيان: تجاري مترسمل ومهني محمول على رأس المال الثقافي (التعليمي). وكان أبناء تلك العائلات يبحثون عن مواقع لهم في التراتب الاجتماعي داخل بيئاتهم المباشرة (القرية، البلدة، المدينة) من جهة وفي الحياة العامة لبلدانهم من جهة أخرى. أو هم قد حققوا تلك المواقع وباتوا يبحثون لها عن تشريع وتوطين في الماضي.

لم يكن المعلوف بغريب عن تلك التحولات وانعكاساتها ابتداءً في الحاضرة التي انتقل إليها ليتزوّج ويعمل ويقضي باقي حياته فيها. فقد انتقلت زحلة من مجموعة أحواش داخل حمى الإقطاع الدرزي إلى عاصمة اقتصادية لسهل البقاع - قبل أن تصير العاصمة السياسية والإدارية - فاستقلت عن آل بللمع، الأسرة المقاطعجية المسيطرة على البلدة، وطردت آخر الأسر الدرزية فيها، وأوكلت القيادة، في «عاميتها» عام ١٨٥٧، إلى وجاهات جديدة من الأسر الكاثوليكية نمت من خلال الوظيفة العسكرية - التجارية هي «العِيَل السبع» (أو الثماني إذا أضفتَ إليها أسرة أرثوذكسية لا تقلّ وجاهة).

طبعاً، لم يكن هذا النضال التأسيسي لوجاهات جديدة في مواجهة التراتب المقاطعجي ليقتصر على الحاضرة الزحلاوية، أو المناطق التي سوف يتكون منها لبنان الكبير، وإنما انداح على حياة بلاد الشام بأسرها. وفي كلا الحالين، كان السعي إلى توطين المال والعلم المكتسبَين أساساً للجاه، بديلًا من الولادة والوراثة.

وشكلت القبيلة البدوية العربية - وإن تكن قبيلة رعاة ماشية - في كثير من تلك الحالات - «أصلًا» للعائلات يمكن التفاخر به. فللقبيلة نسبٌ

محقّق وللقبيلة مجموعة قيم - مفترضة أو حقيقية - منها الكرم والفروسية والشجاعة والنخوة وحماية الضعيف ونجدة المحتاج، إلخ. وهي قيم أمكن استيعابها في مجتمع حديث، ريفياً أكان أم مدينياً. وطالما أن عدداً كبيراً من الأسر التي طاولتها أبحاث المعلوف كانت أسراً مسيحية مشرقية، فقد استحال عليها بالطبع أن تدّعي الانتماء إلى سلالات السادة والأشراف ولا حتى إلى نقباء المهن أو علماء الدين وكبار موظفي الإدارة وما إلى ذلك من المواقع الاجتماعية المرموقة العائدة إلى العهود السابقة. ولم يكن هذا الانتساب إلى الأصول القبلية بجديد في بلاد الشام التي عرفت انقساماً دام قروناً في الدوائر المتنازعة على الموارد والسلطة والجاه بين عصبيتين، واحدة تدّعي قبائلُها وأسرها المتحالفة الانتساب إلى جنوبي الجزيرة العربية والأخرى إلى شماليها. ولا كان غريباً أن يهتم عيسى المعلوف بالنزاع القيسي - اليمني إلى درجة أنه خصص لتلك الظاهرة نصاً لا يزال مخطوطاً كمعظم نصوصه.

على أنه كما في حال الانتساب إلى القيسية أو اليمنية الذي ما كان إعلاناً لنسب دم أو صلة رحم بقدر ما كان إعلاناً لاعتصاب إلى جماعة وتبعية لرئاسة، كذلك الأمر بالنسبة إلى العديد من حالات انتساب الأسر التي يعالجها هذا التاريخ. فمعظم الأصول والأنساب «مخترعة» ومعظم الأجداد، فيما يتجاوز الأجداد المباشرون المحققون، إنما هم أجداد أسطوريون. بل إن الآية باتت مقلوبة الآن في استعارة الشجرة. فإذا جاز لنا التعبير، قلنا ليست الجذور هي التي تتحكم بالفروع إنما هي الفروع التي تبتكر لنفسها جذوراً. والمعنى هنا أن التحالفات والمصاهرات بين الأسر والجماعات في الحاضر أو الماضي القريب هي التي تبتكر «أصلًا» مشتركاً لها لمزيد من التضامن فيما بينها وللتمايز عن سواها. وهذا ينطبق على الأسر بقدر ما ينطبق على الشعوب، بالمعنى العام الواسع للكلمة. والمثال الذي يحتذى به هنا هو الروايات الدينية التوحيدية عن أصل البشر. أكانت رواية آدم بما هو الجدّ الأكبر، أم بالنسبة لأجداد

متوسطين، من مثل عدنان الجد الأسطوري لعرب الشمال وقحطان، الجد الأسطوري لعرب الجنوب. والتمييز هنا ليس جغرافياً فقط وإنما هو وظائفي ـ اقتصادي أيضاً وخصوصاً، بين القبائل المستقرّة وقبائل الرعاة المتنقلين.

هكذا نفهم لماذا لا يعترف علم الإناسة الحديث بما يفوق الجد الثالث من نسب. ولكن لا حاجة للإيغال في علم الإناسة لتعيين الوظيفة الإديولوجية للنسب ما دامت لدينا عبقرية ابن خلدون في مقولته الكاسحة اللامعة «النسب عِلمٌ لا ينفع وجهالة لا تضرّ». ماذا يعني بذلك؟ لا ينفع النسب بما هو علم لأنه بعد عدد من الجدود يبعد النسب ويختلط بل تنقطع صلته بالحقيقة أي يصعب أو يستحيل التحقق منه. من هنا أن الجهل به لا يضر. أما ما ينفع فهو وظيفة النسب. ونفع تلك الوظيفة كامن في التمثيل على صلة الأرحام من أجل شدّ أواصر العصبية، أي من أجل خضوع المُتعصبين في نصاب واحد لقوانين وأعراف ورئاسة واحدة ومصير واحد. أما ما عدا ذلك فوهم وأضغاث أحلام على ما يقول شيخنا صاحب «المقدمة»:

«إن النسب إنما فائدته هذا الالتحام الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة والنُعْرة وما فوق ذلك مُستغنىً عنه إذ النسب أمرٌ وهمي لا حقيقة له ونَفعه إنما هو في هذه الوصلة والالتحام» (ابن خلدون، **المقدمة**، ص ١٢٩).

ويضيف بعد قليل:

«... إن النسب إذا خرج عن الوضوح وصار من قبيل العلوم ذهبت فائدة الوهم فيه عن النفس وانتفت النعرة التي تحمل عليه العصبية فلا منفعة فيه حينئذٍ.»

لاحظْ أن ابن خلدون يكرّر مصطلح «الوهم» مرّتين بالمعنى ذاته في مقابل «العلم». فتكمن فائدة النسب، بما هو «وهم»، لا في قيمته المعرفية، التي لا تساوي شيئاً عندما يبتعد النسب ويغمض، وإنما في قيمته

العملية بما هو ـ الوهم ـ استعارة لصلة الأرحام تبعث على النُعرة (الذود عن أفراد الجماعة والتضامن) التي تحمل العصبية.

ولهذا السبب بالذات، يشدّد ابن خلدون على أن الغلبة في الرئاسة إنما هي للعصبية لا للنسب (**المقدمة**، ١٣٢)، يسمح بأن نعكس الآية فنقول إن الغالبين يخترعون ما يلائمهم من أنساب ومن أجداد تسويغاً لرئاستهم وتشريعاً لها وتدعيماً.

* * *

على أن التنسيب يقوم على مفارقة جدلية من نمط آخر. فهو يسعى إلى تأصيل الأسرة في أصل وموقع راسخين. فلا يقتصر التنسيب على العودة إلى الجدّ الأول لتأسيس التضامن العائلي على الماضي، بل يروم تعيين المكان الأول للغرض إياه. وهذا ما تدل عليه تشكيلياً صورةُ الشجرة حيث المشجّرات العائلية تعبير «طبيعي» عن العمارة الأسرية: جذور ـ هي الأبعد غوراً في الزمن ـ وجذع ـ هو عمود الثبات والتوصيل في آن معاً ـ ثم فروع متفرقة وأخيراً أوراق منتشرة في المدى. ولكن يتعيّن على التنسيب أن يفسّر نقيض الأصل والموقع أيضاً. فلما كان المكان الأول محاطاً بكل هذه الرهبة القدسية ـ لنتذكر آدم وحواء في الجنة ـ بات لزاماً على التنسيب أن يفسّر الانتقال والمهاجرة، أي لماذا ومتى وكيف بارح القوم المكان الأول. إن كل قصة تنسيب هي قصة مبارحة، وكل قصة مبارحة هي قصة خروج من الجنة. هنا تضطرب كناية الشجرة. فالجذور لا تمشي، على ما يقول معلوفيّ آخر هو الروائي أمين المعلوف الذي آثر ترجمة عنوان روايته الأخيرة عن أسرته «بدايات» بدلًا من «أصول» أو «جذور». حتى إننا نستطيع القول إن كل تنسيب هو رواية اقتلاع من الجذور. وهنا، للمناسبة، يكمن الفارق بين نظرتين للهوية، واحدة تشدد على الصيرورة التي هي تعريفاً مسار ارتحال وانتقال ـ وأما الثانية فمنشدّة إلى الماضي، تلتزم الثبات واللاحركة. ولكن هذا حديث آخر.

مهما يكن، تتعدد أسباب المبارحة ودوافعها. وهذه هي قائمة المعلوف: الكوارث الطبيعية، الأوبئة، القحط، الاضطهاد، الحروب، الاسترقاق، ازدحام الناس في محل واحد، التملص من دفع الجزية والضرائب وطلب الرزق وحُب الاستعمار والفتح، وأخيراً ليس آخراً ما يسمّيه «تأثير النساء». على أن المؤلف يؤكد أن الارتزاق هو الأهم بين أسباب المهاجرة قاطبة. علماً أنه العامل الذي يرد أقل من سواه من العوامل في المرويات. كأن الناس تخجل من أن تعزو مبارحتها الموقع الأصلي لمجرد طلب الرزق، فتعمد إلى نوعية من التفسيرات أكثر دراماية وخطورة مثل النزاعات النمطية ـ معظمها يدور مدار «الشرف» كما سنبيّن بعد لحظة ـ والأسطرة. والعلاقة وثيقة بين الاثنين. فالأسطرة وسيلة استثنائية لحل النزاعات في الوهم.

أهم النزاعات الواردة في مرويات هذا التاريخ هي النزاعات داخل الأسرة الواحدة ـ على الإرث مثلاً ـ أو النزاعات بين العائلات والقبائل والمذاهب الدينية المختلفة. في تلك النزاعات جميعها تحتل النزاعات المتعلّقة بتبادل النساء المكان الأبرز (من رفض التزويج لعدم الكفاءة إلى الخطف والزواج ضد إرادة الأهل، وما بينهما من إساءات مختلفة تتعرّض لها نساء القبيل) وهي النزاعات التي تنتمي إلى المجال الذي أسماه المعلوف «تأثير النساء» حيث يدخل الشرفُ النزاعات من بابها العريض. وقد تفضي النزاعات إلى إراقة الدم وتحريك آليات الثأر أو تجديدها. وحوادث الثأر أو القتل ذوداً عن شرف مثلوم دافع أساسي من دوافع مبارحة المكان الأصلي والمهاجرة.

أما التأويل الأسطوري للتفرّق والمهاجرة فالتمثيل عليه غزير. يبدأ الأساس الأسطوري للمهاجرة مع أسطورة طرد إبراهيم ابنه إسماعيل لحرمانه من الميراث خلال وليمة فطام ابنه إسحق. وغني عن البيان أن طرد الابن من البيت الأبوي هو نظير طرد الله الإنسان من الجنّة، أي أعنف عقاب حلّ بالإنسان منذ أن كان. ويمرّ التأويل الأسطوري بالنزاع

الأول بين قايين وهابيل الذي انتهى إلى الجريمة التأسيسية وإلى المبارحة. وجدير بالملاحظة أن الهجرة ليست سلبية دائماً حتى في الأسطورة. بل إن الهجرة قد تكون تفسيراً لأحداث وتطورات شديدة الوقع والأهمية. ذلك أن طرد إسماعيل في المرويات العربية ارتبط ببناء الكعبة وبولادة نسل جديد من العرب بل هو ارتبط بولادة اللغة العربية ذاتها لتخلّف اللغة السريانية والآرامية التي كانت لغة أبي إسحق، إبراهيم. ومن جهة أخرى، ثمة أسطرة لمهاجرة المكان تردّها إلى كوارث طبيعية كما في حادثة انهيار سد مأرب تفسيراً لتفرّق القبائل اليمانية. علماً أن انهيار السدّ لا يمكن أن يفسّر بمفرده المهاجرة والتفرّق لكل ذاك العدد من القبائل وفي آن واحد. وهذا على كل حال شأن كل أسطرة: تأخذ جزءاً من حادثة أو واقع وتغيّر سياقه وآليات السرد.

* * *

في خلاصة القول، يتميّز الجهد بعض ما يتميّز بما يأتي:

أولاً، أول ميزة لهذا التأريخ هي ما أسلفنا من أنه لا يقتصر على أسر الأعيان والأشراف وإنما يسعى للإحاطة بتواريخ الأسر العامية.

ثانياً، يقدّم المعلوف بيانات عديدة عن الأصول العربية لعدد كبير من الأسر اللبنانية بما فيها الأسر المسيحية. وهذا ما يؤكد في الآن ذاته أن الاتجاه الرئيسي للهجرات السكانية التي عمّرت المناطق التي انضوت عام ١٩٢٠ في لبنان الكبير وفدت من الداخل نحو السهل فالجبل فالساحل.

ثالثاً، إذا كان الوفود إلى المناطق اللبنانية جاء من الشرق نحو الغرب، فالحركة السكانية الداخلية اتجهت من الشمال نحو الجنوب. وهي بالدرجة الأولى حركة نزوح مسيحيين من شمال جبل لبنان نحو جنوبه (المتن والغرب والأشواف والأقاليم).

رابعاً، يوفر «تاريخ الأسر الشرقية» العديد من الأدلّة على كثافة ظاهرة

تبديل الهوية المذهبية أو الطائفية للأسر والمواقع اللبنانية. وهي عمليات تبديل تمت لاعتبارات سياسية أكثر منها دينية إيمانية. فسوف تلقى فيه معلومات وحوادث عديدة عن إسكان نصارى مكان مسلمين في أجزاء رئيسية من جبل لبنان وما قد استتبعه من تنصّر عائلات إسلامية، شيعية وسنّية. كما سوف تلقى، عكساً وإن يكن بدرجة أقل، ظاهرة إشهار أسر أو أفراد من أسر مسيحية إسلامهم.

خامساً، من حيث المنهج، نحن في إزاء نص مخضرم لمؤلف هو نفسه مخضرم بأكثر من معنى. يغادر المعلوف التواريخ التقليدية المعنية بتنسيب أسر الأشراف والأسياد والأعيان وحدها ويدخل عالم الأسر العامية، كما أسلفنا. بل إن المعلوف يكسر، حيث وجد المادة الملائمة، تقليد النسب الذكوري بإيراد أسماء الأمهات والبنات في قوائم الأنساب والمشجّرات. والمعلوف مؤرخ مخضرم أيضاً لأنه سعى إلى الإفادة من العلوم التاريخية الحديثة واهتمامه بفلسفة التاريخ إضافة إلى رسوخ أبحاثه في المنهجيات التراثية.

سادساً، هذا النص متفاوت. صحيح أنه يسعى إلى الشمول المشرقي إلّا أنه مختلّ لصالح لبنان ثم لصالح سورية. حتى في هذين البلدين، فبين أيدينا هو ما استطاع إليه المؤلف سبيلاً. فتلقى مثلاً ضعفاً وشحة في البيانات والمعلومات عن أسر المدن الساحلية: طرابلس، بيروت، صيدا وصور. وثمة اختلال أيضاً من حيث المواضيع. فتجد بعض المواضيع مستوفاة بل ومضخمة مثل تاريخ الغجر وتاريخ اليهود قياساً إلى تواريخ الشعوب الأخرى. أخيراً ليس آخراً، يتم التفاوت على حساب الإحاطة بمختلف الجماعات الدينية اللبنانية بنسب تعكس حجمها الفعلي إلى عدد السكان. لكن من يطالب المعلوف بذلك إنما يطالبه بإحصاء للأسر اللبنانية، وهو جهد تقصّر عنه مؤسسات وإن يكن أن ما من مؤسسة غامرتْ حتى الآن في خوضه. وليس أعظم تكريماً لشيخنا المعلوف من أن نقول إن ما من مؤلِفٍ في حياته وبعده، أي خلال نصف القرن الذي مرَّ

على وفاته، أصدر ما يقارب هذا الجهد الموسوعي، من حيث حجمه وانفتاحه على كافة مكوّنات المجتمع اللبناني، بقدر ما كان ذلك ممكناً في مطلع القرن العشرين وانطلاقاً من منطقة البقاع وعلى يد مدرّس محدود الدخل والإمكانات وإن يكن عظيم الجلَد واسع الأفق.

مهما يكن، فإن «تاريخ الأسر الشرقية» إن هو إلّا غيض من فيض من نتاج عيسى اسكندر المعلوف. صحيح أنه عمل طوال حياته عليه إلّا أنه أنتج خلال ذلك عشرات المؤلفات ومئات المقالات والرسائل ناهيك عن المحاضرات في عدد لافت من حقول العلم والمعرفة. وكما يتجلّى من سيرته ومؤلفاته المثبتة في هذه المقدمات ـ من إعداد ابنه الشاعر الراحل رياض المعلوف ـ فقد ألّف عيسى المعلوف في اللّغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والآثاريات والثقافة الشعبية والموسيقى والتربية والمرأة والرياضيات. وما من شك في أن هذه الإحاطة الشمولية ـ التي استحق عليها لقب «العلّامة» ـ مردّها انتماؤه إلى الورثة المباشرين لنهضويي القرن التاسع عشر.

طبعاً تحتل الأعمال التاريخية الجزء الأكبر من نتاج المعلوف. إلّا أنها تاريخية بالمعنى الأوسع للكلمة. أولى المعلوف اهتماماً للتواريخ العامة بقدر اهتمامه بالتواريخ المحلية ـ المتن، البقاع، وادي التيم، زحلة، أنطاكية، حوران، دمشق، صيدنايا، إلخ. ـ والتواريخ الشخصية. ففي هذه الأخيرة يقع تأريخه المرجعي للأمير فخر الدين المعني الثاني والأمير بشير شهاب الثاني، وهو أول المؤرخين الحديثين الذي عرّف بضاهر عمر في فلسطين. كذلك عني بالبحث في تاريخ وواقع ومعتقدات الجماعات والمذاهب المسيحية والإسلامية. وقد عمل على التواريخ المهنية أيضاً، وأبرزها تاريخ الطب عند العرب وتاريخ الصناعات الدمشقية. على أنه يجدر التشديد أيضاً على حقول حظيت من مؤرخنا بعناية خاصة وإسهامات مبتكرة. فعيسى المعلوف واحد من روّاد علم الفولكلور الحديث في منطقتنا، ألّف في العادات والتقاليد الشعبية وحللها.

وقد جمع مئات الصفحات من الشعر العامي بمنوعاته المختلفة، وكان من أوائل من اشتغل على ردّ العامي إلى الفصيح وكتب محللاً أسماء الأشخاص والأماكن.

من أسف أن القسم الأكبر من هذه الأعمال لا يزال مخطوطاً.

كتبت في مكان آخر (**صورة الفتى بالأحمر**، بيروت، رياض الريّس للكتب والنشر، ١٩٩٧) عن علاقتي بعيسى إسكندر المعلوف بصفتي الحفيد، وعن ذكرياتي معه التي صرمها الزمن وأنا بعد في المراهقة. لن أكرّر هنا ما قد قلته في ذاك الكتاب. أريد فقط أن أكرّر الدّين الذي في ذمتي للجدّ على ما علّمني إياه من حُبٍّ للكُتُب وفضول وشغف بالبحث والتنقيب والمطالعة المكلّلة كلها بالتواضع العلمي.

* * *

طبعاً، لا معنى للحديث عن «تحقيق» هذه المخطوطة بالمعنى المتعارف عليه علمياً. فلا التحقق مما ورد فيها من معلومات وبيانات وأنساب ممكن ولا هو مطلوب أصلاً. الأحرى أننا عمدنا إلى تحرير النص وإعداده للطبع. وقد عنى ذلك مقداراً من إعادة التنظيم بما يسهّل قراءته واستخدامه كموسوعة للعائلات المشرقية.

كان المخطوط في الحالة التي انتهى إليها عند وفاة مؤلفه، ولم يتغيّر طبعاً بعد الوفاة، ينطوي على هيكل مبدئي جرى تجاوزه من خلال تراكم لصفحات ونُبذٍ دسّها المؤلف في المخطوطة على أمل نقلها إلى الأمكنة الملائمة لها عند دفع المخطوط للطبع.

حاولنا الالتزام ببنية الكتاب تلك قدر الإمكان، **وهو القائم** على التوزيع الجغرافي للأسر حسب انتماءاتها إلى الأقطار العربية وسكناها قرى كل قطر وبلداته ومدنه، أو حسب انتماء الأفراد والجماعات إلى هذه أو تلك من العشائر والقبائل العربية المتنقلة عبر الأقطار. أما بالنسبة إلى لبنان فقد جرى اعتماد القضاء بما هو وحدة التصنيف. على أن هذا الترتيب لا

يلغي الاستثناءات. أولها، أن الأقضية والمناطق اللبنانية الخمس الرئيسية ـ الشمال، الجبل، بيروت، البقاع، الجنوب ـ قد لا تتطابق تماماً مع المحافظات اللبنانية الحالية، لأن تنظيم الكتاب كان سابقاً على استقرار التنظيم الإداري النهائي لمحافظات «لبنان الكبير» وأقضيته وعلى توازع القرى والبلدات بينها. وأما الاستثناء الثاني، فهو أن موسوعة عن الأسر، موزّعة جغرافياً بدلاً من توزيعها الألفبائي، لا بد أن ترد فيها الأسرة الواحدة في غير موقع بين مَنشئها ومحطّ انتقالها أو محال استقرارها، ناهيك عن تفرّع أسر بين مواقع بل أقطار مختلفة وتعدد أسماء الأسر دون أن يكون بينها نسب، وهلمّ جرّاً. إن العاصم من البلبلة هنا هو الفهارس التفصيلية المثبتة في نهاية كل جزء وكل قسم.

ولما كان المؤلف ظل يعمل على النص على مدى عمر، نمت وتكاثرت معلوماته عن الأسر. هنا أيضاً اعتمدَ الإضافات. فتلْقى نُبذاً متعددة عن الأسرة الواحدة ولكن بتواريخ تدوين مختلفة، وعادة ما تحوي النبذة المتأخرة إضافة ما أو إضافات أو حتى تعديلات عن النبذة التي سبقتها. في معظم تلك الحالات تركنا النبذ على حالها حتى لو احتوت النبذة على معلومات مكررة. لم نغيّر في هذا الأمر البتة إلّا عندما أمكن دمج نبذتين. وقد عمدنا إلى الحذف فقط عندما كانت نبذةٌ تكراراً حرفياً لأخرى.

حافظنا على نسق الكاتب الترميزي قدر المستطاع. وضع المؤلف الهلالين المزدوجين «» تدليلاً على عنوان مجلة، والقوسين ( ) لعناوين الكتب وأحياناً لأسماء المواقع، قرية أو بلدة أو مدينة. من جهتنا، استخدمنا التنقيط الثلاثي الطليق... أو المحصور [...] للتدليل على وجود فراغ أو انقطاع في المخطوطة أو كلمة أو عبارة غير مفهومة. أما ما أضفناه من كلام أو تواريخ لملء فراغ في النص أو لاستظهار معنى أو توضيحه فوضعناه بين هلالين مستقيمين [ ].

* * *

تضافرت جهود ومساهمات عديدة من أجل إنتاج هذا الكتاب في الشكل الذي يصل فيه الآن إلى القرّاء. في البدء، تولى الشاعر الراحل رياض المعلوف يعاونه أفراد أسرته جميعاً، الزوجة سلوى والأبناء نجوى وحياة وأمل وإلهام وعيسى، مهمة استنساخ المخطوط الأصلي واستظهار ما غمض من كلماته والعبارات.

وتولى رودولف القارح وكامل موسى إخراج مجلدات متتالية من المخطوطة من زحلة المحاصرة بالحرب ونقْلها إلى بيروت ومن ثم إلى مَن حملها إلى المحرّر وقد كان في مدينة باريس حيث بذلت المحاولات الأولى للنشر.

تولّت الجامعية حياة القرى الجهد الأكبر من إعادة تنظيم مواد الموسوعة وتوزيعها على المحافظات والأقضية والعائلات اللبنانية والفهرسة الأولية لموادها.

ولا بد من التنويه هنا بالجهود الاستثنائية التي بذلها سهيل ناصر وفريقه الطباعي في استجلاء كلمات المخطوط وتنضيده. والأهم من ذلك رسم المشجرات بالوسائط الإلكترونية. ويجب تقدير جهود أمال ترحيني لإشرافها على الطبع وجهود الفهرسة النهائية ومعها كامل الفريق العامل في دار رياض الريّس للكتب والنشر، ومنه أيمن سنّو لجهوده في التدقيق اللغوي.

على أن هذا العمل لم يكن ليصدر أصلاً لولا قرار الصديق رياض الريّس خوض غمار مغامرة نشره معي، بعد أن تملّص منها كثيرون.

وإني إذ أشكر هؤلاء جميعاً أنزّههم مقدّماً عن أي خطأ، متحملاً بمفردي ما في هذا الجهد التحريري من ثغرات وأخطاء.

وأخيراً ليس آخراً، شدّ ما يحزّ في نفسي أن يصدر هذا التاريخ دون أن تتكحل عينا رياض المعلوف برؤيته منشوراً. فإلى ذكرى الخال العزيز أهدي هذا الجهد.

فوّاز طرابلسي

بيروت، أيلول ٢٠٠٥

مقدمة

هذه هنيهة من أسعد هنيهات حياتي أتاحها لي القدر عند نشر هذا المؤلف العميم الفائدة، الذي انتزع من حياة سيدي الوالد الخالد العلّامة والمؤرخ الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف أكثر سنيّ عمره النافع، وأعطاه نور عينيه كما وصف ذلك برثائه الشاعر أمين نخلة:

رُبّ سطرٍ لامعٍ في طرسهِ
بسواد الليل والعين أضاء
لا تبالِ اللون من أسودهِ
فالدم الأحمر والحبر سواء!
يا أبا التاريخ بلّغت ذرىً
لم تتح علياؤها للنظراء!
خير من صال ومن جال ومن
مهّد الرأيَ وآوى وأفاء...

ومما قاله أديبنا الأستاذ ميخائيل نعيمة: إن شمس أستاذنا لم تغرب، بل هي دائماً وأبداً مشرقة! ومن قول البحاثة الدكتور فؤاد البستاني: الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف علّامة كبير وبحاثة مدقق قلما نجد من أمثاله اليوم

في شرقنا العربي.

أما الشيخ العلّامة الشيخ سليمان الظاهر النبطية ٣ آب ١٩٥٦: «والدكم العلّامة المحقق المدقق نابغة لبنان بل الأمة العربية وحجة العصر».

ودولة الرئيس الأستاذ فارس الخوري أرسل برقية تعزية من بلودان ٣ آب ١٩٥٦: «بالأسف العميق أخذت برقيتكم التي تنعى أستاذنا الكبير وعالمنا القدير والد أنجالكِ البارزين وهم نوابغ العصر ومفاخر الأمة العربية». وبقاعة ـ الأونيسكو ـ بيروت ٦ حزيران ١٩٥٩ رثاه مفكرنا الأستاذ راجي الراعي قائلًا: «وأنتَ يا لبنان هاتِ لعلّامتكَ العَلَم.. علم مجدكَ!.. هنا يستريح الجبّار الذي لم يمت.. هنا أودع التاريخ أميراً من أمرائه.. ودفنت اللغة عملاقاً من عمالقتها..» ونعته جريدة «الأهرام» الكبرى بالقاهرة في ٤ تموز ١٩٥٦: «علم من أعلام البيان العربي وعمدة من عُمُد التاريخ الأستاذ عيسى إ. المعلوف، فكان لنعيه وقعٌ أليم في المحافل العلمية العربية جميعاً وكانت مجالس الفقيد في القاهرة وغيرها من العواصم العربية مدارس يُقبل عليها أصدقاءهُ الراغبون في الاستفادة بعلمه».

وحمل المعلوف همّ نشر هذا التاريخ حتى وفاته!.. وكم انتظره المثقفون وأرباب هذه العائلات منذ عشرات السنين.. فحمداً لله وهنيئاً لنا وللتاريخ بهذا السفر الجليل الذي صدر ما بين لبنان بلد الحضارات، وباريس عاصمة النور والمدنية والبدائع.

وهذا المؤلف هو ـ همزة وصل ـ ما بين لبنان وشعوب العالم حيث انتشر اللبنانيون الجبابرة وملأوا الدنيا وشغلوا الناس، كالشاعر المتنبي! وهو الصلة التاريخية ما بين سائر شعوب الشرق خاصةً لما احتواه من سلالات بشرية واجتماعية وعلاقات حضارية تربط بعضهم ببعض ومهما شسعت المسافات وتباعدت الأقاليم واختلفت العادات والطبائع!

وهذا التاريخ أخذ من حياة سيدي الوالد الغالي سبعين سنة من العمل

الدؤوب والبحث والتدقيق. حتى إن معهد السوربون بباريس كلّف أستاذ الإسلاميات فيه المستشرق المعروف الصديق الأستاذ جاك بيرك، وذلك صيف ١٩٥٧ حيث زارني بمنزلي بزحلة وبعدما اطلع على هذا المصنّف الهام قال لي حرفياً: «إنني سأطيل حياة والدك بنشر هذا المؤلف». وممن الذين اتصلوا بي أيضاً البحاثة الدكتور فيليب حتي أستاذ المشرقيات بجامعة برنستون (أميركا) حيث زرته هناك صيف ١٩٣٨ ورغّبته بطبعه، فعرض عليّ تصويره (بالميكروفيلم) فتمنعت. وكذلك إدارة المكتبة الأميركية ـ ببيروت. وأخيراً ١٩٨٤ كان بود الدكتور عطية مدير القسم الشرقي (بمكتبة الكونغرس) بواشنطن زيارتي بشأن المساعي حتى الاتصال بمؤسسة (الأونيسكو) وكلّفت بطبعه صديقي الصحافي المعروف صاحب جريدة «النهار» الأستاذ السفير غسان تويني الذي كان فترة من الزمن ممثلًا للبنان بالأونيسكو، وأظن أن كل هذه المساعي المفيدة كانت هي الحافز إلى تحقيق هذا الحلم العظيم!

إذن للناشرين الكرام تحية إكبار وشكر على البادرة الطيبة التي أفعمتني مجداً وفخراً بأبي!.. وعذراً إذا ما قلت: «أين في الناس أبٌ مثل أبي!!» رحمه الله ورحم أنامله الخيّرة التي هي عشر منائر وضاءة في عالم الثقافة، والعلم، والتاريخ، والتي استنرنا بها جميعنا. وكما استنار بها المثقفون والباحثون ليس في لبنان وشرقنا فقط، بل في العالم كله!!

زحلة ـ لبنان ـ آذار ١٩٨٥

رياض المعلوف

العلامة عيسى إسكندر المعلوف

نشأته وأعماله

هو عيسى بن إسكندر بن الخوري إبراهيم بن عيسى بن شبلي المعلوف، من بني الأزد، العرب المعروفين بالغساسنة الذين جاؤوا حوران من اليمن، على أثر حوادث سد العرم وارتحال القبائل من صنعاء اليمن، كما جاء في كتاب «دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف»، المطبوع قبل الحرب العالمية الأولى في مجلد كبير تأليف عيسى. ثم جاؤوا لبنان في القرن الخامس عشر.

ولد في بلدة كفرعقاب المتن غرب بسكنتا في سفح صنين في ١١ نيسان ١٨٦٩، فدرس مبادىء العلوم في قريته ثم درس سنة واحدة في مدرسة الشوير مقابل قريته للإنكليز، وألمّ بدرسه على نفسه بآداب العربية وعرف الإنكليزية وبعض الفرنسية بمطالعاته. وانكبّ من صغره على الدرس وجمع الكتب، فأتقن العربية وعلّم في بلدته بمدرسة الآباء اليسوعيين بضع سنوات، إلى أن انتدبه المرحوم إبراهيم بك الأسود لتحرير جريدة «لبنان» في بعبدا مركز متصرفية لبنان الشتوي، فذهب إليها في أواخر سنة ١٨٩٠ فتولى تحرير الجريدة وتصحيح مطبوعات المطبعة العثمانية. وكان يساعده بتحرير الجريدة المرحوم جرجس زوين محرر جريدة «البشير» قبلاً. وتوفي

جرجس بعد مدة فانفرد عيسى بكتابة الجريدة وبقية أعماله المذكورة، فكتب مقالات كثيرة في الأدب والعمران والتاريخ، وكان يهبط بيروت ويحضر مجالس العلاّمة المرحوم الشيخ إبراهيم اليازجي مع خليل مطران وخليل البدوي محرر «البشير» ومجلة الكنيسة الكاثوليكية ونجيب المشعلاني وسليم سركيس محرر «لسان الحال» لعمه خليل ونجيب الشوشاني وغيرهم مرة أو مرتين في الأسبوع. وكذلك كان يجتمع بكثير من الأدباء مثيل شاكر شقير من الشويفات الذي كان يحرر زاوية في جريدة «لبنان» ويأتي بعبدا كل أسبوع. وكان المعلوف يزوره في الشويفات. ثم أقفلت جريدة «لبنان» بعد أن ظهر منها ٨٦ عدداً بعهد نعوم باشا خلف واصه باشا، فعاد المعلوف إلى مسقط رأسه كفر عقاب في أواخر سنة ١٨٩٢ مستريحاً من التعب لكثرة أشغاله في الجريدة وإدارتها.

وفي ٩ تشرين الأول سنة ١٨٩٣ انتُدِب لتدريس العربية والإنكليزية والرياضيات في مدرسة كفتين الأرثوذكسية في الكورة - لبنان. فصرف فيها أربع سنوات وألف فيها بعض كتبه وأنشأ روايات تمثيلية شعرية. وأقفلت المدرسة سنة ١٨٩٧ وصرف مدة في مدرسة دوما - البترون يدير شؤونها. وعاد إلى بعبدا سنة ١٨٩٨ فتزوّج بالسيدة عفيفة كريمة إبراهيم باشا المعلوف من زحلة، وبعد مدة جاء زحلة في نوّار ١٨٩٩ مشتغلاً بالتجارة، ثم انتدب للتدريس في سنة ١٩٠٠ بالمدرسة الشرقية فيها فكان أستاذ العربية والإنكليزية والرياضيات. فتخرج على يده كثير من الأدباء والأطباء والصحافيين الذين اشتهروا في الوطن والمهجر وألقى في هذه المدرسة خطباً ومحاضرات كثيرة؛ وأنشأ فيها (جمعية النهضة العلمية) لتمرين الطلبة على الخطابة والمناقشات العلمية وطبع أعمالها لسبع سنوات في كراس مع ذكر ما ألقي فيها من خطب. ثم أنشأ لهم جريدة «المهذب» التي طبعت مدة على الهلام (الجيلاتين) ثم صارت تطبع بالحروف التي أهديت إليها فحررها مدة ثم تركها وصار مدرساً في الأسقفية الكاثوليكية في زحلة. واشتغل بالتأليف وكتابة المقالات المختلفة المواضيع في كُبريات المجلات كـ «المقتطف» و«الهلال» و«المشرق» وغيرها.

ثم انتدب لترؤس مدارس الأرثوذكس في دمشق فخدمها باجتهاد وأسس هناك بإشارة غبطة العلامة الطيّب الذكر البطريرك غريغوريوس الحداد مجلة «النعمة» الشهرية

وحررها مدة طويلة. وكتب هناك مقالات كثيرة لجريدة «العصر الجديد»، وسافر إلى حلب وغيرها للبحث عن نوادر المخطوطات. ونشر رحلته هذه بمجلة «النعمة» ووصف مكاتب حلب ونفائسها. ثم عاد إلى المدرسة الشرقية ووضع «تاريخ زحلة» وطبعه. وألّف مؤلفات كثيرة وهو يكتب في المجلات والجرائد. وطُلِب لإدارة مدارس في القدس وحمص وبيروت لطائفته فاستقال وبقي في زحلة إلى سنة ١٩١٣ فانتدب للتدريس في مدرسة سوق الغرب الأميركية، وكان قد أنشأ مجلة «الآثار» فظهر منها ثلاثة مجلدات. ثم انتدب للتدريس بمدرسة ثلاثة الأقمار في بيروت فخدمها أشهراً وأعلنت الحرب الأولى. وحضر المؤتمر الصحافي في عاليه في أوائل سنة ١٩١٣ وكان من أعضائه العاملين.

ولما أعلنت الحرب عاد إلى زحلة وكان يدرّس بعض الطلاب في بيته ويشتغل بمؤلفاته ومكتبته جامعاً نفائس المخطوطات والمطبوعات فيها. وانتدبه إذ ذاك متصرف لبنان لتأليف «تاريخ لبنان» فكتب مع غيره مقالات جمعت في كتاب كبير. ومن مقالات المعلوف فيه «الأخلاق والعادات» و«أدباء لبنان» وغيرهما. وكتب مقالة في مجلة المجمع العلمي بدمشق الذي صار عضواً فيه بعد الحرب الأولى بيّن فيها أسماء الكتّاب الذين اشتغلوا بـ«تاريخ لبنان» هذا وأسماء مقالاتهم. وهو بقطع نصف كبير في ٥٧٦ صفحة برسوم جميلة وطبع متقن.

وفي ٨ شباط ١٩١٨ في أواخر الحرب الأولى عُيِّن عضواً في مجلس المعارف في زحلة مع زملائه من الأدباء وانتخب عيسى نائب رئيس هذا المجلس. وتوالت الجلسات برئاسته إلى نهاية الحرب.

فطلب عيسى إلى دمشق وعيّنه نائب الأمير فيصل شقيقه الأمير زيد عضواً في «شعبة الترجمة والتأليف» وذلك في كانون الثاني سنة ١٩١٨. وألقى محاضرتين في النادي العربي هما «الفلسطينيون عرب» و«السوريون عرب» ثم تحولت تلك الشعبة إلى «مجلس معارف» ثم إلى «مجمع علمي» وهو من الأعضاء العاملين فيها، وله آثار حسنة بتعزيز الخزانة الظاهرية وإنشاء المتحف في المدرسة العادلية التي اشتغل المجمع بإصلاحها ونقل إليها.

ولكثرة اجتهاده انحرفت صحته فاستقال في ٨ تموز ١٩٢٥، وعاد إلى زحلة بعد أن ألقى محاضرات كثيرة في ردهة المجمع العلمي الدمشقي والنوادي الأدبية في دمشق بمواضيع مختلفة، من أدبية وعلمية وتاريخية واجتماعية وعمرانية. وكان في زحلة يشتغل بالتأليف والمطالعة وترتيب خزانة كتبه الكبيرة ويضع تعاليق وفوائد في أوائل الكتب الخطية، ترشد المطالع إلى مؤلف الكتاب ونسخه ومحل وجودها ودرسها ونحو ذلك.

وفي أوائل سنة ١٩٢٨ عيّن عضواً في المجمع العلمي اللبناني في بيروت وكان يحضر الجلسات بأوقاتها ويلقي الخطب، ولكن هذا المجمع لم يطل عهده.

وفي سنة ١٩٣٤ عُيِّن عضواً في مجمع فؤاد الأول للغة العربية في القاهرة وهي سنة تأسيسه، فكان يحضر جلساته ويلقي الخطب ويكتب مقالات لغوية في مجلة المجمع ومجلات مصر وجرائدها، فكانت سفراته إلى مصر لحضور جلسات المجمع من سنة ١٩٣٤ إلى سنة ١٩٤٠ متوالية مدة ست سنوات إلى نشوب الحرب الثانية، فبقي عضواً عاملاً يراسله المجمع.

وفي ٧ كانون الأول ١٩٣٦ عيّن عضواً في مجمع التاريخ والآداب في مدينة نيتوراي عاصمة ولاية ريو دي جانيرو خاص باللغة البرازيلية، وذلك باقتراح الأستاذ الشاعر البرازيلي فنتورللي سوبرينيو من أعضاء ذلك المجمع.

وفي سنة ١٩٣٧ عيّن عضواً في المؤتمر العام للأدب العربي في تونس وراسلهم وراسلوه.

وألقى المعلوف المئات من المحاضرات في بيروت ومصر ودمشق وحلب وحمص وزحلة وغيرها كان يدعى إليها.

وفي ١٣ شباط ١٩٣٤ منحته الحكومة اللبنانية وسام الاستحقاق اللبناني. وفي صيف ١٩٣٦ منحته الحكومة السورية وسام الاستحقاق السوري. وسنة ١٩٣٧ منحه مجمع مصر العلمي الذي هو من أعضائه ميدالية المجمع. كما منحته الحكومة اللبنانية بعد الوفاة وسام الاستحقاق اللبناني برتبة فارس.

وفي ٦ حزيران ١٩٥٩، أقيمت له حفلة تكريمية ببيروت تكلم فيها فؤاد أفرام

البستاني، فؤاد صرّوف، الشيخ أحمد عارف الزين، الشيخ عبد الله العلايلي، عارف النكدي، راجي الراعي، أمين نخلة، شكر الله الجرّ، ورياض المعلوف. وكان عريف الحفلة نجيب ليان. وتليت فيه رسائل عديدة منها واحدة باسم المستشرق الفرنسي لوي ماسينيون.

وصدر مرسوم سنة ١٩٦٣ بتسمية شارع باسم عيسى إسكندر المعلوف في محلّة الصيفي ببيروت وشارع آخر باسم ابنه فوزي في رأس بيروت.

ولمناسبة الذكرى المئوية لولادة عيسى المعلوف أقيمت حفلة خطابية بقاعة الأونيسكو ببيروت في ١٥ تشرين الثاني ١٩٧٢ رفع خلالها الستار عن تمثال نصفي له في باحة الأونيسكو. وتكلم فيها: غسان تويني، وزير التربية ممثلاً رئيس الجمهورية، أنيس المقدسي، ممثل مجمع اللغة العربية بالقاهرة، جميل صليبا، عن مجمع اللغة العربية بدمشق، كوركيس عوّاد، عضو مجمع اللغة العربية ببغداد ومدير المتحف الوطني العراقي، أحمد مكي، يوسف إبراهيم يزبك، راجي الراعي، شكر الله الجر، المستشرق بيار روندو، وألقيت قصيدة للشاعر المصري صالح جودت، ثم تكلم منصور شلّيطا، أمين عام الجامعة اللبنانية في العالم، وختم الشاعر رياض المعلوف.

آثار أقلامه ومؤلفاته

المؤلفات المطبوعة

١ ـ **الكتابة** ـ بحث تاريخي علمي أدبي في الخطوط واللغات والإنشاء وآدابه في ٤ أجزاء طبع أولها سنة ١٨٩٥ في ٨٤ صفحة بقطع الثمن والثلاثة الأجزاء الباقية لا تزال مخطوطة.

٢ ـ **لمحة في الشعر والعصر** ـ وهي فذلكة من كتابه المخطوط «شحذ القريحة» المطول في ألفي صفحة، طبعة سنة ١٨٩٨ في ٤٠ صفحة بقطع الربع.

٣ ـ **الأخلاق مجموع عادات** ـ خطاب أدبي تاريخي ألقاه في الكلية الشرقية في زحلة وطبع فيها سنة ١٩٠٢ في ٥٠ صفحة.

٤ ـ **دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف** ـ كبير الحجم فيه تاريخ حوران ولبنان

وفلسطين وسوريا وأسرها باختصار. طبع سنة ١٩٠٨ في ٧٥٠ صفحة.

٥ ـ **الأم والمدرسة** ـ خطاب ألقاه في الكلية الشرقية طبع سنة ١٩١٠ في ٨ صفحات.

٦ ـ **تاريخ مدينة زحلة** ـ فيه أبحاث عن الأساطير (المثولوجية) وتحليل الأعلام المكانية وتفاصيل جغرافية وتاريخية وعمرانية في سوريا المجوفة ولبنان وما إليها طبع سنة ١٩١١ في ٢٩٨ صفحة.

٧ ـ **مجلة الآثار** ـ الشهرية نشرت في ثلاثة مجلدات من سنة ١٩١١ إلى ١٩١٤ وعطّلت في الحرب الأولى. ضمنت مباحث أثرية ولغوية وتاريخية وأدبية نشر فيها تاريخ الأمير فخر الدين الثاني المعني ـ حاكم لبنان. تقع مجلداتها الثلاثة في ١٣٩٢ صفحة وبعد الحرب الأولى ظهر منها مجلدان وعطلت.

٨ ـ **معارضات يا ليل الصب** ـ فيها أبحاث عن هذه القصيدة وإعرابها وأهم ما وقف عليه مؤلفها من معارضاتها. طبع الجزء الأول منها سنة ١٩٢١ في ٤٠ صفحة، والجزء الثاني لا يزال مخطوطاً.

٩ ـ **تاريخ الطب قبل العرب** ـ وهو المحاضرة الأولى التي ألقاها المؤلف في ردهة المعهد الطبي العربي في دمشق سنة ١٩١٩ ونشرت في مجلة المعهد المذكور ثم طبعت على حدة سنة ١٩٢١ في ٥٥ صفحة.

١٠ ـ **صناعات دمشق القديمة** ـ محاضرة ألقاها في ردهة المجتمع العلمي العربي بدمشق. طبعت برسالة سنة ١٩٢٤ في ٤٦ صفحة.

١١ ـ **تاريخ الطب عند العرب** ـ المحاضرة الثانية الملقاة في المعهد الطبي العربي في دمشق ونشرت في مجلة المعهد الطبي سنة ١٩١٩ وطبعت على حدة برسوم طبعاً متقناً سنة ١٩٢٢ في ٦٨ صفحة.

١٢ ـ **الأسر العربية المشتهرة بالطب العربي وأشهر المخطوطات العربية الطبية** ـ وهي محاضرة ألقيت في المؤتمر الطبي بالجامعة الأميركية البيروتية في ٦ نوّار ١٩٢٥ وطبعت سنة ١٩٣٥ برسوم في ٦٠ صفحة.

١٣ ـ **تاريخ الأمير فخر الدين الثاني المعني** ـ حاكم لبنان من ١٥٩٠ ـ ١٦٣٥ طبع في جونية لبنان سنة ١٩٣٤ في ٤٤٨ صفحة وفيه ستون رسماً نادراً بمقدمة إفرنسية وبحوث ذات شأن بحواش. ونشر بالمطبعة الكاثوليكية طبعة ثانية سنة ١٩٦٢ بإشراف رياض المعلوف مع مقدمة بقلمه. وصدرت طبعة ثالثة بإشراف فواز طرابلسي عن دار الحمراء، بيروت، سنة ١٩٩٧ في ٣٣٦ صفحة.

١٤ ـ **ترجمة الأمير سيف الدولة ابن حمدان** ـ ممدوح المتنبي وحاكم حلب نشرت في ذيل رواية «الأمير سيف الدولة» طبعة سنة ١٩٢٧ في ١٩١ صفحة، و«سيرة سيف الدولة» من صفحة ٤ ـ ١٦٥.

١٥ ـ **المبكيات** ـ مجموعة مراثي المرحومة السيدة مهيبة ابنة يوسف أبي علي المعلوف زوجة إبراهيم بك الأسود طبعت سنة ١٩٠٣ في ٧٠ صفحة.

١٦ ـ **الغرر التاريخية في الأسرة اليازجية** ـ مختصر من كتاب مطول. نشر المختصر في مجلة «الرسالة المخلصية» في صيدا وطبع على حدة سنة ١٩٤٤ في ١٢٨ صفحة وهذا الجزء في تواريخ المشايخ اليازجيين وجدد طبعه ١٩٤٥.

١٧ ـ **الغرر التاريخية في الأسرة اليازجية** ـ مختصر من المطول نشر سنة ١٩٤٤ في «الرسالة» ونشر كتاباً على حدة وهو الجزء الثاني في تواريخ أصهار اليازجيين وبناتهم وأصهار أصهارهم. طبع سنة ١٩٤٥ في ١٤٢ صفحة.

١٨ ـ **مجموعة مقالات عيسى إسكندر المعلوف وأولاده وأنسبائه** ـ مقطوعة قصاصات من الجرائد وملصقة على كتب تقع في ١٧ مجلداً مع ذكر كل جريدة وتاريخها.

١٩ ـ **مجموعة من المجلات في مقالاته وأولاده وأنسبائه** ـ مجلدة في ١٧ كتاباً وذكر المجلة وتاريخها وكلاهما مجموعة واحدة.

٢٠ ـ **تذكار مرور سنة على وفاة الطيب الذكر البطريرك غريغوريوس الرابع الأنطاكي الأرثوذكسي** ـ مصورة في ترجمته وما قيل فيه حياً وميتاً، نشرها بكرّاس.

مؤلفات المعلوف المخطوطة:

وللمعلوف مؤلفات كثيرة معدة للطبع لا تزال مخطوطة:

١ ـ **تحفة المكاتب للمعرّب والكاتب** ـ في مجلد وهي مباحث لغوية في الوضع والتعريب.

٢ ـ **الأخبار المدوّنة والمروية في أنساب الأسر الشرقية** ـ وهو في ١٤ مجلداً كبيراً مخطوطاً يتضمن مقدمة مطولة في علم الأنساب وفائدته في مجلد على حدة، وبعدها ١٤ مجلداً في تواريخ الأسر (أي العيال) الشرقية في لبنان وسوريا وفلسطين والعراق والعجم وآسيا الصغرى ومصر وبلاد العرب والمغرب وما إليها، وفي المهاجر في كل قطر من جميع المذاهب المسيحية والإسلامية والإسرائيلية على اختلاف طوائفها ومناشئها ومواطنها وأنسابها بمشجرات وأسمائها أصولًا وفروعاً وذكر حوادثها وتراجم مشاهيرها.

٣ ـ **أهم خزائن الكتب العربية في العالم** ـ وفيه وصف كل خزانة ونوادرها في الشرق والغرب في عدة مجلدات.

٤ ـ **تاريخ سوريا المجوفة:** أي بلاد البقاع وبعلبك وما يتصل بها مما عرف في عصور مختلفة حللت فيه أسماء المدن والأماكن والقرى بحسب علم الأساطير (المثولوجية) في مجلد ضخم وفيه التواريخ والتراجم والحوادث بحسب تواريخها في أكثر من ألف صفحة.

٥ ـ **معجم الألفاظ العربية العامية والدخيلة** ـ مرتّب على حروف المعجم بحسب أوائل الكلمات لا بحسب اشتقاقها تسهيلًا لمراجعتها. وفيه تحقيق لأصول الكلمات الفصيحة التي حرّفها أو صحّفها العوام وأصول الكلمات الوضعية العامية أو المعربة عن اللغات ووضع الفصيح لها من كلام العرب ونحو ذلك. وله مقدمة في اللغة العامية وآدابها وفنونها وما ألّف فيها منذ القديم إلى اليوم في مجلد ضخم نشرت منه أمثلة كثيرة في المجلات والجرائد وأهمها ما نشر في مجلة «الأديب» البيروتية.

٦ ـ **مغاوص الدُرر في أدباء القرن التاسع عشر** ـ وهو في تراجم رجال العصر المتوفين في كل قطر وآثارهم ومؤلفاتهم بمجلد كبير.

٧ ـ **الدرّ الثمين في أدباء القرن العشرين** ـ وهو ذيل لمغاوص الدرر وفيه تراجم الذين أدركوا القرن العشرين واشتهروا بآثارهم الأدبية بمجلد.

٨ ـ **نوابغ النساء** ـ وفيه أبحاث جليلة عن المرأة ونهضتها وتراجم الأديبات على اختلاف آثارهن في الشرق والغرب بمجلد كبير.

٩ ـ **الطرق الأدبية في تاريخ اللغة العربية** ـ وهو في آداب العربية وتاريخها وفنونها وآثارها في ثلاثة مجلدات أطول ومطول ومختصر لمطالعة العلماء والأساتذة والتلامذة وكل مجلد كبير الحجم إلّا الثالث المختصر.

١٠ ـ **أسرار البيان:** كتاب مدرسي في علوم البلاغة الثلاثة أي المعاني والبيان والبديع بأسلوب جديد وفيه تمارين وتفاصيل بديعة الترتيب.

١١ ـ **الأسلوب القديم في التربية والتعليم** ـ وهو في علم الثقافة (البيداغوجي) على نمط مدرسي مفيد.

١٢ ـ **المكتبة التاريخية** ـ في التاريخ والمؤرخين والفنون التاريخية ولا سيما (فلسفة التاريخ) أو (النقد التاريخي) وهو في مجلدين كبيرين (الأول) في علاقة علم الآثار القديمة بالتاريخ وأغراض التاريخ عند العرب والإفرنج وما يتعلق بهذه البحوث. و(الثاني) في المؤلفات التاريخية في الأنساب والحوادث ووصف المدن والبلدان واسمه (منتهى العجب في تاريخ العرب) والثاني مرتب على الحروف الهجائية.

١٣ ـ **نفائس المخطوطات** ـ وهو في نحو عشرة مجلدات يصف فيها الكتاب ومؤلفه ونسخه الموجودة في المكاتب وهل طبعه المستشرقون أو ترجموه ويأخذ هو بعض أبوابه النفيسة لتعريفه للمطالعين.

١٤ ـ **شرح المتن في تاريخ قضاء المتن** ـ والمتن من أقضية لبنان بين قضاءي الشوف وكسروان. أخذ أقوال المؤرخين المختصرة عن هذا القضاء وشرحها وأضاف إليها ما وقفت عليه في مخطوطات وأوراق نادرة بتفصيل وترجم رجاله المشهورين وأنسابهم.

١٥ ـ **معجم المصطلحات العامة** ـ أي ما ورد في التواريخ والأخبار من الكلمات

والعبارات الغريبة التي لم تذكرها المعاجم وشرحها وبيّن أصولها ومعانيها ومصطلحاتها في مجلد على حروف المعجم.

١٦ ـ معجم تحليل أسماء الأشخاص ـ على حروف المعجم وفيه تفسير أسماء الأعلام الشخصية وأصولها ومعانيها من اللغات الشرقية والغربية في مجلد.

١٧ ـ معجم تحليل أسماء الأماكن ـ على حروف المعجم وفيه تفسير معانيها واللغات التي أخذت منها وشيء من تواريخها مما يصحح بعض الروايات الشاذة والأغلاط التي أوردها عن أصلها المؤرخون.

١٨ ـ تاريخ أنطاكية الديني والمدني ـ في مجلد كبير فيه وصف أنطاكية ومدنها وقراها وذكر تواريخها الدينية والمدنية للطوائف المختلفة.

١٩ ـ تاريخ حضارة دمشق وآثارها ـ وفيه فوائد كثيرة عن هذه المدينة وضواحيها وما يتبعها في أدوارها التاريخية وما فيها وحولها من الآثار القديمة ووصفها وذكر حضارتها ومشاهيرها وآدابهم وتراجمهم في مجلد كبير.

٢٠ ـ تاريخ وادي التيم وجبل القلمون ـ وفيه فوائد كثيرة عن هذين الإقليمين وتواريخ مدنهما ورجالهما وآثارهما في مجلد كبير.

٢١ ـ تاريخ بلاد حوران ـ ومدنها وآثارها والأسر التي نشأت فيها. اقتطف منه ما دوّنه في كتابه (دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف).

٢٢ ـ التذكرة المعلوفية ـ في عشرة مجلدات كبيرة بحث فيها بحوثاً اختصرها غيره أو جهلها بعضهم مما فيه فكاهة ولذة وفائدة للمطالعين ولا سيما في التاريخ والآداب والفنون وعلوم الاجتماع والعمران والآثار ودرس مشاهير الشعراء من عرب وإفرنج بتطويل.

٢٣ ـ رجال الحكومة والأمراء ـ ذكر فيه من كان مقرباً من الحكّام والأمراء ونائلاً رتباً في خدماتهم مع لمعة عن تراجم كل منهم ووصف أعماله وما امتاز به في مجلد كبير.

٢٤ ـ العصريات ـ مجموعة من الأشعار العصرية لكبار شعراء العصر مع لمعة من تراجمهم.

٢٥ ـ مجموعة في لبنان ونكباته ـ في مجلد ضخم جمع فيه ما حدث من الوقائع في لبنان والحروب والعصبيات ولا سيما الذين كتبوا عنها إما سماعاً أو مشاهدة. وترجم كثيراً من أقوال الفرنج في وصفها فاشتمل على أهم الشؤون التي يجب أن تعرف عن لبنان ولا سيما في القرون الأخيرة.

٢٦ ـ سفر الأحزان ـ وهو جزآن (الأول) في التوديع والفراق واللقاء (والثاني) (حزن الأبد في رثاء الأهل والولد)، في مجلد كبير وفيه وصف ما نكب به المؤلف من فقد ولده وبكره المأسوف عليه فوزي وبقية آله وأنسبائه.

٢٧ ـ يومية الحرب الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٩ ـ وفيها وصف ما كان يحدث من الوقائع والأخبار في مجلد.

٢٨ ـ ما رأيت وما سمعت ـ (في الحرب الأولى)، يلخص الحادثة بأسطر قليلة ويستشهد بأقوال الشعراء والمؤرخين في أمثالها في مجلد.

٢٩ ـ تاريخ شهداء الحرب الماضية ـ فيه وصف مقتل الشهداء ولمحة من تراجمهم وما اتهموا به أو وشي عليهم به في مجلد.

٣٠ ـ نكبات الحرب الماضية ـ وصف فيه ما حدث في البلدان والمدن من النكبات في تلك الحرب من الخراب والتدمير.

٣١ ـ لبنان واللبنانيون ـ تاريخ مفصّل للبنان وسكانه وعاداتهم وأخلاقهم وحكّامهم وحوادثهم في مجلدين بقطع كبير. ومنه انتخب أشياء لتاريخ لبنان الذي وضع في الحرب الكبرى ولا سيما (الأخلاق والعادات) و(تراجم المشاهير) مما طلبته منه الحكومة فكتب فصولاً وعرض أسماء من يستطيع الكتابة بالمواضيع المختلفة على الحكومة فجاء سفراً مفيداً مصوراً ألفته لجنة من الأدباء ـ فكتب مقالة عن كل كاتب وموضوعه في مجلة مجمع دمشق مفصلاً لتعريفه.

٣٢ ـ درّ الأسلاك في دراري الأفلاك ـ وهو شرح لقصيدة فلكية نظمها المعلوف بتطويل في وصف الثوابت والسيارات واكتشافها وما قيل فيها. ونشر هذه القصيدة في كتابه (الشعر والعصر) المطبوع الذي مرّ وصفه.

٣٣ ـ **رسالة في الموسيقى** ـ ذكر فيها تاريخها وفنونها وأقسامها وأقوال الحكماء والعلماء فيها ووصف آلاتها ومشاهير الموسيقيين ونحو ذلك في كتاب صغير، عدا ما ذكره عن الموسيقى ومؤلفاتها ومصطلحاتها في (التذكرة المعلوفية).

٣٤ ـ **رسالة في التصوير** ـ بحث فيها عن هذا الفن وتاريخه وآدابه ومن اشتهر به وألّف فيه، في كتاب صغير.

٣٥ ـ **أعذب المناهل في إنشاء المقالات والرسائل** ـ على أسلوب حديث سهل بتمارين وأسئلة وأمثلة.

٣٦ ـ **مشجرات في العلوم والفنون** ـ للتدريس والتسهيل على الطالب فيشترك فيه السمع والبصر ويرسخ في الأذهان ما يراه ويسمعه.

٣٧ ـ **مجموع رحلات في سوريا ولبنان ومصر** ـ وهو ما شاهده في رحلاته في القطرين من بيوت العلم والآثار والمكاتب والفنون في بضعة مجلدات صغيرة.

٣٨ ـ **شعر العميان وآثارهم** ـ فيه تراجمهم وما نظموه أو نثروه ونوادرهم وعاداتهم وأخلاقهم في مجلد صغير.

٣٩ ـ **شعر المجانين** ـ وفيه أشعارهم وحوادثهم ونكاتهم وما يتعلق بهم في مجلد صغير. نقله إلى (التذكرة المعلوفية).

٤٠ ـ **شعر الخلفاء والملوك والأمراء** ـ وفيه مجاميع مفيدة مما نظم هؤلاء أو نثروه مع لمعة عن كل منهم بمجلد صغير.

٤١ ـ **ثلاث روايات تمثيلية شعرية غنائية** ـ (الأولى) رواية مقتل بطرس الأكبر لولده ألكسيس في روسية، (الثانية) رواية (جزاء المعروف) وهي حادثة خزيمة بن بشر مع سليمان عبد الملك الأموي، (الثالثة) (إنجاز الميثاق في فدية إسحاق) وهي رواية ذبح إبراهيم لابنه إسحاق. مثلت مراراً في الوطن والمهجر وفيها رسوم الممثلين.

٤٢ ـ **بنات الأفكار** ـ وهو ديوانه الشعري ما عدا شعر الصبى فإنه (برسالة صغيرة) وهذا الديوان في فنون الشعر من تشطير وتخميس ونحوهما وبعده المدائح والمراثي والمقطّعات والتواريخ الشعرية والشعر العلمي والعصري والمترجم عن اللغات،

والأناشيد، وله مقدمة في (تأثير الأشعار) من الشطر والبيت والبيتين... إلى القصيدة والديوان وفيها بدائع وروائع المنظومات وما كان لها من التأثير في مجلد ضخم في أكثر من ألف صفحة.

٤٣ ـ **تاريخ العلوم الفلكية والرياضية** ـ استقرى فيه تواريخ هذه العلوم وتطوراتها في كل عصر عند الأمم وما ألّف فيها إلى نحو ذلك من البحوث.

٤٤ ـ **تاريخ العصبيات عند الأمم** ـ وفيه وصفها بتفاصيل عند الأمم حتى عصرنا عند العرب والإفرنج وحوادثها ولا سيما تاريخ قيس ويمن مما اشتهرت في بلادنا حوادثه وعرفت ضحاياه.

٤٥ ـ **تواريخ أدبية وعلمية** ـ وهي تعاليق حول كثير البحوث من الحوادث في العصور القديمة حتى عهدنا.

٤٦ ـ **الأمثال العربية العامية** ـ مجموعة رتبت فيها الأمثال على حروف الهجاء بحسب أوائلها في رسالة بلغ فيها عددها آلافاً مفهرسة.

٤٧ ـ **شرح الأمثال العربية العامية** ـ وما يماثلها عند الأمم من نثر ونظم وهي في ثلاثة مجلدات ذات فهارس على الحروف الهجائية.

٤٨ ـ **مفكرات أدبية ولغوية وتاريخية** ـ في مجلدات صغيرة.

٤٩ ـ **ذيل في شعراء النصرانية** ـ وهو تكملة ما نشره العلّامة الأب لويس شيخو اليسوعي من شعراء النصرانية ولم يكمله لوفاته. فذيله المعلوف تذييلًا مفيداً إلى عهدنا.

٥٠ ـ **مجموعة في الشعر المفقود والمشتت** ـ وهو كتاب ضمنه ما عثر عليه في المخطوطات والمطبوعات المشتتة من نظم الشعراء العصريين مثل اليازجيين وأحمد البربير وملحم الشميّل وسليم الجدي وبطرس كرامه وإلياس صالح كنعان وغيرهم.

٥١ ـ **عيسى إسكندر المعلوف وأسرته** ـ ضمنه ترجمة حاله وأبنائه.

٥٢ ـ **حياتي** ـ كتاب كبير في أعمال المعلوف بتفاصيل وافية.

٥٣ ـ **مجموع محاضرات المعلوف** ـ وهي مئات منها من محاضرات وخطب ألقاها في زحلة ودمشق وحلب وبيروت ومصر متنوعة البحوث بين تاريخية وأدبية وفنية وطبية وعلمية وتهذيبية.

٥٤ ـ **مجموعات دواوين بعض الشعراء** ـ مثل (ديوان ابن حجة الحموي) الذي جمعه فجاء كبيراً و(ديوان الإمام الشافعي).

٥٥ ـ **تاريخ الأمير بشير الكبير ـ و البقاع للبنانيين و تاريخ آل قانصوه في بعلبك.** وهذه طبع بعضها وأغفل اسم مؤلفها المعلوف لأسباب.

٥٦ ـ **رسالة في ما عند الأمم من الأمثال والحكم** ـ على الحروف الهجائية وكل مثَل مسند إلى اللغة التي قيل فيها.

٥٧ ـ **مجموعة في الآثار القديمة التي ظهرت في الحفريات** ـ في جميع الأقطار العربية وتاريخ ظهورها ووصف شؤونها وذكر رموزها بتفاصيل وافية.

٥٨ ـ **شرح لامية ابن الوردي وإعرابها.**

٥٩ ـ **شرح لامية العرب وإعرابها** ـ مقتطف من شرحها المطبوع.

٦٠ ـ **الاغراب في الإعراب** ـ وهو في الإعراب النحوي والبياني وما فيه من النكات التي تحتاج إلى دقة ذهن.

٦١ ـ **رسالة في علم الجبر** ـ وصف فيها هذ العلم عند العرب والإفرنج وبدأ بوضع كتاب فيه، فلم تسمح له أشغاله بإنجازه.

٦٢ ـ **نيل المتمنّى في فنون المعنّى** ـ في مجلد كبير فيه تواريخ فنون الزجل وأمثلتها منذ القديم إلى الآن وتراجم الزجالين والمؤلفات في الأزجال. وتحليل المصطلحات الزجلية والتسميات بجميع فنونه.

خزانة كتبه:

ولع منذ صباه باقتناء الكتب المخطوطة والمطبوعة النادرة وما لها من المزايا والمميزات، وما هو منها بخط مؤلفيها، أو منقول عن خطوطهم بأقلام الثقات، حتى

اجتمع لديه أكثر من ألفي مخطوط عدا ما ابتاعته منه الجامعة الأميركية في بيروت وهو خمسمائة مجلد كثير منها نادر في فنون مختلفة، وقد طُبع فيها كتاب صغير بعنوان (المخطوطات المعلوفية في خزانة الجامعة الأميركية) في ثماني صفحات سنة ١٩٢٥.

ووضع لخزانته قائمة كبيرة في المخطوطات التي عنده وفي كل كتاب بحوث عن ذلك المؤلف وواضعه ونسخه ومميزاته، وضعت في أوله على حدة مما باعه ومما هو باق عنده وكلها مرتبطة بأرقام في القائمة وفي الكتب.

ومن مميزات خزانته أنه جمع فيها الكراريس والمؤلفات التي هي من موضوع واحد وجلّدها بكتاب مجموعةً لحفظها من الضياع وهي تعد بالمئات.

وكان يقطع قصاصات الجرائد ويلصقها على كتب مجلدة فلا يخشى عليها من الضياع، فاجتمع لديه أكثر من ثمانين مجلداً فيها أبحاث نادرة مفيدة بقيت محفوظة إلى الخلف يستفيد منها المطالع من مقالاته ومقالات أولاده. وكذلك جفف كثيراً من الأزهار اللبنانية ولصقها على كتب لحفظها مع ذكر أسمائها بالعربية والإفرنجية.

وبحث عن الكتب التي هي بخطوط مؤلفيها أو تلامذتهم أو منقولة عن خطوطهم واقتناها ولا سيما في التاريخ. ففي محفوظاته (تاريخ العرقاني) و(تاريخ سلك الدرر) و(تاريخ القدس والجليل) و(تاريخ الأندلس) وغيرها وهي مضبوطة صحح عليها ما عنده من أمثالها المطبوعة.

وكذلك عن كتب الفنون الرياضية والفلكية والحيلية (الميكانيكية) والموسيقية ونحوها المصورة والمزوّقة والمجدولة وبينها كتب أنساب قديمة بمشجرات بديعة فضمها إلى مخطوطاته فكانت آية في الإبداع والزخرفة والإتقان برسومها وتذهيبها وتلوينها وتجليدها وغلافاتها.

وعنده كثير من المجلدات المطبوعة على الحجر وهي من قبيل المخطوطات وفيها رسوم وتزاويق وجداول في العلوم الطبيعية والرياضية والفنية ومنها كتاب «حياة الحيوان» للدميري وعلى هوامشه رسوم أشخاص وحيوانات وحشرات ونحوها في منتهى الإتقان والدقة.

واعتنى بجميع المؤلفات باللغات العربية والسريانية والعبرانية والتركية والفارسية

والقبطية والحبشية واللغات اليونانية واللاتينية والفرنسية والإنكليزية والرومانية والإسبانية والإيطالية والبرتغالية والألمانية والمصرية والهندية والصينية، وهي بفنون مختلفة.

وكثير من المجاميع المؤلفات دونت بقلم المعلوف، وجلدت بيده لحفظها من الضياع. وهناك مخطوطات ومطبوعات مصورة بالشمس. وأوراق ومناشير وعرائض وأشباهها مجلّدة وملصقة بخطوط أربابها وبعضها بخطوط غيرهم. ونوادر المطبوعات القديمة في الشرق والغرب اقتناها وبعضها طبع حديثاً لمعارضة ذلك بما طبع قديماً. وهناك إفادات عامة وتعاليق وأنباء عن تواريخنا وأخبارنا. ومجموعات أصول العيال بخطوط أصحابها في عدة مجلدات نقلت كلها أو أهمها إلى (تاريخ الأسر) العام في ١٤ مجلداً.

مجموعة رسائل الرؤساء الروحيين والمدنيين والعلماء والأعيان من شرقيين ومستشرقين في مخاطبات المعلوف محفوظة بخطوط أصحابها. وفهرست لوصف المخطوطات وتعريفها بأرقام فيه وفي كل كتاب يصفه. ترجمة كثير من المؤلفات التاريخية والأدبية والعلمية من اللغات الأجنبية بقلم المعلوف. عدا ما ترجمه شعراً في ديوانه «بنات الأفكار» ولا سيما قصائد للشاعر الأميركي لونغفلو.

وكتب في مجلة «النعمة» الدمشقية تاريخ الصحافة من أول عهدها إلى سنة ١٩٠٨ مع انتقاد وتمحيص باختصار من مجاميع عنده مطولة عن الصحافة ونشرها وآدابها. وكذلك في كتاب (المكاتب العربية في العالم) فهو مسوّدات مختلفة وقف عليها أصحابه، منهم صديقه البحاثة الفيكونت فيلي دي طرازي وذكره في تاريخ الصحافة التي طبع أربعة مجلدات منه. ووضع مجلدات بعنوان (الوقائع التاريخية في البلاد السورية) وهي مجاميع بخطه أو خط أصحابه وفيها تعاليق كثيرة عن هوامش كتب وقوائم وقف عليها. ومؤلفات لم تطبع حين تأليفه وقليل منها طبع بعد ذلك.

وحرص على جمع كتب نادرة مثل كتب النصيرية والإسماعيلية والزيدية والدروز والماسون فاجتمع لديه منها نوادر قديمة وحديثة بخطوطها ورموزها.

تمهيد

بقلم مؤلف الكتاب وناسخه

إليك أيها المطالع الكريم والوطني المحب لبلاده، والحريص على حفظ آثار قومه وأسلافه، أزفّ كتابي في الاسر الوطنية الذي سمَّيته: «**الأخبار المرويّة في تاريخ الأسر الشرقيّة**».

ففي ثنايا أوراقه وتضاعيف سطوره تطالع أخبار الأسر اللبنانية والسورية والفلسطينية وكثيراً من أبناء أسر العراق وبلاد العرب ومصر والمغرب وما إليها مما وصلتْ إليه يد البحث والتنقيب في أكثر من ثلث قرن وقفتُه لخدمة المواطنين وجمع متفرّق آثارهم من ألسِنة الشيوخ والمعمّرين والمؤرخين والرواة ومن تضاعيف الكتب المخطوطة وتغاضين الأوراق والوثائق ونحوها مما أفنيتُ على جمعه ومطالعته ونقله والتدقيق فيه أنوار العينين ودم القلب وأذبتُ على ترتيبه وتبويبه وتنظيمه تلافيف الدماغ وأنفقت على الحصول عليه كثيراً من المال والوقت. فلذلك لم أدّخر وسعاً ولم آلُ جهداً في المراجعة والتحقيق ومفاوضة أرباب الاسر، واستحثاث هممهم لمعاضدتي في هذا المشروع الوطني المفيد، وكثير منهم لم يعيروني أذناً صاغية ولا اهتماماً بشؤونهم الخاصة. فتناولتُ لذلك جرعاتٍ من الصبر ووضعتُ لنفسي علاجاً هو «ما دواءُ الإهمال إلّا الإهمال». ولطالما كتبتُ الصحف إعلانات مختلفة في أوقات كثيرة تحض أرباب الأسر على إرسال المرويات والمعلومات عن أبنائها. وأنشأتُ مقالات في

استحسان هذا المشروع، والإحالة باللوم على المتهاملين في إمدادي بمعلوماتهم مثنية عليّ. فأشكر كل من أخذ بيدي في هذا المشروع ممن لبّى طلبي أو ساعدني على تحصيل ما فيه فائدة للتاريخ أو نسج لي بُرود الثناء على قيامي بهذا العمل الخطير ونحو ذلك من الأغراض الوطنية الصادقة العواطف التي لم تنفخ فيّ روح الكبرياء بل زادتني شعوراً بضعفي وتقصيري.

فإلى مواطنيّ أقدم تاريخي هذا دائرة أبحاثه على ثلاثة محاور: (أولها) في أصول ومناشىء الاسر وتسمياتها ومواطنها، (ثانيها) في تفرّعاتها ومواطنها الثانوية واختلاف تسمياتها وفروعها، (ثالثها) في ترجمة مشاهيرها ونوابغها ممن لهم آثار مفيدة، مع مقدمة خاصة في علم النسب، راجياً من كل من يلومني أو يرى في كلامي تقصيراً أن يحمله على حسن القصد بعد صياح الجرائد وصَدْع رسائلي بمطاليبي وإعراض الكثيرين عن التلبية، منشداً بلسان الشاعر العربي قولي مذيلاً:

«ما كلّف الله نفساً فوق طاقتها ... ولا تجـود يـدٌ إلّا بـمـا تجـدُ»

والناس إن أنصفوني صوّبوا عملي ... وغَضّ طرفاً عن التقصير منتقدُ

فـإن أرفدْ فـإن الـعذر يـشفـع لي ... وإن أُصيب فعلى الراوين أعتمدُ

كاتبه المؤلف
عيسى اسكندر المعلوف

الديباجة

أصول الأسر

يقول الكاتب الفقير عيسى بن إسكندر ابن الخوري إبراهيم ابن عيسى بن أبي هاشم شبلي بن المعلوف الغساني الحوراني اللبناني: إن فروع الإنسان الأول ملأتْ المعمور بسلائلها فاقتضت الحاجة بين السلائل والقبائل والأفخاذ والبطون ليعرف كل واحد إلى من يمتُّ بنسبه. وقد اشتغل قدماء العرب والفرنج بهذا الفن وألفوا فيه المؤلفات الكثيرة. ولكن المتأخرين أعرضوا عن العناية به واشتغلوا بغيره، فضاعت الأنساب ولم تحفظ إلّا بين من انتبه إلى تدوينها في مشجرات أو كتب، ومن حفظها رواية منقولة بضبط عن السلف. وكانت حتى أواسط القرن التاسع عشر للميلاد هي الحدّ الفاصل بين العهدين القديم والحديث في تناقل الروايات التاريخية وتدوينها أو إغفالها، فلهذا وضعتُ منذ نعومة الأظفار تعاليق في أصول الأسر مما كنت أتلقنه عن ألسنة الشيوخ الثقات في رواية الأخبار أو أتصفحهُ في بعض المخطوطات والأوراق في ثنايا المكاتب وزوايا البيوت. ولما وفُرت لديَّ هذه المباحث اللذيذة رتبتها كتباً فكانت منها أولاً تاريخ أسرتي المعلوفية الذي نشرته باسم «دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف». ثم تاريخ الأسر الأخرى على اختلاف مذاهبها وأماكنها وهو عبارة عن مقدمة في علم النسب، بحثتُ فيها عن النسب والنّسابين ومؤلفات الأنساب أفردتها في كتاب على حدةٍ، ثم مجلدات متعددة سميتها «الأخبار المرويّة في الأسر الشرقية» وهو هذا الكتاب الذي أنفقتُ على جمعه وترتيبه أكثر من ثلث قرن حتى أفرغته في قالب عصري يدور على ثلاثة محاور: الأول في أصول الأسر وفروعها ومواطنها وما يتعلق بذلك، والثاني في أنسابها وما يتعلق بها، والثالث في مشاهيرها وحوادثها وما يندمج

في هذا السلك من المواضيع المختلفة والحوادث المتعدّدة. وحسبي بما جمعتُ أن أكون قد وفَّيت الموضوع حقَّه من البحث والتنقيب والمراجعة والتحقيق والمعارضة والمقابلة وما ساوق هذا من العناية بالتحري والتمحيص ومفاوضة أرباب الأسر ومعرفة ما لديهم من الروايات والمراجع التي يؤخذ لها ويعتمد عليها، بعد أن وزعت نشرات كثيرة مطبوعة وأذعت على صفحات الصحف نداء مكرراً. ولم آلُ جهداً في الثبات والجلد والحرص على التدوين، وعدم الاعتماد على الحفظ الذي يشوّشه أقل عارض يطرأ فهاءنذا أقدّم للمواطنين الكرام غاية ما بذلته من الجهد في هذا السبيل، وهم أجدر الناس بقبول عذري وستر هفواتي والله سبحانه وتعالى من وراء حسن القصد إنه السميع المجيب وعليه أتكل وإليه أنيب.

كلمةٌ في الأُسَر وتفرقها

إعلم أيها المطالع اللبيب أنَّ المهاجرة قديمة كالإنسان وأقدم أسبابها الارتزاق. وهي من أقدم دعائم العمران وأمنعها. لأن الناس وإن كانوا من أصل واحد وممتد غير متفرق بدأوا بالمهاجرة والتنائي عندما تزاحمتْ أقدامهم وتراصّت مناكبهم وضاقت في وجوههم ذرائع المعايش. فغادروا مواطنهم ضاربين في عرض البلاد وطولها ذارعين الفلوات منتجين المغارس الخصيبة والمراعي الوافرة والمرتزقات السهلة والمنافع القريبة، فانتشروا في البلدان واستعمروا المعالم والمجاهل على ممر الزمان. وأقدم مهاجرة عرفناها ورحلة عثرنا عليها تفرُّق أبناء نوح أو قبائلهم من أواسط آسية حيث نشأوا وتناسلوا إلى أطراف الكرة حيث تكاثروا. وهكذا كانت المهاجرات من أول الذرائع التي بدأ الناس فيها ينكر بعضهم بعضاً ويستبعد الواحد أنسباءهُ بعد التقارب ويتناكرون بعد التعارف. وكان هؤلاء أرقى السلائل البشرية وأكثرها حرصاً على الأنساب. فتسلسلت منهم الأمم المرتقية المعروفة بالقوقاسية أو البيضاء ولعبت دوراً مهماً في مسرح التمدن وملعب الحضارة. وهكذا كانت التسلسلات المختلفة التي عمرت بها البلدان ونشأ بعضها أرقى من بعض فكان الأرقى منها يحكم الأدنى والأعلم يسود الأجهل. ومما يؤثر بعقم الأمم وانحطاطها المنافسة الشديدة. إنها تقتلهم كما جرى في تروادة وقرطاجنة و(تبدل المناخ) أو الإقليم. فالجنس الروماني الذي تديَّر قديماً إيطالية وإسبانية وأفريقية انفرض ولم يبق له أثر. وهجرة الطبقة الراقية من الأمم

كمهاجرة أذكياء اليونان إلى إيطالية طمعاً في مغانم يتصوّرونها ولم تلحقهم النساء. ومما يكثر النسلَ الهجرة والاستيطان والولادات والوفيات فتقفز البلاد بأضدادها وتضمحل الأمم فيجب تعديل ذلك بين السكان على قواعد الصحة.

ويظهر من الآثار الجيولوجية في معظم القارات والبلدان على سطح الكرة الأرضية أن الرحلات كانت عامَّة نحو القرن العشرين قبل الميلاد لأسباب كثيرة أهمها الأنواء البحرية والزلازل الأرضية والأوبئة والقحط والاضطهاد والحروب والاسترقاق وتأثير النساء وازدحام الناس في محل واحد والتملُّص من دفع الجزية والضرائب والسعي في طلب الرزق وحب الاستعمار والفتح.

على أن محور المهاجرة يدور في الأعمّ الأغلب على شيئين عظيمين: أولهما، تحصيل القوت، وثانيهما الفرار من الظلم لكثرة المجاعات والمظالم في القرون الأولى والوسطى.

ولقد حدّد بعضهم الرِحَل والمهاجرات تحديداً يكشف القناع عن حقائقها فقال فيها ما نلخصه بتصرُّف:

الرحلة: انتقال واحد أو أسرة أو قبيلة أو أمة من مكان إلى آخر لمآرب مختلفة وذرائع متعددة.

المهاجرة: مغادرة قبيلة أو أمّة ديارها انتجاعاً لديار أخرى لأسباب منها جدب البلاد وضيقها على السكان، أو لاضطهاد يقع عليهم، أو لحروب تنشب فيهم فتتلف أرزاقهم وتعطل أسباب معايشهم ونحو ذلك مما فرّق بني آدم في أقطار المعمور.

الغزوة: انتقال أمّة من صقع إلى آخر طمعاً بالكسب من الحروب وشنّ الغارات وهو شأن الأمم في بداوتها، حيثما وجدت إلى يومنا الحالي.

السياحة والبعثة: هي سفر رجل أو أكثر لاكتشاف أمور علمية أو تاريخية أو جغرافية وأشباهها. وكانت في أول أمرها ترويحاً للنفس وتنزيهاً للخاطر وانتجاعاً للصحة.

التغرُّب والسفر: هو الارتحال في طلب الرزق وانتجاع البلدان على قصد الرجوع إلى الوطن والعودة إلى مسقط الرأس عندما تزول الأسباب الموجبة للسفر.

أقدم الطوارئ المهاجرة من أماكنها

(الكنعانيون) الذين غادروا أضفاف خليج العجم في العراق لجهة بلاد العرب وجاؤوا سورية محتلّين ديار الآراميين نحو سنة ٢٢٥٠ قبل الميلاد[1] لزلازل أو حروب فطردوا قسماً من الآراميين.

(والعبرانيون) الذين زايلوا ما بين النهرين (دجلة والفرات) في تلك الأثناء بزعامة إبراهيم الخليل وابن أخيه لوط لاختلافهم على عبادة الأوثان.

(والهنود) الذين هاجروا بلادهم إلى قارة أميريكة مجتازين بوغاز بيرين وتبعتهم الأمم المجاورة للهند.

و(الحثّيون) الذين تركوا آسية شاخصين إلى بلاد اليونان وجُزُر الأرخبيل لأسباب مرّ تفصيلها.

وعقب ذلك ذهاب (العبرانيين) إلى مصر سنة ٢٠٧٦ قبل الميلاد وامتزاجهم بالمصريين امتزاجاً حملهم على استعادتهم إلى أرض كنعان متحضّرين فدخلوها سنة ١٦٤٥ ق.م. بعد أن أقاموا فيها ٤٣١ سنة وكانوا ٦٧ ذكراً فعادوا وهم ١,٦٤٦,٥٩٢ نفساً. فإذا أسقطنا نصف عددهم إناثاً يكون عدد ذكورهم ٨٢٣,٢٩٦. ولقد ذكر سفر الخروج أن عددهم بعد إسقاط الأطفال والشيوخ نحو ٦٠٠ ألف ماشٍ. فاحتلوا أرض الموعد (كنعان أو فلسطين) وطردوا منها (الكنعانيين) فذهب معظم هؤلاء إلى بلاد اليونان والمغرب. ثم سار على أثرهم (الفينيقيون) فامتزجوا بالعشائر الليبية اليافثية وسمي مزيجهم الليبيين الفينيقيين واستعمروا قرطاجة (قرطاجنة). فكان الفينيقيون أكثر القبائل اتصالاً بالأمم الشرقية والغربية لاتساع تجارتهم وكثرة مخالطتهم بل كانوا أكثر الناس تساهلاً في الزواج. فاندغموا (بالإسرائيليين) أيضاً ولا سيما في زمن تحالف ملكهم حيرام مع سليمان ملك إسرائيل. وكان (الفلسطينيون) قد عادوا من جهات

(١) يقال إن أقدم من هاجر إلى مصر بحسب علم الآثار القديمة هم (بنو عمو) وكانوا نساء ورجالاً وأولاداً ٣٧ نسمة ومعهم رئيسهم من بلد اسمها (إيشا)، فقدموا على (خنوم حتب) من ملوك الأسرة الثانية عشرة وحملوا إليه معدن (بس موت) الذي كان المصريون يستعملونه لتلوين صورهم وذلك نحو القرن الثلاثين قبل الميلاد.

أقريطش (كريت) والأرخبيل إلى مصر نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد فاستعبدهم المصريون فاضطروا إلى مقاومة الإسرائيليين في أرض الموعد والاحتلال في ربوعهم. وكانت المخالطات بين القبائل (المصرية) و(الحثية) و(الروتانية)[2] قد سهلتها المعاهدة بين رعمسيس المصري وكيتاسار الحثي وهما ملكا الشعبين. فلم يبق ريب في تداخل أنساب هذه القبائل وتمازجها الاجتماعي ولا سيما أن المعاهدة بقيت معمولاً بها نحو قرن كامل. فكانت سواحل سورية للمصريين وغيرها للحثيين. فاستعمر أولئك السواحل وتزوج رعمسيس ابنة ملك الحثيين. وفي تلك الأثناء جاء الإسرائيليون من مصر إلى فلسطين. وبقي فريق من الأمم الكنعانية إلى زمن المسيح.

وكان ملوك الرعاة قد هاجروا إلى مصر التي كان ملوكها يحظّرون على السوريين دخول بلادهم بلا استئذان، وبدون أن يحملوا الهدايا لاستعطافهم فلما ملك الرعاة مصر ـ وهم ساميُّون ـ فسحوا لأبناء جنسهم الدخول إلى مصر بسهولة فكثر الساميون فيها.

وجاء اليونان والرومان إلى أوروبّة وهم من الآريين.

وانتقل فريق منهم إلى سوريا على إثر فتوح الدولتين لها. فكان اليونان قبل الميلاد بثلاثة قرون، والرومان في القرن الثالث الذي وليه الميلاد.

وكان سكان وادي النيل القدماء الزنوج فغلبهم عليها أهل النوبة لأنهم كانوا أرقى منهم حضارة وأمنع جانباً فطردوهم إلى الجنوب وتديَّروا أماكنهم. ولم يلبث القوقاسيون أن زاحموا النوبة بالمناكب واستظهروا عليهم ومنهم نشأ ملوك الفراعنة الذين أوجدوا حضارة القطر المصري المشهورة والمعروفة من آثاره النفيسة.

وجاء القوقاسيون من الشرق والغرب إلى شواطىء أفريقية الشمالية حيث كان فيها البرابرة فأزاحوهم عنها إلى الجنوب. وأخذوا أماكنهم مخيماً لهم.

وذهب الآريون إلى الهند فناجزوا سكانها (الهنود الأصليين الذين كانوا كالنوبة في أفريقية) القتال وظفروا بهم وسكنوا البلاد، فنشأ منهم سدنة هياكلهم (البراهمة) والحكام.

(٢) الروتانيون هم أخوة الآراميين.

وانتشر الساميون في سورية وفلسطين وبلاد العرب وما إليها فانتشروا في البلاد.

وفي ذلك الزمن في الأنواء الشديدة المسمَّاة (تيفون) كان كثير من الناس يتيهون لتلاعب الأنواء بسفنهم، فبعضهم جاء أميركة بالسفن التي كانت عندهم تسمى (تجونك) وهي بيوت صينية أنشأوها مجهزة بجميع ما يحتاجون إليه، ونقلوها على ظهر سفنهم. فلما تاهوا في ذلك الإعصار دفعهم إلى حيث شاء، فوصل كثير من الصينيين إلى كولومبيا الإنكليزية British Columbia وإلى شواطىء كليفورنية والمكسيك، كما دلت الآثار والعاديات المكتشفة هناك على صحة هذا النبأ.

وذهب الفينيقيون في نحو القرن الثاني عشر قبل الميلاد إلى القرن الرابع قبل الميلاد شاخصين إلى أميركة فكانوا أقدم سكانها البيض. ولولا الآثار والعاديات التي اكتشفت في بعض جهاتها ولا سيما في جنوبها وأواسطها مثل بيرو والمكسيك لما عُرف هذا الخبر الذي أغفله التاريخ. ولقد ظهرت آثار عباداتهم فيها فزادت الخبر تحقيقاً مثل عبادة الشمس والقمر وتقديم الضحايا البشرية.

ثم كان سبي بني إسرائيل لأن الملك سرغون الأشوري (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق.م) سبى عشرة أسباط إسرائيل إلى ما وراء دجلة، وذلك من بقعة السامرة التي فرغت. فتشتت معظمهم في تلك البلاد التي سبوا إليها، واختلطوا بسكانها وعرفوا جميعاً بعد هذا باسم الأسباط المفقودة. ولما جاء أشور إلى بلادنا جلب معه قوماً من بابل وكوت وعوًّا وحماة وسفردائيم وأسكنهم في مدن السامرة محل الإسرائيليين كما في (٢ ملوك ١٧ : ٢٤) وكانوا خمس قبائل يعبد كل منها صنماً حملوه من بلادهم. وذكرهم يوسينوس المؤرخ بقوله: «إنهم أصلهم من وادي فارس دعوا سامريين ـ نسبة إلى السامرة واسمهم بالعبرانية كوتيين وباليونانية سامريين عاصمة السامريين قديماً سكيم، وهي الآن نابلوس (أي المدينة الجديدة) سماها بانيها الأمبراطور فسبيان في القرن الأول في بلاد غربي فارس». ومن الكتب التي ألفت بهذا السبي (كتاب رجوع اليهود من بلاد بابل) للدكتور حنا نيكل الألماني ملأه بالبراهين الدامغة عن شؤونهم منذ أيام كورش ملك الفرس سنة ٥٥٨ ق.م إلى أيام داريوس الثالث كودومانس الذي غلبه الإسكندر سنة ٣٣٠ ق.م. ذكر بعض هذه الحوادث في سفرَي عزرا ونحميا ولكن هناك نواقص أتمّها من الاكتشافات الحديثة ونحوها وطبعه بالألمانية في فريبرغ سنة ١٩٠٠ م في ٢٢٧ صفحة.

وإذا شئت التفصيل في جلاء بابل أو جلاء بني إسرائيل إلى جهات مختلفة فدونك لمحة مختصرة عنه الآن:

لما غزا سنحاريب ملك أشور حزقيا ملك يهوذا بين سنة ٧١٤ و٧١٠ ق.م. أسر كثيراً من سكان يهوذا وأخذهم إلى بلاده وعددهم ١٥٠ و٢٠٠ رجالاً ونساء كباراً وصغاراً.

وارتحل بعض الإسرائيليين خوفاً من بختنصر ملك بابل إلى مصر سنة ٦٠٦ ق.م لأنهم جلاهم إلى بابل وبقوا سبعين سنة وجلا اليهود إلى بابل سنة ٥٨٨ ق.م. ولم يبق في الأرض إلّا الفقراء.

ولما تغلب الفرس على ملوك بابل وأشور، وملك كورش بلادهم أوى يهود بني إسرائيل إلى فلسطين سنة ٥٣٦ ق.م ولكنهم لم يرجعوا جميعهم بل بقي قسم منهم في تلك البلاد وذلك على إثر السبي التام. لأنه سنة ٥٩٩ ق.م سبى نبوخذ نصّر الثاني (٣٠٢٣) يهودياً إلى بابل وكان ملك الكلدانيين.

وسنة ٤٥٦ ق.م. أمر عزرا الكاهن الإسرائيليين أن لا يتزوجوا بالأجنبيات فأطلقوا نساءهم الغريبات سنة ٤٤٤ ق.م. وذلك منعاً لتداخل نسب العبرانيين في غيرهم من الأمم.

ومن غريب ما قرأته لبعض علماء الإنجليز والفرنسيين أن (اليابانيين) أصلهم من سلائل اليهود الذين سباهم شلمناصر إلى أواسط آسيا وإلى الهند ولا يزال اليابانيون يروون عن أسلافهم أنهم قدموا بلادهم الحالية من أرض سحيقة في غربي آسيا. ويقول عزرا في سفره: «ولكنهم (أي العشرة أسباط) توافقوا بعضهم في بعض وعزموا أن ينفصلوا عن أكثر أخوتهم وينطلقوا إلى ناحية بعيدة لم يقطنها أحد. وقد كانت طريقهم طويلة أي نصف سنة». ويقول عمواص في سفره ذاكراً مهاجرة بعض أسباط إسرائيل: «وكانت الطريق من البحر إلى البحر ومن الشمال إلى الشرق». ويرجح العلماء أن هذه المهاجرة كانت بين سنة ٦٧٠ و٦٦٣ ق.م. وذلك على أثر عودة اليهود من جلاء بابل إلى أورشليم وقد كادوا ينسون لغتهم. ولدى اليابان صور وعقائد وأسماء أشبه بما عند اليهود ولا سيما ديانة (شانتسو) اليابانية كقدس الأقداس والتابوت

والرقص أمامه والخبز الفطير والنبيذ الحلو والأثمار واسم كاهنهم (كان) وأعيادهم كأعياد اليهود.

وجاءت عشائر يونانية إلى تدمر في أيام حضارتها واتساع نطاق ملكها وذلك على أثر المظالم التي كانت في بلاد اليونان وآسية الصغرى، وتبعتها قبائل أخرى يونانية طالبة الاتجار في ملكة التجارة البرية في الشرق إذ ذاك كما كانوا يسمون تدمر.

ولما حدث سيل العرم في بلاد اليمن تفرقت القبائل العربية اليمنية[٣] في كثير من البلدان الشرقية.

ومما رواه عن سيل العرم شيخ الربوة في كتابه (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) قوله في صفحة ٢٧٢ ما نصُّه:

«وحكوا أصحاب التواريخ أن عمراً ابن عامر لما تحقق كون سيل العرم قال لقومهِ: من كان ذا شِياه وعبيد وحمل شديد فليلحق بشعب بدَّان فلحقت به همدان. ومن كان ذا سياسة وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مرّ فلحقت به خزاعة. ومن كان يريد الراسخات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فلحقت به الأوس. ومن كان يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق والذهب والأوراق فليلحق بالعراق فلحقت به لخم. ومن كان يريد البزّ والحرير والأمر والتأمير والخمر والنمير فليلحق بالشام فلحقت به غسّان». ورواها في صفحة ٢٦ بصورة أخرى تقرب من هذه في بعض المواضع وكذلك في صفحة ٢٥٤ أيضاً.

قال السعيد بن بطريق بتاريخه طَبْع اليسوعيين سنة ١٩٠٥ صفحة ٥٧ ما نصُّهُ في الجزء الثاني:

«في زمن خلافة المأمون في أوائلها... ثار أهل (البيما) بالقبطية وتفسيرها (نسل أربعين). وذلك أن الروم لما خرجوا من مصر في دخول الإسلام تخلف منهم أربعون

(٣) التمييز بين القبائل القحطانية والعدنانية في العراق على الأعمّ أن القبيلة التي يصدَّر اسمها بكلمة (آل) هي قحطانية الأصل مثل آل جبر وآل عُبَيْد والتي تصدر (ببني) هي عدنانية مثل بني تميم، وبني لام وبني زيد؟. والعرب إذا أرادوا التمييز بين القبيلتين اكتفوا بقولهم آل وبني فقط.

رجلاً فتناسلوا وكثروا وتوالدوا بأسفل أرض مصر فسموا (البيما) أي نسل الأربعين فمضوا ولم يعطوا جزية ولا خراجاً. فبلغ المأمون الخبر فبعث بالمعتصم ومعه جند إلى مصر فقاتله البيما فقاتلهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وهزمهم وسبى نسائهم وصبيانهم وحملهم إلى بغداد...»

ولما دخل المأمون إلى مصر... (كان معه) فراشون نصارى فبعدت عليهم الكنائس التي في القصر فاستأذنوا المأمون في بناء كنيسة يصلّون فيها تكون بالقرب من قبة الهوى (قصر المأمون في جبل المقطّم) فأذن لهم بذلك. فبنوا كنيسة يصلّون فيها وأسموها كنيسة مريمتريم التي في القنطرة المعروفة اليوم بكنيسة الروم. وكانت قبل ذلك تسمى كنيسة الفراشين. ويقال أنهم إنما بنوها من فضلات بنيان قبة الهوى. وبنى المأمون بصعيد مصر مقياساً يقاس فيه زيادة النيل في موضع يقال له التورات بقرية يقال لها بنوره (ربما «بوره») وأصلح مقياساً في أخيم. فدخل على المأمون (بكام) النصراني كاهن من أهل بورة الذي كان بعث بالمال في بنيان قبة القيامة، فخطب من المأمون عمالة (بورة) وكان كثير المال. فقال له المأمون: أسلِمْ فتكون (مولى أولئك) فقال (بكام): لأمير المؤمنين عشرة آلاف مولى مسلم فلا يكون له مولى واحد نصراني. فضحك منه المأمون وولاه عمالة (بورة) وما حولها فبنى (ببورة) كنائس كثيرة حساناً. وكان على باب داره مسجد الجامع فقال لأهل (بورة) من المسلمين: أنا أبني لكم مسجداً جامعاً غير هذا واهدموا هذا المسجد من على باب داري. فقال المسلمون: [لا نريد] مسجداً غير هذا. نحن نصلي في هذا المسجد فإذا فرغتَ من بنيان ذلك المسجد، صلّينا فيه وهدمنا هذا المسجد. فبنى مسجداً كبيراً حسناً فلما فرغ منه قال لهم: أوفوا لي بما وعدتموني واهدموا المسجد الذي على باب داري. فقالوا له: لا يجوز لنا في ديننا أن نهدم مسجداً صلينا فيه وأذّنا وجمعنا. هذا لا يجوز في ديننا. فبقي المسجد على حاله. فصار في بورة مسجدان يجتمع فيهما. وكان المسلمون يصلون جمعة في هذا وجمعة في ذاك[٤].

(٤) كان من نسل بني بكام من أهل مدينة بورة ميخائيل بطرك الاسكندرية. صار بطريركاً بعد وفاة صفرونيوس بطركها سنة ٢٣٣ هـ ٨٤٧م. وبقي ٢٤ سنة ومات سنة ٢٥٦هـ ٨٦٩م.

وكان (بكام) إذا كان يوم الجمعة لبس السواد وتقلّد السيف والمنطقة وركب برذوناً وبين يديه أصحابه. فإذا بلغ المسجد وقف ودخل خليفته وكان مسلماً يصلّي بالناس ويخطب باسم الخليفة ويخرج إليه.

ولم تزل النصارى يلبسون السواد ويركبون الخيل في أيام المتوكل.

وقال سعيد بن بطريق أيضاً في الجزء الثاني صفحة ٦٠:

«ونفذ المعتصم إلى بلاد الروم غازياً، وحمل معه أيوب بطريرك أنطاكية فحاصر مدينة الكرة. وكان أيوب البطرك يكلّم الروم بالرومية ويقول لهم أطيعوا السلطان وأدّوا له الجزية أخير مما تُقتلون وتسبون. وكان الروم يشتمونه ويرمونه بالحجارة، ففتح المعتصم مدينة الحصن وأحرقها بالنار. ثم سار إلى عمورية فحاصرها مدة شهر (أو عدة أشهر). فكان في كل يوم أيوب بطريرك أنطاكية يتقدم إلى الخان وهو يخاطب الروم بالرومية ويخوّفهم ويسئلهم أن يعطوه الجزية لينصرف عنهم المعتصم، فكانوا يشتمونه ويرمونه بالحجارة. فلم تزل هذه حالهم حتى فتح المعتصم عمورية وقُتِل فيها خلق كثير وسبى منها سبياً كثيراً وذلك في شهر رمضان من سنة خمس وعشرين ومائتين توافق سنة ٨٣٩ مسيحية».

سنة ٣٨٢ هـ، (٩٩٢م) قال البطريرك افتيشيوس المعروف بسعيد بن بطريق المتطبب في (تاريخه) طبع اليسوعيين سنة ١٩٠٥ (٢: ص ١٧٥) أنه بزمن خلافة القادر بالله العباسي عصى المسلمون في بلد اللاذقية وسار مخايل البرجي والي انطاكية إليهم وسباهم وحملهم إلى بلد الروم وميخائيل البرجي يلقب بالماجسطرس.

سنة ٤٠٤ هـ (١٠١٣م) روى ابن بطريق (٢: ٢٢):

«وحصل الشام في أيدي بني الجراح وأقاموا متغلبين عليه إلى محرم سنة ٦٠٤. وعظمت مصادرتهم للناس مرة بعد أخرى وتعسفهم إياهم، فهرب من النصارى المقيمين بالشام خلق كثير، وتوجه جميعهم إلى بلاد الروم وقصد أكثرهم اللاذقية وانطاكية وقطنوها. وانتهى إلى (الحاكم بأمر الله) أن جماعة من النصارى قد استوحشوا وخافت نفوسهم من المقام في بلاده واستثقلوا الغيار، وأنهم يتسللون إلى

بلاد الروم سراً ويبذلون لأصحاب المراكز والطرقات مالاً حتى يطلقوهم، فأذن في صفر من السنة (٤٠٤ هـ) بعينها لجماعة النصارى واليهود بسجل قرىء بالتوجّه إلى بلاد الروم بأهلهم وأموالهم وما تحويه أيديهم والتصرف في ذلك على حسب اختيارهم آمنين مطمئنين إحساناً إليهم ورفقاً بهم من غير إكراه لأحدٍ منهم على المسير بل جعل الاختيار في ذلك إليهم وكتب بذلك إلى سائر أعماله ومملكته فامتثل».

وانتقل من الشام ومصر وقبرص من النصارى الذين ثبتوا على دينهم ومن الذين أسلموا خلق كثير ظاهراً ومكشوفاً بعد أن باعوا أملاكهم ورجالاتهم التي ثقل عليهم حملها، ولم يعترضوا في ذلك، ولا فتش عليهم. فتوجهوا إلى اللاذقية وأنطاكية وإلى غيرهما من بلاد الروم».

٤١١هـ (١٠٢٠ م) روى ابن بطريق (٢: ٢٣٩) بعد موت الحاكم بأمر الله في هذه السنة:

«عاد النصارى إلى التظاهر بأعيادهم، وخروج البواعيث إلى كنائسهم التي في ظاهر المدينة والتظاهر بذلك، والظاهر يحضر لمشاهدة اجتماعاتهم، ويتقدم بعيانتهم وخففوا الغيار الذي عليهم واقتصر الأكثرون منهم على لبس زنار وعمامة سوداء، وأطلق لهم عمارة الكنائس ورد أوقاف لم تكن استطلقت من يد الحاكم.

وعاد من بلاد الروم جماعة من النصارى الذين أسلموا وتظاهروا بالنصرانية، ولم يتعرض لهم أحد، وأخذ منهم وممن عاد من النصارى بمصر أيضاً الجزية منذ سنة التي انتهت استخراجها منهم إلى سنة التي عاد فيها كل واحد منهم».

وروى ابن بطريق (١: ٢٠٣ و ٢٠٤) ما نصُّه:

«ثم بعث (يوستنيانوس) الملك برسول آخر ووجّه معه مائة رجل من عبيد الروم مع نسائهم وصبيانهم، وأمرهُ أن يأخذ من مصر مائة رجل أخرى مع نسائهن وصبيانهن من العبيد (في الحاشية: العبيد الروم أيضاً) وبنى لهم خارج طور سينا بيوتاً يسكنون فيها هناك، ويحفظون الدير والرهبان ويجري عليهم الأرزاق ويُحمل إليهم وإلى الدير من مصر من المعونة ما يكفيهم. فلما وافى الرسول إلى طور سينا بنى خارجاً من الدير

في شرقيه منازل كثيرة وحصَّنها بحصن، وأسكن فيها العبيد، فكانوا يحفظون الدير ويذبّون عنه. والموضع يسمى إلى هذا الوقت (دير العبيد). فلمَّا توالدوا وكثروا وطال بهم الزمان وظهر الإسلام، وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان، أغار بعضهم على بعض وقتل بعضهم بعضاً، فمنهم من قتل ومنهم من هرب ومنهم من أسلم. وأولادهم إلى هذا الوقت في الديارات مسلمون يقال لهم (بنو صالح) ويسمون «غلمان الدير» إلى اليوم ومنهم (اللخميون). وخرّب الرهبان منازل العبيد، بعد أن أسلموا لئلا يسكن فيها أحد وهي إلى اليوم خراب».

سنة ٤٦١ هـ. ١٠٦٨م ولي الشام الأمير حصن الدولة علي بن حيدرة بن فزد الكتامي فبالغ في المصادرات وارتكاب المظالم، فلم يلقَ أهل البلد من التعجرف والظلم والعسف بعد جيش ابن الصماصمة في ولايته ما لقوه من ظلمه وسوء فعله، فخربت أعمال دمشق وجلا عنها أهلها وجلت الأماكن من قاطنيها والغوطة من فلاحيها.

وسنة ٥٧ هـ (١١٧٤ م) دخل صلاح الدين الأيوبي دمشق وأزال المكوس وكانت الولاية في . . . وأسرفت. وأبطل نور الدين قبله المغارم في دار البطيخ وسَوْق الغنم والكيالة وعرصة البقل. . .

قال ابن سباط العاليهي في تاريخه المخطوط بخزانتي بتاريخ سنة ٦٧٩ هـ. (١٢٨٠ م): «وصل إلى بعلبك ودمشق خلقٌ عظيم من الجفّال من حلب وبلادها وحماه وحمص والبلاد الشمالية هاربين من التتر».

وجاء في كتاب «المسالك والممالك» للاصطخري (طبع ليدن هولندا، سنة ١٨٧٠ صفحة ٦٦) ما نصّه:

«زويلة بلد في وجه أرض السودان وهؤلاء الخدم السود أكثرهم يقع إلى (زويلة). وأرض المغرب ما كان منها (في شرقي بحر الروم) بقرب الساحل فتعلوهم سمرة. وكلما تباعدوا فيما يلي الجنوب والمشرق ازدادوا سواداً حتى ينتهوا إلى بلد السودان فيكون الناس بها أشد الأمم سواداً.

ومن كان (في غربي بحر الروم) بالأندلس فهم بيض زرق. وكلما ازدادوا وتباعدوا إلى ما يلي المغرب والشمال ازدادوا بياضاً وزرقة وحمرة شعر. إلّا أن طائفة

منهم يرجعون إلى سواد شعر وعيون، وهم صنف من الروم من الجلالقة ويقال إن أصلهم من (الشام). كما أن طائفة بخَرْشنة من أرض غسان الروم يرجعون إلى سواد شعر وعيون، ويزعمون أنهم (من العرب من غسَّان) وقعوا إليها مع جبلة بن الأيهم (أهـ)».

وقال المسعودي:

«ومدينة أسوان (بمصر) يسكنها خلق من العرب من قحطان ونزار وربيعة ومضر وخلق من قريش».

وقال الكمال جعفر الأردفوي. . . :

«كان بثغر أسوان بنو الكنز من ربيعة أمراء ممدوحون مقصودون صنع لهم الفاضل السديد أبو الحسن بن عزام سيرةً ذكر فيها مناقبهم وأسماء من مدحهم ومن ورد عليهم. ولما أرسل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب جيشاً إلى كنز الدولة وأصحابه، نزحوا عن البلاد فدخلوا بيوتهم فوجدوا بها قصائد من مدحهم. . . وكان بأسوان رجال من العسكر يستعدون بالأسلحة لحفظ الثغر من هجوم النوبة والسودان عليه. فلما زالت الدولة الفاطمية أهمل ذلك فثار متملك النوبة في عشرات آلاف ونزل تجاه أسوان في جزيرة وأسر من كان فيها من المسلمين. ثم تلاشى بعد ذلك أمر الثغر واستولى عليه أولاد الكنز من بعد سنة تسعين وسبعمائة، فأفسدوا فساداً كثيراً وكانت لهم مع ولاة أسوان عدة حروب. إلى أن كانت المحن منذ سنة ست وثماني مائة، وخرب إقليم الصعيد، ارتفعت يد السلطنة عن ثغر أسوان ولم يبقَ للسلطان في مدينة أسوان والٍ، واتضع حاله عدة سنين ثم زحفت هوارة في محرم سنة خمس عشرة وثمانمائة إلى أسوان وحاربت أولاد الكنز وهزموهم وقتلوا كثيراً من الناس وسبوا ما هناك من النساء والأولاد واسترقّوا الجميع وهدموا سور المدينة ومضوا بالسبي وقد تركوها خراباً لا ساكن فيها».

وقال مقريزي في (كتاب السلوك):

«قال مؤلفه رحمه الله وقد غلب أولاد كنز الدولة على النوبة وملكوها من سنة. . . وبنى بومقلة (بونقلة) جامعاً يأوي إليه الغرباء».

وقال أيضاً:

«فيها جَمَعَ كنزُ الدولة والي أسوان العرب والسودان، وقصد القاهرة يريد إعادة الدولة الفاطمية، وأنفق في جموعه أموالاً كثيرة وانضم إليه جماعة ممن يهوى هواهم فقتل عدة من أمراء صلاح الدين. . . فجهز السلطان صلاح الدين أخاه الملك العادل في جيش كثيف ومعه الخطيب مهذب بمائتي فارس فسار. . . فلقيه كنز الدولة بناحية طود وكانت بينهما حروب فرَّ فيها كنز الدولة بعدما قُتِل أكثر عسكره ثم قُتِل في سابع صفر وقدم العادل إلى القاهرة في ثامن وعشرين. . .».

الجزء الأول

الأصول والمناشئ

أصول الأمم القديمة

من أفضل حدود الإنسان أنه (حيوان ناطق). والسلائل البشرية ترجع إلى نوح الذي أعقب ثلاثة: ساماً وحاماً ويافثاً. ونظراً لتفرع الناس منهم، وجد الباحثون بالإجمال عن أصول الأمم القديمة والحديثة وعلاقاتها بهذه الأصول الثلاثة:

أن **(أهل أفريقية)** من نسل حام.

و**(أهل آسية)** من نسل سام.

و**(أهل أوروبة)** من نسل يافث.

وأما عند التخصيص والتفصيل فيقال:

إن **(نسل حام)** عمَّروا الأراضي المحدقة بالنيل من منشئه إلى مصبه، ويرجعون في أنسابهم إلى سبأ وفوط ولوديم وفتروسيم وكفتوريم ومصرايم ونفتوحيم ولهافيم وكسلوحيم. وعمَّروا سواحل سورية، وهم الفلسطينيون والكنعانيون وأهل حماه. ويرجعون في أصلهم إلى كنعان وفلسطين وصيدون وحماة. وسكان العراق قديماً ومرجعهم إلى نمرود. وسكان غربي شبه جزيرة العرب من الجنوب ويرجعون إلى ودان وبعض أهالي جنوبي تلك الجزيرة يرجعون إلى سبتة وحويلة وشبا.

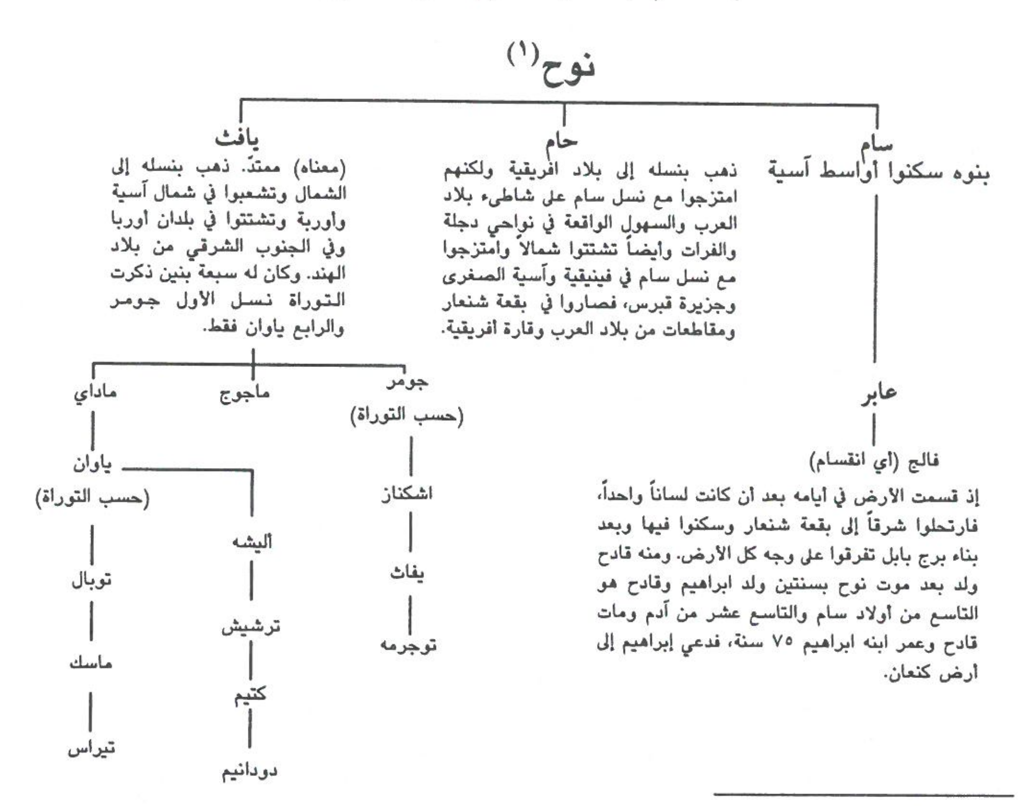
و**(نسل سام)** سكنوا ما بين النهرين، وهم الأشوريون أبناء أشور وسكان ما وراءها من أعالي سورية، وهم الآراميون واللوريون من نسل آرام ومود. والفرس هم من نسل عيلام. وبعض أهل آسية الصغرى في شمالها فيما هو الآن بلاد سيواس، وهم من نسل مشيش. وأهالي أواسط بلاد العرب فيما هو اليمامة ونجد وهم من نسل عوص. وقبائل جنوبي بلاد العرب فيما هو اليمن وحضرموت والحجر وتهامة والحجاز ويرجعون إلى بارح وسبا وحضرموت وأوزال وأوفير وشالف ويقطان وحويلة. وسكان ما يلي برزخ السويس بين سورية ومصر وهم من نسل عابر.

و**(نسل يافث)** ينتشر في معظم آسية الصغرى وتركستان وبلاد فارس وأرمينية ورومانية وبلاد اليونان والرومان وسائر بلاد أوروبة وقبرص، وهم يرجعون في أنسابهم إلى ماداي وتوجرما وأشكناز وتوبال وياوان وماجوج وترشيش وكتيم ودودانيم وأليشة وتيراس وجومر.

هذا بحسب نصوص التوراة. فيبقى أمم الصين والهند واليابان وأوسترالية وأميركة فيمكن رد هؤلاء السكان إلى ما يقرب منهم من الأمم المعروفة. فسكان أميركة فإنهم من أوروبة والشرق الأقصى.

والخلاصة أن الإنسان وجد أولاً في أواسط آسية، ومنها نزح إلى بقية الأماكن واستعمرها بسلائله فاستعمر أولاً ضفاف الفرات ودجلة بين العراق وأرمينية حتى كثرت سلائله. فرحل شيئاً فشيئاً حسب حاجته إلى المعيشة والمزاحمة وأكبر مهاجرة تبلبُل الألسنة في برج بابل.

أنساب الأمم بحسب التوراة وتفاسيرها

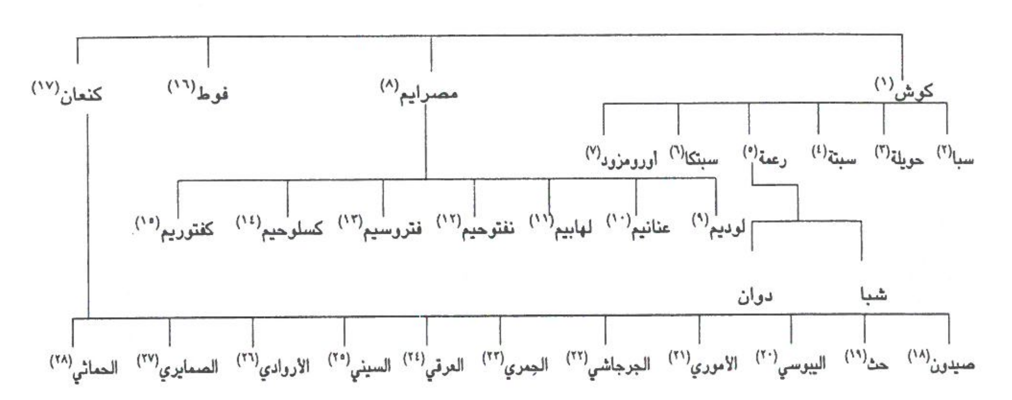


(١) قال افتيشيوس المكنى بسعيد بن بطريق في تاريخه طبع اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٠٥، صفحة ١٧ ما نصه:

«فاجتمع منهم اثنان وسبعون رجلاً (لبناء برج بابل)... منهم من بني سام خمسة وعشرون رجلاً قد سكنوا من الفرات والموصل إلى أقصى المشرق، فمنهم السريان وديار ربيعة والجزيرة والجرامقة والكلدانيون. وهم أهل بابل وفارس وخراسان وفرغانة والسند والهند وجزيرة الصين والعبرانيون واليمن والطائف واليمامة والبحرين وأجناس العرب. ولهم من الخطوط ثمانية: عبراني وسرياني وفارسي وهندي وكلداني وهو البابلي وصيني وحميري وعربي، ولسام من البحار الفرات ونهر بلخ.

ومنهم من بني (حام) اثنان وثلاثون رجلاً قد سكنوا في الشام وتسمى أرض كنعان لأن حام كان له ابن يسمى كنعان إلى أقصى المغرب. فمنهم الكنعانيون والفلسطينيون وأهل مصر والقبط ومريس وأجناس السودان والحبشة والنوبة والبجاة والزنج والزط وقران والسامرة والزابع والمغاربة والبربر. ولهم من الجزائر ست وعشرون جزيرة منها سردانية ومالطة واقريطش (كريت) وبعض جزيرة قبرص وغير ذلك. ولهم من الخطوط ستة: مصري ونوبي وحبشي وفرنجي وفتولكس وقنقلي. ولهم من البحار النيل. =

تابع «أنساب الأمم بحسب التوراة وتفاسيرها»
(أبناء حام)



= ومنهم من بني (يافث) خمسة عشر رجلاً قد سكنوا من دجلة إلى أقصى الشمال. منهم الترك والبجناك والطغرغر والتبت وياجوج وماجوج والخزر واللآن والانجاز والصنابرة وجرزان وأرمينية الكبرى وأرمينية الصغيرة وحوران وانطاكية والخالدية وأفلاغونية وقبادوكية وخرشنة واليونانيون والروم وبزنطية والروس والديلم والبلغار والصقالبة والأنكبردة والافرنجة والجلستيين والأندلس. ولهم من الجزائر اثنتا عشرة جزيرة منها رودس وسقلية وقبرس وسامس وغير ذلك. ولهم من الخطوط ستة: يوناني ورومي وأرمني واندلسي وافرنجي وجرزاني. وليافث من البحار دجلة. فمن الطوفان إلى بنيان البرج وتبلبل الألسن خمسمائة وثماني وسبعون سنة، ومن آدم إلى بنيان البرج ألفان وثمانمائة وأربع وثلاثون سنة». انتهى.

(١) كوش أبو الإثيوبيين أي الحبشيين في جنوبي مصر وأيضاً الكلدانيين في أرض شنعار وقبائل أخرى في بلاد العرب. وسماهم يوسيفوس الإثيوبيين الشوشانيين أو الكوشيين. وإلى الآن هو اسم بلاد الحبش بالسريانية مما يدل على أن بعض الحاميين بقوا في آسية لأن نمرود مؤسس بابل وأركه وأكدوكلنة في أرض شنعار ومؤسس نينوى على ما يظن هو ابن كوش. وتوجد تشابهات بين اللغة الحبشية القديمة واللغة القديمة في أرض شنعار كما تدل آثار بابل.

والكلدانيون من نسل كوش وكانوا بين أول ساكني بقعة شنعار حيث صاروا قبيلة قوية وعظمت مملكتهم وأطلق اسم الكلدانيين بعدئذ على جميع شعب بابل ودعيت كل البلاد أرض الكلدانيين. وهم ليسوا من الجنس السامي الذي تسلط على تلك الأرض بعدئذ ولكن لا يعرف تماماً أصل هذا الاسم. ولغتهم قريبة مشابهة للغة الحبش القدماء وصارت بعدئذ اللغة المقدسة العلمية عند المجوس والمنجمين في بابل. واختلفت عن لغة بابل الاعتيادية المتأخرة التي تسمّت الكلدانية أو الآرامية الشرقية وفيها كتب جزء من سفر دانيال. وقال مؤرخون يونانيون عن الكلدانيين إنهم سكنوا الشمال بين جبال أرمينية. ويزعم أن بعض سكان شنعار ذهبوا شمالاً وسكنوا هناك أو أن ملوك بابل أرسلوا إلى هناك بعضاً لكي يؤسسوا مهاجر.

. . . .

(٢) سبا ابن كوش: أبو قبيلة من إثيوبية غنية ومشهورة بالتجارة سكنوا شمالي بلاد الحبش في مقاطعة تسمى (ميرو) وقال هيرودوتوس إن أهل سبا من أظرف وأطول الناس. وقال يوسيفوس إن اسم (ميرو) القديم (سبا) حتى أن كمبيز ملك الفرس لما افتتح مصر سماها باسم اخته ميرو.

(٣) ذكر اثنان بهذا الاسم أحدهما من نسل حام وهو هذا، والثاني من نسل سام الذي هو من أبناء يقطان. ويظن أن حويلة الحامي أقام في الجنوب الغربي من بلاد العرب في مقاطعة (شولان). وربما امتزج نسله بنسل حويلة السامي وصارا شعباً واحداً. أما أرض حويلة (تكوين: ٢: ١١) فهي على الظن في الشمال الشرقي من بلاد العرب.

(٤) إن سبتة هو أبو قبيلة من قبائل جنوبي بلاد العرب مقرها مقاطعة حضرموت.

(٥) رعمة هو أبو (شبا) و(دوان) اللذين أقاما جنوبي بلاد العرب وذكر في (تكوين ٢: ٢٨) شبا آخر هو من أولاد يقطان ومن المعروف وجود مقاطعة مشهورة وغنية في جنوب بلاد العرب بهذا الاسم.

(٦) قيل أقام في أرض أفريقية على شاطىء البحر جنوبي بوغاز باب المندب. وقيل على شرقي شاطىء خليج العجم تجاه مقر (رعمة).

(٧) اختلف المفسرون في ما جاء في (تكوين ١٠: ١١) قوله: ومن تلك الأرض خرج أشور وبنى نينوى فبعضهم يقول إن أشور اسم شخص من نسل سام مذكور في (تكوين ١٠: ٢٢) فذهبوا على هذا القول إلى أن أشور أسس نينوى. وقال فريق إن فاعل خرج المذكور في (تكوين ١٠: ١٦) هو نمرود الذي خرج من تلك الأرض إلى أشور وبنى نينوى. وهذا الرأي هو المرجح إذ لا يسلّم العقل بإدخال ذكر شخص من نسل سام بين نسل حام لوجود براهين على أن نسل حام تسلط أولاً على بلاد أشور وبابل. وعدا هذا لم يذكر اسم أشور قبل هذا في الكتاب [العهد القديم] إلّا إشارة إلى بلاد (تكوين ٢: ١٤) وذاك مما يوافق الرأي باستخدامه لهذا المعنى هنا. وأشور كان أكبر في العمر من نمرود. والمظنون أنه سكن بلاد أشور قبل خروج نمرود إليها ومن ذلك سميت البلاد باسمه.

(٨) إن اسم مصرايم هنا بصيغة المثنى. فلا بد من إشارته إلى مصر وهو مثنى ليعمّ مصر العليا والسفلى. ويظن أن اسم ابن حام كان مصر ولأن مصرائيم نسله سكن المصريين العليا والسفلى فلهذا عبّر عنه بصيغة المثنى لجمع القسمين تحت اسم واحد.

(٩) لوديم ابن مصر، أبو قبيلة مركزها شرقي نهر النيل في أرض جلسان (أرميا ٤٦: ٩ وحزقائيل ٣٠: ٤ و٥).

(١٠) عنانيم أو عناميم: يظن أنها قبيلة مركزها دلتا النيل.

(١١) لهابيم قبيلة مركزها غربي دلتا النيل بقرب موقع الاسكندرية ويظن أنها القبيلة المشار إليها في (الأيام الثاني ١٢: ٣ و١٦: ٨ وناحوم ٣: ٩ ودانيال ١١: ٤٣).

(١٢) نفتوحيم قبيلة مركزها جنوبي الدلتا بقرب القاهرة والمظنون أنهم نفس الشعب الذين عبدوا الإله (فتاه) واسمهم في اللغة القبطية (فاهتاه) أي شعب فتاه (زيادة وهو فتاح أو يتاح آله مصري).

. . . .

(١٣) فتروسيم قبيلة مركزها مصر العليا ذكرت مراراً في الأنبياء (اشعياء ١١: ١١ و١ ر ٤٤: ١ ومزامير ٢٩: ١٤ و٣٠: ١٤).

(١٤) كسلوحيم قبيلة مركزها بين مصر وفلسطين. ويحسب المدققون أن الخلخيين الذين يسكنون شاطىء شرقي بحر الأسود يحسبون جزءاً من هذه القبيلة. ويقول هيرودتوس المؤرخ اليوناني عن الخلخيين (نسبة إلى خلخ) أنهم شعب مصري قيل في (عاموس ١٤) بعد لفظة كسلوحيم هذه العبارة. وهي التي خرج منها فلشتيم وقيل في (عاموس ٩: ٧) إن الفلسطينيين من (كفتور). وبناءً على ذلك زعم بعضهم أن جملة الذين خرج منهم فلشتيم تتبع لفظة كفتوريم في (عدد ١٤). وقال آخرون: إن الكفتوريين إذ سكنوا جزيرة اقريطش (كريت) جاء بعضهم إلى أرض فلسطين فعلى هذا يكون أصل الفلسطينيين من كسلوحيم أو كفتوريم. لأنه جاء أناس من القبيلتين.

(١٥) يظن أن قبيلة كفتوريم سكنت (كريت).

(١٦) (فوط) هو أبو الليبيين الذين أقاموا في الشمال الغربي من أفريقيا (أرميا ٤٦: ٩ وحزقائيل ٢٧: ١٠ و ٣٠: ٥ و ٣٨: ٥).

(١٧) كنعان أبو الكنعانيين واختلف العلماء في أصلهم هل هو حامي أو سامي على أقوال. قيل من نسل حام مع أنهم نطقوا باللغة السامية فقيل حينئذ تعليلاً لهذا: أن جنساً سامياً سكن أولاً في أرض كنعان ولما أخذها الكنعانيون اكتسبوا اللغة الدارجة فصارت لغتهم. ويرجح وجود شعب قبل الكنعانيين في فلسطين كما ذكر في (تكوين ١٤: ٥ و ٦ وتثنية ٢: ٢٠ و٢٤) فالرفائيون والزوزيون والإعيون والزمزميون والعناقيون والعديون والحوريون جميعها أسماء مختلفة ذكرت بها تلك الشعوب أو قبائل منها. ويحتمل أن هؤلاء المتوطنين الأصليين هم من نسل سام ولكن يبعد عن الاحتمال أن الكنعانيين أخذوا لغة تلك القبائل. ولا يخفى أن اللغات المدعوة سامية تكلم بها أناس ليسوا بساميين. فبعض أولاد حام تكلموا بلغات سامية كالكنعانيين والبابليين والأشوريين والأرجح هو وجود علاقة قديمة أو مداخلة بين تلك القبيلة من نسل حام وقبائل سامية ومنهم أخذت اللغة السامية. وأتت هذه اللغة مع الحاميين عندما جاؤوا وأخذوا أرض فلسطين.

قيل في (تكوين ١٠: ١٨) وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني، أي بعد أن امتلكوا الأرض تفرقوا في كل أرض فلسطين وتملكوها من صيدون إلى غزة وإلى سدوم.

واختلفوا هل إن من الكنعانيين الفينيقيين؟ والمنكرون قالوا إن الفينيقيين ساميون جاؤوا من جوار خليج العجم في عهد دخول إبراهيم إلى فلسطين. والمرجح الأول أي أن الفينيقيين من الكنعانيين لأنهم أشبهوا بعاداتهم وعباداتهم ما عدا لغتهم نسل حام. لأن أبناء سام كانوا كأبناء شيت يصرفون حياتهم بالارتحال ولم يستقروا في محل لسكناهم بخلاف أبناء حام فكانوا كأبناء قايين يسكنون المدن ويعمرون القصور ويتَّجرون ويتقدمون في النجاح. قابل مصر وبابل ونينوى وصور وصيدا مع الإسرائيليين والإسماعيليين والعرب.

(١٨) من أبناء كنعان = صيدون، وهو أبو الصيدونيين ومعنى صيدون (صيَّاد) وكانت مقاطعة صيدون من أشرف وأقدم مقاطعات الفينيقيين.

. . . .

(١٩) حث أبو الحثيين الذين أقاموا بقرب حبرون.

(٢٠) اليبوسي أبو اليبوسيين الذين أقاموا في أورشليم.

(٢١) الأموري أبو الأموريين وهم قبيلة من أقوى وأوسع القبائل الكنعانية أقاموا في يهودا وعبر الأردن

(٢٢) الجرجاشي أبو قبيلة الجرشايين التي أقامت شرقي طبرية.

(٢٣) الحوّي أبو الحويين الذين أقاموا بقرب جبل الشيخ وجبل لبنان وامتدوا إلى شكيم وجبعون.

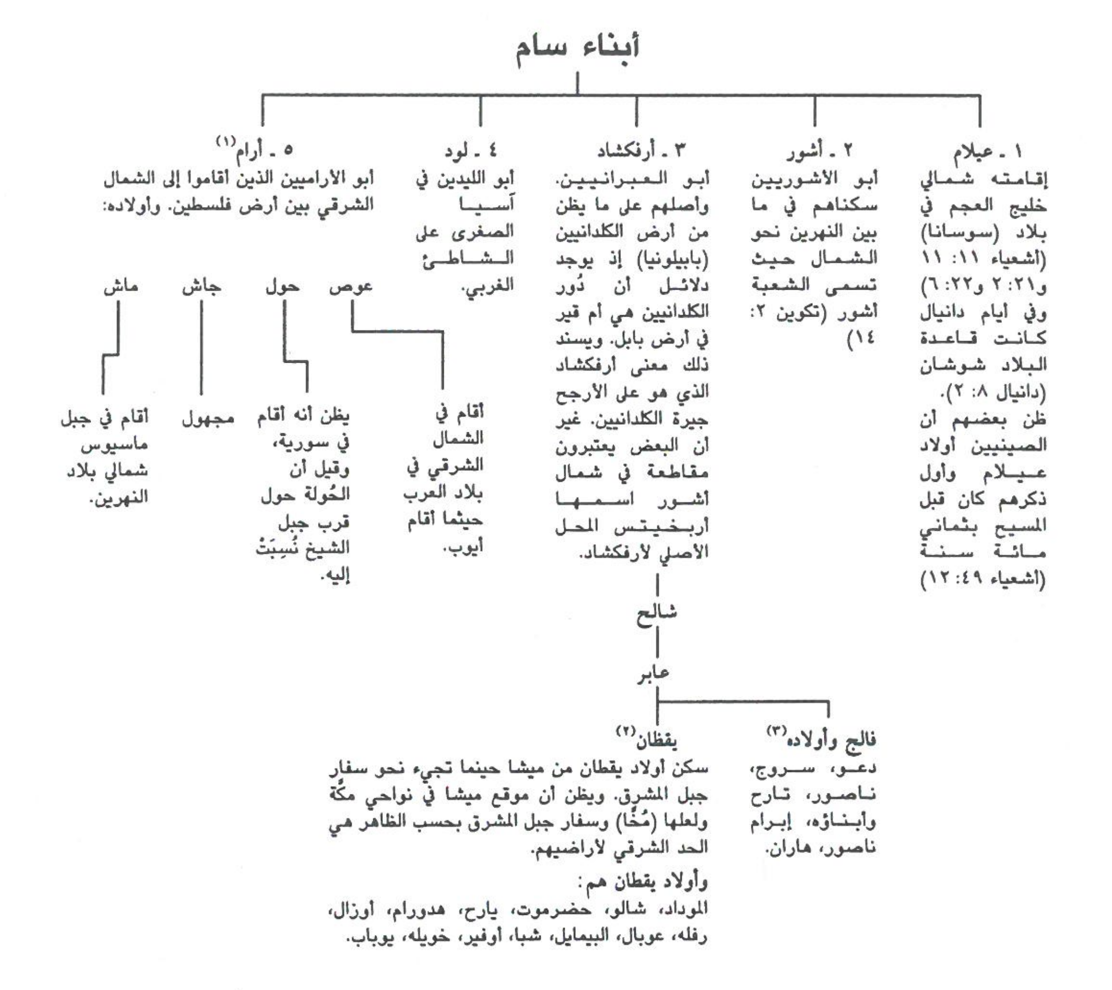
(٢٤) العرقي أقام نسله شمالي طرابلس وإلى الآن يوجد هناك تلّ اسمه تل عرقة.

(٢٥) السيني ابو السينيين الذين أقاموا بقرب عرقة وهناك نهر السن أو السين.

(٢٦) الأروادي أبو الأرواديين الذين تديّروا جزيرة أرواد في بحر الروم إلى شمالي طرابلس الشام.

(٢٧) الصماري أبو الصماريين الذين أقاموا على البحر قرب جزيرة أرواد (زيارة صَمَر جبيل).

(٢٨) الحماتي أبو الحماتيين الذين أقاموا في حماة (عا ٦: ٢ وقضى ٣: ٣ و، مل ٢٣: ٣٣) (ولعل حامات باسمهم).



(١) لم يذكر الكتاب المقدس إلا نسلي الثالث والخامس لتعلقه بمواضيعه.

(٢) أقام نسل يقطان في بلاد العرب وتشتتوا في الأرض الواسعة وبعد ذلك بأجيال امتزجوا بنسل كوش.

(٣) أما نسل فالج فمذكور ومصرح به في (تكوين ١١: ١٠ إلى ٢٧) ومنه تسلسل ابرام وأقامت أسرته في أور الكلدانيين، وقيل هي أورقا. ويرجح أنها إلى الجنوب الشرقي من بابل بحسب اكتشافات رولنسون في أم قير وهي أور الكلدانيين. وابرام أقام في أرض كنعان وصار أباً لأربع سلائل تفرع منها شعب عظيم والسلائل هي:

١ - سلسلة اسماعيل أبي الإسماعيليين. ٢ - سلسلة عيسو بن إسحق أبي الآدميين.

٣ - ابنا قطوره. ٤ - سلسلة يعقوب ابن إسحق أبي الإسرائيليين.

خلاصة الجداول الثلاثة لأصول العالم[1]

الجدول اليافثي: يتضمن أربعة عشر اسماً منها (سبعة) تشير إلى قبائل أصلية و(٧) قبائل متسلسلة.

الجدول السامي: يتضمن (٢٥) اسماً منها خمسة قبائل أصلية والبقية متسلسلة.

الجدول الحامي: يتضمن (٣٠) اسماً منها أربع قبائل أصلية والبقية متسلسلة.

أنساب التوراة في مواليد الأمم (تكوين: ١٠)

إن الكتاب المقدس ينتقل من تاريخ نوح إلى الكلام عن أنسال أولاده. وهذا الخبر بقطع النظر عن (كنوز سلطان) الذي يحسب عند الجميع من ألذ أخبار العالم بهذا الشأن سواء كانت في مواليد القبائل أو في علم الجغرافية.

إن جداول الكتاب النسبية تنسب أصل كل القبائل والأمم إلى شخصين. فإن الجنس البشري تسلسل من آدم وهو الراس الأول وهلك بواسطة الطوفان، إلا نوحاً وعائلته وهو الراس الثاني. ومع أن منطق الكتاب بشأن الطوفان يحتمل أن المياه لم تغطّ كل وجه الأرض، فالأمر واضح أن كل العالم المعمور غطته المياه حينئذٍ. وقبل درس هذا الاصحاح يجب النظر إلى أمرين وهما:

١ ـ القوانين الضرورية لتفسيره تفسيراً صحيحاً.

٢ ـ الأساس التاريخي المبني هذا الإصحاح عليه.

أولاً: يجب ملاحظة قوانين معلومة لأجل حلّ بعض المشاكل الموجودة في هذا الجدول وهي:

١ ـ مع وجود بعض الملاحظات عن أجداد كل الأمم، واضح أن القبائل التي لها تعلّق قليل أو كثير مع العبرانيين حكي عنها فيه أكثر من البقية.

(١) **النشرة الأسبوعية**، عدد ٢٦، مجلّد ٥٠، الثلاثاء في ٢٩ حزيران ١٨٧٥.

٢ ـ إن الكلام عن الشعوب البعيدة عام يعتبر الأمة فقط، وأما الكلام عن الشعوب الذين لهم علاقة مع العبرانيين وكانوا أقرب إليهم مجاورة فخاص ويعتبر ليس الأمة فقط، بل أيضاً قبائل تلك الأمة وعيالها.

٣ ـ إن بعض العيال التي حُكِيَ عنها بتفصيل وصل القول عنها إلى أيام موسى.

٤ ـ ولكن لا يجوز أن لا ننسب لإحدى القبائل مسكناً بعيداً جداً، لأنه لا يمكن أن يكون التفرُّق الأصلي وقتئذٍ قد امتد إلى بُعد شاسع.

٥ ـ نرى في بعض الأحوال أنه قد استعملت أسماء القبائل عوضاً عن أسماء الأشخاص، كاليبوسي والحثي والعرقي وغيرهم وربما من هذا الباب أيضاً كتيم ودودانيم ومصرايم. يُعلَّل عن هذا على طرق مختلفة. فإن غرض الكاتب تتبّع القبائل والعيال وليس تاريخ الأفراد. ولذلك يذكر القبائل التي عرفها الإسرائيليون كأنها ولدت (أي تناسلت) من البطاركة يعرفونهم. مثال ذلك قول الكتاب أن كنعان ولد اليبوسي والأموري والجرجاشي وذلك أولى من تتبع أنساب تلك القبائل بذكر أشخاص لم يعرفوهم. وربما عرف أشخاص البطاركة والأجداد عند نسلهم ليس بأسمائهم الأصلية، بل باسم المكان الذي سكنوا فيه أو باسم القبيلة التي أنشأوها وحكموا عليها. وغالباً معرفة أصل الأسماء عَسِرَةٌ جداً. وكان دارجاً في القبائل القليلة التمدن أن يدعى الأشخاص باسم أماكنهم أو القبائل التي حكموا عليها.

ثانياً: الأساس التاريخي المبني عليه الجدول النسبي في هذا الإصحاح. إن هذه الكتابة هي بحسب ما ذهب إليه هافرنك وكيل، وهو الأرجح، مبنية على تقليد قديم جداً أي من زمان إبراهيم أو قبله. غير أنه على رأي كنوبل، معرفة الأمم المذكورة فيه نتجت على الأخص من مداخلة العبرانيين مع الكنعانيين الفينيقيين أي من أصل أممي، علامات القدمية البعيدة ظاهرة من هذا الجدول ظهوراً لا يشوبه ريب من ماهيته ومن ذلك:

١ ـ قلة الكلام عن النسل اليافثي.

٢ ـ ذكر الجرجشيين كرأس نسل حام والملاحظات التاريخية عن نمرود، وكذلك يستنتج أن سدوم وعمورة كانتا حينئذ في الوجود (عدد: ١٩).

٣ ـ انقطاع جدول نَسَب اليهود عند فالج، والمعرفة المدققة في تشعّب عرب يقظان الذين الكلام عنهم بقدر الكلام عن كل نسل يافث. ثم إن في هذا الجدول تذكار أخبار كثيرة عامة أو خاصة. أما نسل يافث فلم يتكلم عنه إلّا قليلاً. وبعد ذكر أولاد يافث السبعة لا يذكر له حفدة إلّا من جومر وياوان بين الشعوب الذين في آسيا وسكان شطوط البحر المتوسط وجزائره. وأما ماجوج وماداي وتوبال وماسك وتيراس فلم يذكر شيء عن أنسالهم. وأما نسل حام فخبره طويل. فأولاً يذكر أولاد حام الأربعة ثم خمسة أولاد بكره كوش، ثم أبناء رعمة ابن كوش الرابع فيكون هذان الأخيران حفيدَي ابن حام ثم يذكر نمرود كأنه ذو شهرة خصوصية بين أولاد كوش. ثم يتبع كلام عن مصرايم ثاني أولاد حام وبنيه الستة ثم يذكر للسادس منهم أي كسلوحيم ابنان وهما فلشتيم وكفتوريم وهذان أيضاً حفيدان لأحد أولاد حام. وأما فوط وهو رابع أولاد حام فهو وحده لا يذكر له نسل. وأما الخامس أي كنعان فَذُكِر له أحد عشر ولداً منهم صيدون جد الفينيقيين. ويوجد مَن يحسب الفينيقيين من نسل سام ومركزهم الأصلي شرقي خليج العجم. والباقون هم رؤوس القبائل الكنعانية الأخرى. وأخيراً ذكر لسام خمسة بنين منهم عيلام وأشور ولود ولم يذكر لهم نسل. وأما ابنهُ أرام فذكر له أربعة بنين وهم حفدة سام. ولكن الكلام عن أرفكشاد من أولاد سام أكثر من الكلام عن أخوته كأنه أهمهم جميعاً. فإن نسل سام من أرفكشاد وصلة وصل إلى ابن ابن ابنه عابر. وعابر هو أهم من كل النسل السامي. ففي أيام ابنه فالج قُسِّمت الأرض وذُكِر ليقظان ابنه الثاني ثلاثة عشر ابناً هم بنو ابن ابن ابن سام.

يظهر لنا من الشرح المتقدم:

أولاً: أن هذا الجدول يوضح جليّاً الأصول الثلاثة لتسلسل الجنس البشري من نوح وهم سام وحام ويافث. ولا يخفى أن فيه قد انقلب الترتيب بينهم بالنسبة إلى أعمارهم والسبب: بما أن سام هو جدّ شعب الموعد فإليه اتجه اعتبار الجدول على نوع خصوصي. ثم إن نسل يافث وجب أن يذكر أولاً لأن

تاريخ إسرائيل له علاقة قريبة جداً مع نسل حام. وإذ ذاك أصبح نسل يافث أقل وضوحاً من أنسال أخوَيه.

ثانياً: على الكيفية المتقدمة نرى في الجدول ذكراً واضحاً لأقرب المتسلسلين من نوح أي سبعة بني يافث وأربعة بني حام وخمسة بني سام. فنرى إذاً فيه ستة عشر أصلاً لبداءة التسلسل البشري.

ثالثاً: خمسة من بني يافث وواحد من بني حام وثلاثة من بني سام لم تمتد جداولهم إلى ما بعدهم.

رابعاً: في اليافثيين على وجه العموم لم يمتد الجدول إلى ما بعد الحفدة. وفي الحاميين يمتد من الحفيد رعمة إلى أولاده وهكذا أيضاً من الحفدة يصل إلى فلشتيم. وفي الساميين يمتد من أرفكشاد إلى أولاد أولاد أولاد الأولاد ثم من يقطان وهو أحد هؤلاء يمتد إلى درجة أبعد.

خامساً: إن الكلام في الجدول عن نسل يافث أقل مما هو عن أخويه. ولا نرى فيه إلَّا معرفة قليلة بالفينيقيين لأنه لا يذكر إلَّا صيدون مع أنه يظهر معرفة عظيمة بالمصريين وسكان أرض كنعان والقبائل العربية. وفي هذا الأمر دليل على أن أصول هذا الجدول قديمة جداً.

سادساً: يتضمن ثلاث ملاحظات جغرافية أساسية وملاحظات سياسية وملاحظات تاريخية، أما الجغرافية فهي:

١ - ذكر تعلُّق الياوانيين في جزائر البحر المتوسط وشطوطه (عدد: ٥).
٢ - تفرُّق الكنعانيين في أرض كنعان (عدد: ١٩).
٣ - تشعّب اليقطانيين في بلاد العرب (عدد: ٣٠).

وأما الملاحظة السياسية فهي ذكر أول تأسيس المدن أو الممالك في قصة نمرود. وأما الملاحظة التاريخة فهي في أمر قسمة الأرض في أيام فالج جد إبراهيم.

إن العلاّمة كرتز قد جعل القوانين الآتية ضرورية لأجل اعتبار الأسماء المذكورة في الجدول اعتباراً صحيحاً وهي:

١ - إن أكثر الأسماء تدل على شعوب. فيدعى جدّ الشعب باسم شعبه فتكون القبيلة ورأسها قد نظر إليهما نظراً إجمالياً.

٢ - يجب أن يذكر أيضاً أن الاسم يدل على الأرض وعلى سكانها معاً. مثال ذلك اسم كنعان وأرام وغيرهما، فيبادر بها الفكر من الأرض إلى الشعب، ثم من الشعب إلى جدّه.

٣ - إن الجدول في الغالب ينتقل من الظروف الحاضرة إلى أن يوضح المسألة بخصوص أصل الأمة بحيث إنه يرجع إلى وحدانية الأمم التي كانت حول المؤلف في عصره.

فنرى أن هذا الجدول النسبي هو أقدم تاريخ الأنساب الأممية وليس له نظير والمؤرخ هيرودوتس الشهير بين أقدم المؤرخين لم يقدم سوى بعض تلميحات عن فروع القبائل البشرية، ولكن هذا الإصحاح يتضمن نظراً عمومياً مستوفياً وذلك من وجهين:

(١) نسل الأمم.

(٢) موقعه الجغرافي. وتارةً تُذْكَرَ قبيلة من الوجه الواحد وأخرى من الآخر. وجميع القبائل تُنْسَب إلى أولاد نوح الثلاثة. وليس هناك ذِكر عن كل قبيلة تسلسلت من نوح بل عن أشرفها وأعظمها الموجود في زمن موسى. وهذا الجدول بداءة علم الأثنولوجيا أي علم أصل وفروع الأمم وهو مثبت يقيناً في التاريخ العالمي. وإنْ بحثنا في التواريخ القديمة المختلفة نرى براهين تدل على أصل واحد للجميع وهي مما تثبت صحة هذا الإصحاح العجيب. وإن سألنا مثلاً ممن تسلسل الكلدانيون والفينيقيون والمصريون والعرب واليونانيون والرومانيون والتتر وساكنو شمالي أوروبا والإنكليز، فالجواب المعبَّر عنه في كل التواريخ أنهم تسلسلوا من عائلة نوح.

إن أولاد يافث سكنوا أوروبا وشمالي آسيا في المنطقة المعتدلة الشمالية، وأولاد حام جزءاً من بقعة شنعار ومقاطعات من بلاد العرب وقارة أفريقية وأولاد سام أواسط آسيا. ومن جهة الصفات الأدبية لهذه الأقسام الثلاثة قد قيل إن يافث يشمل القبائل المتقدمة والمرتقية في سلم التقدم والنازحة أيضاً وسام القبائلَ التي

فيها المبدأ الثابت الديني. أما حام فلم تظهر سطوته في التاريخ إلا مدّة بعد الطوفان.

إن أهم الأمور في تاريخ الجنس البشري اختصت أولاً بنسل سام وحام وانحصرت أخيراً بنسل يافث إذ امتدوا سطوةً.

أهم شعوب سورية الكبرى (سيناء)

الآراميون

نسل أرام بن سام بن نوح. وهم فروع شتى منهم الجبابرة والعمالقة. يسمون بالمصرية الرتنو وأطلق المصريون اسم الآمو على جميع سكان سورية الساميين. ومنهم الهيروشايتو، أي أسياد الرمل، سكان بلاد التيه والعريش، والمونيتو سكان بلاد الطور.

الكنعانيون

نسل كنعان بن حام بن نوح. هاجروا إلى سورية من رأس خليج العجم مما يلي بلاد العرب في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد أي سنة ٢٢٥٠ ـ ٢٣٠٠ ق.م، وانتشروا في شمال البلاد وجنوبها وسواحلها الغربية وسكنوها مع الآراميين. ولهم حوادث مع العبرانيين ذكرتها التوراة.

الحثيون

فرع من الكنعانيين بحسب التوراة [من] نسل حث بن كنعان. وهم قسمان:

– الحثيون الجنوبيون. جاوروا الكنعانيين في جهة الخليل ومنهم العمالقة الحاميون. وكان لهم حوادث مع العبرانيين.

– الحثيون الشماليون. سكنوا شمال سورية مع الرتنو فتواطنوا أولاً جبل أمانوس (اللكام) ثم كثروا تدريجياً وأسسوا ملكاً عظيماً، وكان لهم شأن كبير مع المصريين. (راجع محاضرة كاتبه ومؤلفه المعلوف في حضارة سورية الشمالية ألقاها في حلب، سنة...).

العبرانيون

والإسرائيليون واليهود، نسل إبراهيم الخليل، ولهم شأن في مصر ومع مجاوريهم الكنعانيين في سورية وفلسطين.

الفينيقيون

أطلق اليونان اسم فينيقية على سواحل سورية الغربية وما جاورها من جبل لبنان. ويظهر أن أول من سكن هذه السواحل الأراميون. ولما جاء الكنعانيون سورية سكنوها معهم إلّا ساحل لبنان بين طرابلس وصيدا، فالمشهور أن سكانه بقوا أراميين صرفاً. وتمدُّن الفينيقيين قديم جداً، وعصره الذهبي منذ ٢٠٠٠ ق.م، أي في عهد الدولة التاسعة عشرة المصرية. وعَظُم شأنهم ولما قوي اليونان نافسوهم في الأرخبيل الرومي وأجلوا الفينيقيين عن جزره. وانتهز الفلسطينيون فرصة ضعفهم فاستولوا على عاصمتهم صيدا وخربوها سنة ١٢٠٠ ق.م.

الفلسطينيون

يقال إنهم من جزيرة كفتور. وجاء في تاريخ مصر أن قوماً من آسية الصغرى وجزيرة كريت أو قبرص هاجموا مصر براً وبحراً في أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد بزمن رعمسيس الثالث من ملوك الدولة العشرين، فانتصر عليهم وأسر معظمهم وأسكنهم في جنوب بلاد كنعان في التخوم الفاصلة بين مصر وسورية في غزة وضواحيها. فكثروا، وتفرقوا براً وبحراً حتى هاجموا صيدا سنة ١٢٠٠ ق.م. وكانوا أكبر أعداء للإسرائيليين ولهم وقائع معهم وبقوا حتى اندمجوا في سكان جنوب سورية فصاروا معهم شعباً واحداً.

الأمم القديمة

الفينيقيون: ربما من قبيلة مديان حمي موسى، فهم من نسل إبراهيم من زوجته قطورا، رافقوا الإسرائيليين في نهبهم وسكنوا في برية يهوذا.

القنيزيون: ينسبون إلى قناز بن اليفاز بن عيسى بن يعقوب.

القدمونيون: من كلمة قدم العبرانية بمعنى المشرق وقيل هم من نسل قدموس الفينيقي معلّم اليونانيين الكتابة. وقيل أنهم والحوثوث سكان جبل حرمون في أقصى الشرق واحد، وقيل المراد بهم القبائل المتنقلة بين شرقي فلسطين وجنوبها.

الحثيون: ذكرهم المصريون باسم (خيثا) ينتسبون إلى (حيث) أو (خيث بن كنعان. عاهدوا المصريين والأشوريين (في جرون).

الفرزيون: كانوا سكان بلاد كنعان قبل اليهود، وقيل كانوا يسكنون الجبل مع الأموريين والحثيين. كانوا في القبائل التي استعبدها سليمان الحكيم. لم يذكرها يوسيفوس.

اليبوسيون: هم من ولد كنعان الثالث، وكانوا ينتسبون إلى بلدة يبوس على جبل صهيون، ثم كانت من التلال التي بنيت عليها أورشليم. وهي سكنت أرض كنعان قبل الفتح الإسرائيلي واشتهروا ببطشهم وما زالوا محاصرين بقلعتهم في صهيون حتى ملك داود فأخضعهم وتفرقوا في الجهات، إلّا قليلاً منهم.

الجرجاشيون أو الجرجيون: من قبائل أرض كنعان قبل فتحها الإسرائيلي، وهم من ولد كنعان الخامس. ذكرهم يوسيفوس وقال إنه لا يعرف إلا اسمها، وكانوا يقيمون غربي الأردن.

الكنعانيون: سكان أرض كنعان قبل العبرانيين، وهي سواحل سورية وفلسطين. ولقبوا بالعمالقة ولغتهم تقرب من العبرانية. واختلفت أسماؤهم وهم قبيلة واحدة.

الأموريون: كانوا في كنعان قبل فتح الإسرائيليين لها. وذكرتهم التوراة من ولد كنعان الرابع. ومعنى اسمهم (ساكنو القمم) لأنهم كانوا يقيمون في جبال أرض كنعان مع الحثيين واليبوسيين. والكنعانيون يسكنون السواحل، وكانوا في القفر غربي بحر الميت المسمى حصاصون تامار وامتدوا غرباً إلى حيرون.

الفصل الثاني

شعوب أوروبة

العناصر الأوروبية الكبيرة ثلاثة[1]:

١ ـ **العنصر الصقلبي**: أكثرها عدداً وأوسعها بسطة في أوروبة وأحط من الآخرين رقياً وعلماً وغنى ومنه:

الروس: أطلق عليهم اسم الروس في القرن العاشر للميلاد.

البولونيون: اسمهم الأصلي لياشوفي أو لياشي. وغلب اسم قبيلة البولاني منهم على غيره.

البوهيميون: أكثر تهذيباً من كل شعوب أوروبة.

السلافينيون: فرع من الصقالبة امتزجوا بالألمان، مسكنهم النمسة، ومن قبائلهم التشيك. فأطلق اسمها على الجميع.

السرب: السرب والكرواتيون من صقالبة الجنوب فهم والبلغار والسلوفينيون أصل واحد.

(١) **المقتطف** ٤٥: ٣٢١، ١٩١٤.

اسم الصقالبة بلغتهم (سلوفيني). فقال اليونان والرومان سكلوفيني وعُرِّبت صقالبة.

البلغار: نشأوا في الشمال الشرقي من النمسة ونزحوا إلى بلاد البلقان وكانوا قبائل مختلفة غلب عليهم اسم قبيلة البلغار التركية في القرن السابع.

٢ ـ العنصر التوتوني: أرقاها وأعلمها: الألمان، أكثر النمسويين، الإنكليز، أهل أسوج ونروج، أهل دانمرك، أهل هولندة، جانب كبير من بلجكة وسويسرة.

٣ ـ العنصر اللاتيني: الفرنسيون، الإيطاليون، الأسبان، البرتغاليون، معظم أهل بلجكة ورومانية.

١ ـ الألبـان

بلاد الألبان في غربي البلقان تضم ولايتي (أشقودره) و(يانينا) والقسم الأكبر من ولايتي (موناستير) و(سلافيك)[٢].

بلاد جبلية وعرة فيها كثير من الأنهر والبحيرات والمروج الصغيرة بين الجبال، وفيها آثار يونانية ورومانية لم يسمح بالتنقيب عنها.

يعيش أهلها في الأخص على زراعة الحبوب وتربية المواشي.

أصل الألبان

يرجَّح أنهم من الشعوب الأوروبية، ويطلقون على بلادهم اسم شكبتاريا ـ والترك يسمونهم (أرناؤوط).

لغتهم لم تهذب ولم تدوَّن يحاولون كتابتها بالحروف اللاتينية وبعضهم بالحروف اليونانية ـ وضغطت عليهم الدولة العثمانية ليكتبوها بحروف عربية كالتركية فأوغر ذلك صدرهم، ونقموا عليها ولم يقبلوا رأيها.

اشتهر السكان الألبان بالحرب والفروسية وأنواعها. وكان زعماؤهم يجندونهم لمساعدة العثمانيين فكانوا من أكبر أنصارهم. ونساؤهم تقاتل مع رجالهم ولهن اعتبار بإجارة الغريب.

أقدس واجبات قبائلهم الاستئثار للقتلى (مثل العرب) حتى يتفانوا وفي بعض الجبال يموت منهم حتف أنفسهم ٧٥ في المائة فقط والباقون قتلاً.

(٢) **المقتطف**، ٤٢: ١٦١، ١٩١٣.

كانت بلادهم مقاطعة رومانية ألحقت بالمملكة الشرقية بعد انقسام الأمبراطورية. فغزاها البرابرة والسرب، فكانت مدة طويلة خاضعة طوراً للسرب وتارة لملوك القسطنطينية. واستقل أمراء الألبان بحكومة بلادهم على أثر موت أسطفان دوشن ملك السرب وتجزؤ مملكته. ولما دخل الأتراك البلقان أخضعوها لهم.

وسنة ١٤٣١ استولى الأتراك على يانينا فاجتمع الألبان كتلة واحدة بأمرة الأمير جورج كاستريوتا المعروف بـ«اسكندر بك». وشتتوا عساكرهم بمواقع كثيرة. فلما مات أخضع الترك معظم البلاد إلّا القبائل التي اعتصمت بالجبال فبقيت محافظة على عاداتها واستقلالها. وكانت سلطة العثمانيين عليهم بالاسم فقط ولا ينتفعون بهم إلا في الحرب، فيتطوعون في جيشها ويبلون البلاء الحسن وكانت لهم وجاقات [أنساق عسكرية] خاصة.

وفي أواخر القرن ١٨ استبد والٍ في أشقودره قاعدته في القسم الشمالي من ألبانية [استقل بها] وحذا حذوه علي باشا في يانينا فحاربهم العثمانيون ولا سيما علي باشا فكادت تستظهر عليه ولكنه أثار نار الثورة في بلاد اليونان فلم تخمد إلا باستقلالهم. وسنة ١٨٧٨ تحالفوا على إثر انعقاد مؤتمر برلين على الوقوف في وجه الاعتداء الخارجي على بلادهم من النمسا والسرب والجبل الأسود، فعالج العثمانيون حل عُرى التحالف. ولم يقم زعيم مثل اسكندر بك بل تفرقوا وكل قبيلة تحافظ على حقوقها وعاداتها. ولكن المتغربين منهم ألفوا لجاناً في أثينه وبخارست وبروكسل تعيد إليهم روح القومية.

سكان الألبان: عددهم نحو مليونين والمسلمون أكثر من المسيحيين قليلاً، ويتفق الفريقان على السراء والضراء ويكثر الخصام بين قبائلها.

الغيغة: في الشمال وتحتها أسباط وقبائل.

أهم قبائلهم: المرديتة أو المرديت. وعددهم نحو عشرين ألفاً. وبلادها جبلية منيعة موقعها إلى الجنوب الشرقي من أشقودره، وتكاد هذه القبيلة تكون مستقلة عن الدولة العثمانية. حتى أن عساكرها [لم تدخل مناطقها] إلا مرّة سنة ١٨٨٠ لتمرُّد أحد زعمائها.

التوسكة: في الجنوب. وتحتها أسباط وقبائل. وهم ألطف طباعاً لاختلاطهم باليونان والصقالبة (السلاف) فارتقوا أكثر من (الغيغة)، ونشأ بينهم الزرّاع والصناع والتجار.

الألبانيّون

ذكرهم شمس الدين سامي بك في (قاموس الأعلام) التركي ودوروي في (تاريخه): والألبان من أقدم الشعوب التي تديرت الجنوب الشرقي في أوروبة وهم من سلالة الآريين ومن أقدم جالياتهم فاعتصموا ببلادهم أجيالاً طويلة غير ممتزجة بغيرها من الأمم على كثرة المجتاحين لأوروبة من الغزاة. وحقق بعض الباحثين وفي مقدمتهم ثان هاهين النمساوي أنهم من البلاسيجيين[٣] المشهورين بحراثة الأرض والتجافي عن الحرب فخالفهم سلائفهم الألبان بحبّهم للحرب لاعتصامهم بالجبال واعتمادهم على أنفسهم. فكانوا رعاة أغنام أشداء محاربين. وهم الآن في بلادهم فريقان ـ زجاك وتوسماك. وإذا كان هناك عداء شديد يزول عند مهاجمة الغريب لهم ويعود بعد ترك المهاجمة.

أصل اسمهم (أربانيا) في قبيلة كيفه و(أربريا) في قبيلة طوسقة. والكلمتان آريتان من (آر) بمعنى الحقل و(بان) العامل فيه والحارث والزارع. فالمعنى (حارث الحقل). وكانوا أول من أدخل صناعة «الحراثة» من آسية إلى أوروبة. وسماهم اليونان (أروانيتيس) و(يتيس) أداة النسبة عندهم أي منسوب إلى أربان بإبدال الباء واواً كعادة اليونان ظناً منهم أن أربان اسم للأرض التي يسكنونها. والسين تظهر في معظم كلماتهم حالة الرفع وتسقط في حالتي النصب والجر وفي التثنية والجمع.

---

(٣) البلاسيجيون وآثار أبنيتهم الضخمة ممتدة في السواحل الشمالية من بحر الروم والجزائر من حد قبرص إلى مرسيلية وبعضها على سواحل بحر إيجه والبحر الأسود، ويختلف قلة وكثرة وتوجد غالباً على مقربة من مركز الوادي على رابية أو تل بعيدة عن شاطىء البحر بمقدار بعدها عن الجبال مما يدل على أنهم استعمروا المنبسطات والسهول للحراثة واستثمار الأرض فأقاموا المعاقل دفاعاً عن مدنهم.

فلما دخل الأتراك تلك البلاد تناولوا الاسم اليوناني فدعوهم (أرناويت) بحذف السين الزائدة وتقديم النون على الواو تحريفاً [مثل عربون قلنا فيها رعبون]. فأبدلت التاء طاءً وكسرت الواو ضمة تخفيفاً فصارت (أرناؤوط). وأوروبة تدعوهم الآن (ألباني) بإبدال الراء لاماً.

يسكن (الألبان) شرق أوروبة كما سكن أنسباؤهم السلتيون غرب أوروبة. وتفرّق (الألبان) فرقاً هكذا فالفرق الأربع غير آتية من أصل واحد باسم بلاسخ أو بلاسغ قديماً. ويظن أنها من كلمة بلاق الألبانية بمعنى الشيخ باسم حكمهم، ويسمون مجلس شيوخهم (بلاقونيا).

- في إيليريا (بلاد الألبان سيام)، وأهل إيليريا أقرب إلى أهل مكدونيا لغة وخلقاً.
- في بوسنة وهرسك ودلماسيا.
- في مكدونيا القديمة وهي سيروزو ولاية سلافيك ومناستر وأسكوب.
- في تراكيا. وهي الآن ولاية أورنر وقسم من بلغاريا. أهل تراكيا أقرب إلى أهل فريجيا لغة وخلقاً.
- في آسيا ولم يدخل [القبيل] أوروبة وهم الفريجيون في سواحل الأناضول في بحر الأبيض إلى سيواس وأنقره.

انتشر هذا القبيل قبل ألفي سنة من تريستا في بلاد المجر إلى سيواس في الأناضول. والذين في الأناضول استولى عليهم الفرس واليونان فالرومان فامتزجوا بهم وضاعت أصولهم. والذين في مكدونيا وإيليريا زاحمهم البلغار والصقالبة حتى اجتمعوا كلهم واكتفوا بالقسم الجنوبي من إيليريا. وكان هؤلاء لا يختلطون بغيرهم من الأمم ولا يؤلفون جامعة لهم ولا يخطر ذلك في بالهم بل كانوا يعيشون متفرقين كما هو حال أهل الجبل منهم الآن في جوار (دبره وأشقودره). فحافظوا على لسانهم وعاداتهم وأخلاقهم. وتأخروا في الأدبيات القومية لعدم جامعتهم.

وبقي الألبانيون معتصمين بجبالهم أكثر من ثلاثة آلاف عام، وانتشروا في

الأصقاع المجاورة لهم حتى تجاوزوا خليج كورنتوس. وقيل إنهم وصلوا إلى ضفاف نهر الطونة (الدانوب). ويقال أن معظم جيش الاسكندر المكدوني كان منهم لأنهم كانوا من الهيلانيين (العنصر اليوناني). فكانوا أبطالاً مدرّبين بخلاف القلط الذين كان اليونان يعدونهم برابرة فلم يتزوج الألبان بهم كما امتزجوا بالمكدونيين والشاليين. ففتحوا العالم بقائدهم المكدوني المذكور، ثم حاربوا الصقالبة والأتراك. ومع استيلائهم عليهم بقيت روح الحرب فيهم حيَّة وبسالتهم مشهورة، فلما استولى عليهم السرب اتحد الألبان مع الأتراك وحاربوا السرب واسترجعوا ما أخذوه منهم ثم عند استقلال ممالك البلقان، لم تنل ألبانية نصيبها منه لقلة استعدادهم.

[خصائصهم]: يمتاز الألباني بأنه طويل القامة غليظ العظام عصبي المزاج كبير الدماغ واسع الجبهة يرعى العهد ولو كان فيه الموت الأحمر. يفدي روحه في حفظ قبيلته وأسرته بل في إنفاذ كلمة خرجت من فمه. يتبختر تبختر الأبطال في مشيته. خفيف الحركة سريع الخطى.

يغلب على نسائهم الجمال إلا أنهن غليظات الأبدان عليهن ملامح الرجال. لا يبالين بالحجاب ولكن الرجال يغارون أشد الغيرة عليهن. فإذا أحسوا بأن فتاة أو امرأة خرجت ولو قليلاً عن دائرة العفة قولاً أو فعلاً فتكوا بها فتك ظالم غدار. نساؤهم صناع اليد كثيرات الجد والكد. هن ربات البيوت ورجالهن كالضيوف، لا يتزوجون إلّا الأكفاء ولو بعدت المسافة بينهم. يحرمون بناتهم من الإرث ولا يعطونهن شيئاً حتى أن ثياب العرس يشتريها الزوج. وصلابتهم في دينهم شديدة إلّا أنهم يتهاملون في العبادات. ولهم بعض عادات انتقلت لهم من النصرانية أو من دين أجدادهم يحافظون عليها إلى الآن. يرون الاتفاق فيما بينهم فرضاً ولو اختلفت ديانتهم.

دولهم: أسس بعض الألبانيين دولة فكان منهم حكومة في كلّ من:

- أشقودره
- يانيه
- مكدونيا. ومركز هذه بلدة (بلا) على نهر (قره آزمق) قرب بلدة (يكيجه

وارادار) من توابع سلافيك. ومن ملوكها اسكندر ذو القرنين. وهو ألباني الأصل والنسب تعلم اليونانية فظُن أنه يوناني، والدليل على ذلك أن ذيموستين سمّاه (باربارذس) أي أعجمي، في خطبه ضده وهو اسم من لم يكن يونانياً.

وبقيت دولة ألبانية مزدهرة بزمن الاسكندر المكدوني ولهم وقائع مع الرومان إلى أن أتى بول إميل (١٦٨ ق.م) بعسكره الجرار فخرب لهم سبعين قصبة (أكبر من قرية) وأسر منهم ١٥٠ ألفاً وساقهم إلى رومية وباعهم فيها عبيداً. فتحصّن الباقون في جبالهم وآثروا الفقر مع الحرية على الثروة مع الأسر.

وبقوا كذلك حين دخول العثمانيين إلى الروم إيلي. فظهر منهم أمير عظيم سنة ١٤٢٠م وهو اسكندر بك الذي كان زعيم كل قبائلهم، فقاوم العثمانيين أربعين سنة حتى إذا مات استولى العثمانيون على بلاده. ولذلك تشتت شمل بعضهم فهاجروا إلى: قلابريا، صقلية، البندقية، جنوه، مرسيلية، إسبانية، ومنهم من أسلم فانتشر الإسلام بينهم وبقي على الدين القديم نحو الثلث. ومذهب النصف منه أرثوذكس والنصف كاثوليك.

واشتهر منهم وزراء وعلماء وحكام كبار وأحرز الصدارة في الدولة العثمانية عشرون وزيراً. ومن مشاهير قوادهم في الجيش العثماني (سنان بك)، وهو أول من أدخل اليمن وعمان في حوزة العثمانيين، وأوصل علمها إلى الأراضي المجهولة في ذلك الوقت مثل آجينه وصومطره، والوزير المعروف بكو بريلي محمد باشا فإنه وصل ظافراً إلى أسوار ڤيِنّا. ومنهم واصه باشا متصرف لبنان المشهور بمعارفه.

لغتهم: إن لغتهم آرية (يافثية) تشبه اليوناني القديم واللاتيني والصقلبي والغوطي والفارسي والسنسكريتي. وهي من أقدم ألسنة الشعوب الآرية. فهي أقدم من اليونانية واللاتينية تشترك معهما بكثير من مشتقاتها وأصولها، وتشبه اللسان الفارسي والزند والسنسكريتي أكثر من غيره من الألسنة الآرية الأوروبية. فكأن لسان الألبان جاء رأساً من آسيا الوسطى إبان الهجرة العمومية. وكثيراً ما ترى أسماء الآلهة عند اليونان والرومان مأخوذة من اللسان الألباني.

واكتشف المنقبون في الآثار القديمة في توسكانة (طوسقانه) من أعمال إيطالية خطوطاً قديمة لم يمكن حلها باللسان اللاتيني. واكتشفوا في فريجيا أيضاً خطوطاً تشبهها، فجرّبوا فيها اللسان الألباني فوجدوها تشبهه غاية المشابهة.

وعندهم بعض كتب تتعلق بمذهب الكاثوليك ألفت منذ خمسة قرون ولعلها مكتوبة بالحروف اللاتينية من منثور ومنظوم. ويحفظون بعض أغانٍ وطنية يعود نظمها إلى ثمانية أو تسعة قرون. ولا فرق بينها وبين لسان هذا العصر إلا في التعبيرات الدينية، لأن النصارى [...] إلى العربية وكلاهما ترك اصطلاحات الدين القديم.

وحروف لغتهم من ٣١ حرفاً وسبع حركات جعلوا لهذه الثمانية والثلاثين ٣٦ علامة. والحركات تلفظ همزة في أول الكلمات فقط فعدُّوها من الحروف. والحروف تنقص عن العربية في بعض مخارج، وتزيد عنها في مخارج أُخر. والعلامات أخذوها من اللسان الفرنسي بتصرُّف خاص.

٢ ـ الأندلس

لا خفاء أن سكان الأندلس القدماء هم الڤندال الذين نسبت إليهم تلك المقاطعات، فقيل (ڤندالوزيا) وعرَّبها العرب (الأندلس).

ولما فتح طارق بن زياد الأندلس وهزم لُذريق ملك الإسبان ومزّق جموعه أخذ الإسبان سكان الأندلس يتراجعون عنها، وملك طليطلة قاعدة مُلكهم وغرناطة وقرطبة ومالقة والبيرة. فضموا اليهود إليهم، سنَّتهم في كل بلد يفتحونها أن يضموا يهوده إلى القصبة مع قطعة من المسلمين استنامة وليهم من دون الإسبانيين لما بينهم من العدوان.

ونُمِي خبر فتح تلك البلاد الواسعة إلى المشرق وعرفوا رغبة الفاتح بإسكان المهاجرين من المسلمين العرب من المشرق فيها لاستعمارها، فتقاطر إليها العرب من كل صقع ولا سيما من الشام.

ولما كانت ولاية أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبيّ من قبل حنظلة بن صفوان عامل أفريقية سنة ١٢٥ هـ. كثر المهاجرون من المشرق من العرب في قرطبة حتى غصَّت بهم على رحبها، ولم يحملهم المصر ففرَّقهم في البلاد واختار لكل فريق بلدة أو مصراً يناسب مسكنه الأول في المشرق فأنزل أهل دمشق (البيرة) لشبهها بها وسماها دمشق الأندلس. وأنزل أهل حمص أشبيلية وسماها حمص الأندلس. وأهل قنَّسرين جيَّان وسماها قنسرين الأندلس. وأهل الأردن ريَّة ومالقة وسماها أردن الأندلس. وأهل فلسطين شريس وسمَّاها فلسطين الأندلس. وأهل مصر تدمير وسماها مصر الأندلس وقيل إن نهرها أشبه بنيل مصر يفيض في فصل مخصوص.

وهكذا بقي العرب ينهالون على الأندلس والمغرب يتديَّرونها حتى اكتظت بهم البلاد وتناسلوا فيها وامتزجوا.

ولما اضطرب حبل العرب في بعض المواقف وكثرت الأحزاب والعصبيات دخل البربر والصهناجيون وزناتة من المغرب إلى الأندلس، وتكاثروا فيها وهكذا امتزجت الأسر الأندلسية. وملك في الأندلس الطوائف وغيرهم بعد الأمويين وكانت كل أسرة مالكة تقرّب مِن أحزابها مَن يهمها أمرهم، وتستقدم إليها الأسر التي تريدها فهكذا نشأت الأسر الأندلسية.

وفي القرن السابع للهجرة والرابع عشر للميلاد أخذ ظل الإسلام يتقلّص عن الأندلس وأعرض المغرب عن إمدادهم، فتقدم الإسبانيون وملكوا القواعد مثل طليطلة وقرطبة وبلنسية وأشبيلية وجيان وأشباهها. فاتجه أهل الإسلام إلى مالقة وغرناطة والمريَّة ونحوها وملوكهم بنو الأحمر فحمي وطيس الحرب بين بني الأحمر والإسبانيين، فكانت الغلبة لهؤلاء في الأكثر وكانوا يجلون العرب من الثغور حفظاً لها منهم.

وكان سكان بلاد المغرب في هاتيك الأيام من العرب والموحّدين ومصمودة وصهناجة ومكناسة نحو سنة ٦٧٤ هـ.

وكان مَن أُسِر من المسلمين وَوَقَع في أيدي الإسبانيين سمَّوه المدجَّن. فكان المدجَّنون واليهود في البيوت أشبه بالعبيد، وحظر عليهم دخول بيوت الإسبان واستخدامهم عند المسيحيين بغير الخدمة. وحظروا عليهم أن يستخدِموا المسيحيين.

ثم لما فتحت الأندلس بزمن الملك فرديناند واستولى عليها الإسبانيون، ضغط ملوكهم على المسلمين في الأندلس. فقيل أن ثلاثة آلاف منهم تنصّروا في يوم واحد. وأُجْبِر المسلمون على إحدى الخطتين أما الجلاء عن البلاد أو التنصُّر أي الدخول في النصرانية. وكثيراً ما كانوا يقولون لهم إن أصلهم نصارى وذلك معلوم في كثير من القبائل مثل غسَّان وإياد وقضاعة وغيرها.

وفي مطلع القرن السادس عشر اشتد بهم الحر واستفحل عليهم الضغط

٢ ـ الأندلس

لا خفاء أن سكان الأندلس القدماء هم الڤندال الذين نسبت إليهم تلك المقاطعات، فقيل (ڤندالوزيا) وعرَّبها العرب (الأندلس).

ولما فتح طارق بن زياد الأندلس وهزم لُذريق ملك الإسبان ومزَّق جموعه أخذ الإسبان سكان الأندلس يتراجعون عنها، وملك طليطلة قاعدة مُلكهم وغرناطة وقرطبة ومالقة والبيرة. فضموا اليهود إليهم، سنَّتهم في كل بلد يفتحونها أن يضموا يهوده إلى القصبة مع قطعة من المسلمين استنامة وليهم من دون الإسبانيين لما بينهم من العدوان.

ونُمِي خبر فتح تلك البلاد الواسعة إلى المشرق وعرفوا رغبة الفاتح بإسكان المهاجرين من المسلمين العرب من المشرق فيها لاستعمارها، فتقاطر إليها العرب من كل صقع ولا سيما من الشام.

ولما كانت ولاية أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبيّ من قبل حنظلة بن صفوان عامل أفريقية سنة ١٢٥ هـ. كثر المهاجرون من المشرق من العرب في قرطبة حتى غصَّت بهم على رحبها، ولم يحملهم المصر ففرَّقهم في البلاد واختار لكل فريق بلدة أو مصراً يناسب مسكنه الأول في المشرق فأنزل أهل دمشق (البيرة) لشبهها بها وسماها دمشق الأندلس. وأنزل أهل حمص أشبيلية وسماها حمص الأندلس. وأهل قنَّسرين جيَّان وسماها قنسرين الأندلس. وأهل الأردن ريَّة ومالقة وسماها أردن الأندلس. وأهل فلسطين شريس وسمَّاها فلسطين الأندلس. وأهل مصر تدمير وسماها مصر الأندلس وقيل إن نهرها أشبه بنيل مصر يفيض في فصل مخصوص.

وهكذا بقي العرب ينهالون على الأندلس والمغرب يتديَّرونها حتى اكتظت بهم البلاد وتناسلوا فيها وامتزجوا.

ولما اضطرب حبل العرب في بعض المواقف وكثرت الأحزاب والعصبيات دخل البربر والصهناجيون وزناتة من المغرب إلى الأندلس، وتكاثروا فيها وهكذا امتزجت الأسر الأندلسية. وملك في الأندلس الطوائف وغيرهم بعد الأمويين وكانت كل أسرة مالكة تقرّب مِن أحزابها مَن يهمها أمرهم، وتستقدم إليها الأسر التي تريدها فهكذا نشأت الأسر الأندلسية.

وفي القرن السابع للهجرة والرابع عشر للميلاد أخذ ظل الإسلام يتقلّص عن الأندلس وأعرض المغرب عن إمدادهم، فتقدم الإسبانيون وملكوا القواعد مثل طليطلة وقرطبة وبلنسية وأشبيلية وجيان وأشباهها. فاتجه أهل الإسلام إلى مالقة وغرناطة والمريَّة ونحوها وملوكهم بنو الأحمر فحمي وطيس الحرب بين بني الأحمر والإسبانيين، فكانت الغلبة لهؤلاء في الأكثر وكانوا يجلون العرب من الثغور حفظاً لها منهم.

وكان سكان بلاد المغرب في هاتيك الأيام من العرب والموحِّدين ومصمودة وصهناجة ومكناسة نحو سنة ٦٧٤ هـ.

وكان مَن أُسِر من المسلمين وَوَقَع في أيدي الإسبانيين سمَّوه المدجَّن. فكان المدجَّنون واليهود في البيوت أشبه بالعبيد، وحظر عليهم دخول بيوت الإسبان واستخدامهم عند المسيحيين بغير الخدمة. وحظروا عليهم أن يستخدِموا المسيحيين.

ثم لما فتحت الأندلس بزمن الملك فرديناند واستولى عليها الإسبانيون، ضغط ملوكهم على المسلمين في الأندلس. فقيل أن ثلاثة آلاف منهم تنصّروا في يوم واحد. وأُجْبِر المسلمون على إحدى الخطتين أما الجلاء عن البلاد أو التنصُّر أي الدخول في النصرانية. وكثيراً ما كانوا يقولون لهم إن أصلهم نصارى وذلك معلوم في كثير من القبائل مثل غسَّان وإياد وقضاعة وغيرها.

وفي مطلع القرن السادس عشر اشتد بهم الحر واستفحل عليهم الضغط

فتنصّر من تنصّر وفرَّ من فرَّ إلى مراكش ومصر والمشرق. ولقّبوا المغاربة المتنصرين باسم (موريسك). وكان المتنصرون منهم مرغمين، فلم يثبتوا بل حاولوا الرجوع إلى إسلاميتهم. فقال فيهم محمد العربي العقيلي: «فإن يرتفع عند النصارى بالابتدا فكم عندنا من طرف حبل يجرُّه».

ويقال إن الحكومة ضغطت عليهم بتغيير عاداتهم وملابسهم ولغتهم فكثرت الثورات والمذابح حتى أنه سنة ١٥٧٠ م بلغ عدد من ذهب منهم عشرين ألفاً. ومن أُسِر منهم في معمعة الفتنة استُعبدوا والباقون نفوا مخفورين. فمات كثير منهم على الطريق ومن تخلص منهم إلى برّ العدوة نجا ومنهم من لجأ إلى فرنسة.

وسنة ١٦١٠ م وقع آخر جلاء من الأندلس ولم يبق فيها مسلم بعد أن كانت دولة الإسلام فيها ممتدة الفروع ثمانية قرون.

وقدّر بعضهم أن عدد من خرج من الأندلسيين منذ سقوط مملكة غرناطة إلى السنة ١٦١٠م يبلغ ثلاثة ملايين. والذين خرجوا لآخر مرة نحو نصف مليون. وكان سكان الأندلس من مسلمين ونصارى ويهود وكان العرب واليهود أهم عمالها.

هذه روايات بعض مؤرخي الفرنجة. أما رواية المقَّري فهي أشبه بهذه الأقاصيص على أنه قال: إن النصارى أخرجوا المسلمين سنة ١٠١٧ هـ. فخرجت ألوف بفاس وألوف بتلمسان من وهران وجمهورهم خرج بتونس فتسلط عليهم الأعراب، ومن لا يخشى من في الطرقات، ونهبوا أموالهم وهذا ببلاد تلمسان وفاس، ونجا القليل من هذه المضرّة.

وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم وكانوا لعهد المقري (...) عمّروا قراها الخالية وبلادها وكذلك تطوان وسلا فيجة بالجزائر، ووصل منهم جماعة إلى القسطنطينية وإلى مصر والشام وغيرها من بلاد الإسلام.

وانتقم الأندلسيون النازلون ببر العدوة من الإسبانيين ومن طوائف الإفرنج فصاروا قرصاناً، حتى أنك لا تستطيع أن تمثّل عداوة أشد مما بين الإسبانيين والمغاربة.

وبقي الأندلسيون حيث حلّوا على عاداتهم وأذواقهم، وحملوا معهم حب الصنائع فنشروا روحها حيثما خيّموا. ولما ساح فيلكس دوبوا الإفرنسي في أواسط أفريقية عثر على قبيل في جوار تمبكتو يسمون (الأندلوز) في أفريقيا أي الأندلسيون، وهم متميزون بذوقهم ونبالتهم وحذقهم في الصياغة والنقش فهم مترامون إلى السودان عن مراكش.

ومغاربة إسبانية الذين غادروا بلادهم مع السلطان أبي عبد الله ملك غرناطة آخر ملوك الأندلس في المسلمين سنة ١٤٩٢م تفرقوا في أفريقية فسكن بنو الزغري عمارة في (فاس) وضواحيها وقيل إن أصلهم منها وقيل إنهم تحريف عن زغبة. والبنغاز والعبَّاس تفرقوا بسيف البحر من وهران إلى الجزائر. وقيل إن البنغاس هم مكناسة.

وأقام بنو سراج في ربض تونس وهم هناك متميزون برقيهم وتفوقهم. وكان السراجيون من القبائل الراقية في غرناطة استوزروا لسلاطين بني الأحمر واشتهروا. وقال ابن غالب إن بني سراج الأعيان من أهل قرطبة ينتسبون إلى مذحج ولعلهم انتقلوا إلى غرناطة. قد اشتهروا بوزارتي السيف والقلم. واشتهر منهم الكثيرون في الدفاع عن الأندلس في آخر أيامها مثل فرج بن فرج من سلالتهم، الذي ثار برجاله من غرناطة نحو سنة ١٥٦٨م.

وكان بنو مرين من بني واسين من زناتة قد أقاموا لهم دولة في المغرب على البربر والعرب.

واشتهر في الأندلس قوم عرفوا ببني نصر وانتسبوا إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج ومنهم محمد بن يوسف بن نصر الذي كُنّي بأبي المحرر ولُقّب الشيخ فغلب عليه لقب ابن الأحمر وكان له أخ اسمه اسماعيل فأسس دولة سنة ٦٣٥هـ.

وكان في الأندلس بنو لخم منهم الإمام الرشاطي المحدّث الكبير.

وكان فيها من أشراف جند حمص بنو أضحى بن عبد اللطيف الهمداني قد دخلوا إلى الجزيرة.

وكان فيها الغسانيون مثل أبي حفص بن سيري الذي قتل سنة ٦٢٨ هـ. وجدّه من آل جبلة بن الأيهم الغساني وأبو عثمان سعيد بن حكم القرشي.

أسر الأندلس (عن الإحاطة)

قال لسان الدين فيها (١ : ٢٤٧ و ٢٥٣)[(٤)]:

مأمون الموحدين هو إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي أمير المؤمنين الملقب بالمأمون (مأمون الموحدين). جدُّه عبد المؤمن (جذع الشجرة وينبوع الجداول) هو ابن علي بن علوي بن يعلى بن مواد بن نصر بن علي بن عامر بن موسى بن عون المعز بن يحيى بن ورجانع بن سطور بن ثغور بن هطهاط بن هودج بن قيس بن غيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وكان طالباً بربرياً ضعيفاً خرج مع عمه يؤم الشرق لحلم رآه، وله قصة طويلة فأفضى الأمر بالملك إليه لهلاك محمد بن تومرت المهدي فأفضى الأمر إلى عبد المؤمن واستولى على المتونيين فاستولى على المغرب وبقي فيها المُلك لبنيه ومنهم إدريس الذي مات سنة ٦٣٠. وولد له: أبو محمد عبد الواحد ولي عهده وأمير المؤمنين بعد وفاته الملقب بالرشيد وعبد العزيز ـ سليمان أبو الحسن علي الملقب بالسعيد الوالي بعد أخيه الرشيد.

وقال في (الإحاطة) (١ : ١٧) وكان دخول طارق بن زياد الأندلس يوم الإثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين. وقيل في شعبان. وقيل في رمضان موافق شهر غشت من شهور العجمية. وذكر معاوية بن هشام وغيره أن فتح ما ذكر تأخر إلى دخول موسى بن نصير في سنة ثلاث وتسعين. توجه ابنه عبد الأعلى في جيش إلى تدمير فافتتحها ومضى إلى البيرة فافتتحها ثم توجه إلى مالقة.

قال المؤلف رحمه الله (أي ابن الخطيب): ولما استقر مُلك الإسلام بجزيرة الأندلس ورمى إلى قصبتها الفتح، واشرأب في عرصاتها الدِين، ونزلت

(٤) **الإحاطة في أخبار غرناطة** للوزير محمد لسان الدين بن الخطيب، طبع مصر في مجلدين سنة ١٣١٩ هـ الأول، في ٣٧٥ صفحة بقطع ربع كبير والثاني في ٣٠٤ صفحات بالقطع ذاته.

قرطبة وسواها العرب فتبؤوا الأوطان، وعمّروا البلدان. فالداخلون بعد على موسى بن نصير والداخلون بعدهم بلج بن بشر القشيري يسمون الشاميين، وكان دخول بلج بن بشر القشيري بالطالعة البلجية سنة خمس وعشرين ومائة.

ولما دخل الشاميون مع أميرهم بلج حسبما تقرر في موضعه وهم أُسُود الشرى عزة وشهامة، غص بهم السابقون إلى الأندلس وهم البلديون، وطالبوهم بالخروج عن بلدهم الذي فتحوه وزعموا أنه لا يحملهم وإياهم. واجتمعوا لغزوهم فكانت الحروب تدور بينهم إلى أن وصل الأندلس أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي عابراً إليها البحر من ساحل تونس. وأطلّ على قرطبة على حين غفلة وقد ستر خبر نفسه والحرب بينهم، فانقاد إليه الجميع بحكم عهد حنظلة ابن صفوان والي أفريقية. وقبض على وجوه الشاميين عازماً عليهم في الانصراف حسبما هو مشهور ورأى تفريق القبائل في كور الأندلس ليكون أبعد للفتنة ففرقهم وأقطعهم ثلث أموال أهل الذمة الباقين من الروم، فخرج القبائل الشاميون عن قرطبة.

قال أبو مروان: أشار عليّ أبو الخطار أرطباس قوس الأندلس وزعيم عجم الذمة ومستخرج خراجهم لأمراء الإسلام، وكان هذا القوس شهير العلم والدهاء لأول الأمر بتفريق القبائل الشاميين العلميين عن دار الإمارة بقرطبة إذ كانت لا تحملهم وإنزالهم بالكور على شبه منازلهم التي كانت في كور شامهم. ففعل ذلك عن اختيار منهم، فأنزل جند دمشق كورة البيرة. والأزديين كورة جيارن. وجند مصر كورة باحث وبعضهم بكورة تدمير. فهذه منازل العرب الشاميين. وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة طعمة. وبقي العرب والبلديون والبرابرة شركاؤهم وسكنوا واغتبطوا وكبروا وتمولوا، إلا مَن كان قد نزل منهم لأول قدومه في الفتوح على عنائهم لم يعرض لهم في شيء منها. فلما رأوا بلدنا شبه بلدانهم بالشام نزلوا وسكنوا واغتبطوا وكبروا وتمولوا إلاّ من كان قد نزل منهم لأول قدومه موضعاً رضياً فإنه لم يرتحل، وسكن به مع البلديين. فإذا كان العطاء أو حضر الغزو لحق بجنده فهم الذين كانوا سموا الشادة حينئذ (ثم فصّل عقد ألويتهم وتقسيم أرزاقهم في صفحة ١٩).. ولما استقر بهذه الكورة الكريمة أهل الإسلام، وأنزل الأمير أبو الخطار قبائل العرب الشاميين بهذه الكورة، وأقطعهم ثلث أموال المعاهدين، استمر ساكنهم في غمار (جماعة) من

الروم يعالجون فلاحة الأرض وعمران القرى يرأسهم أشياخ من أهل دينهم أولو حنكة ودهاء ومداراة ومعرفة بالجباية اللازمة لرؤوسهم وأحزمهم رجل يعرف بابن الغلاس له شهرة وصيت وجاه عند الأمراء بها... وكانت لهم كنيسة فريدة.. فهدمها يوسف بن تاشفين... وفي صفحة ٣٢ عدد القرى التي نزلوها.

قال ابن الخطيب في (الإحاطة) (١: ٣٤): وأخلاقهم أي (أهل قطر الأندلس) في احتمال المعاون الجبائية جميلة وصورهم حسنة وأنوفهم معتدلة غير حادة وشعورهم سُود مرسلة وقدودهم متوسطة معتدلة إلى القصر وألوانهم زهر مشربة بالحمرة وألسنتهم فصيحة عربية يتخللها أعراب كثير وتغلب عليهم الإمالة. وأخلاقهم أبيّة في معالي المنازعات.

وأنسابهم عربية وفيهم من البربر والمهاجرة كثير. ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشي بينهم الملف المصبوغ شتاءً، وتتفاضل أجناس البزّ بتفاضل الجدّة والمقدار والكتان والحرير والقطن والموعر والأردية الأفريقية والمقاطع التونسية والمآذر المشفوعة (كذا) صيفاً، فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة.

أنساب العرب منهم

أنسابهم حسبما يظهر من الاشترعات (كذا)(٥) والبياعات السلطانية والإجازات عربية يكثر فيها:

١ ـ القرشي
٢ ـ الفهري
٣ ـ الأمودي، ولعل الفهري والأمودي واحد
٤ ـ الأموي
٥ ـ الأنصاري
٦ ـ الأوسي
٧ ـ الخزرجي
٨ ـ القحطاني
٩ ـ الحميري
١٠ ـ المخزومي
١١ ـ التنوخي
١٢ ـ الغساني
١٣ ـ الأزدي
١٤ ـ القيسي

(٥) ولعلها «الاشتراعات».

١٥ ـ المغافري
١٦ ـ الكناني
١٧ ـ التميمي
١٨ ـ الهذلي
١٩ ـ البكري
٢٠ ـ الكلابي
٢١ ـ النمري
٢٢ ـ العمري
٢٣ ـ المازني
٢٤ ـ الثقفي
٢٥ ـ السلمي
٢٦ ـ الفزاري
٢٧ ـ الباهلي
٢٨ ـ العبسي
٢٩ ـ العنسي
٣٠ ـ العذري
٣١ ـ الحجبي
٣٢ ـ الضبي
٣٣ ـ السكوني
٣٤ ـ التيمي
٣٥ ـ العبشمي
٣٦ ـ المري
٣٧ ـ العقيلي
٣٨ ـ الفهمي
٣٩ ـ الصريحي
٤٠ ـ الحزلي
٤١ ـ القشيري
٤٢ ـ الكلبي
٤٣ ـ القضاعي
٤٤ ـ الأصبحي
٤٥ ـ المرادي
٤٦ ـ الرعيني
٤٧ ـ اليحصبي
٤٨ ـ التجيبي
٤٩ ـ الصدفي
٥٠ ـ الغافقي
٥١ ـ الحضرمي
٥٢ ـ الخمي
٥٣ ـ الجذامي
٥٤ ـ السلولي
٥٥ ـ الحكمي
٥٦ ـ الهمداني
٥٧ ـ المذحجي
٥٨ ـ الخشني
٥٩ ـ البلدي
٦٠ ـ الجهني
٦١ ـ المزني
٦٢ ـ الطائي
٦٣ ـ الأسدي
٦٤ ـ الأشجعي
٦٥ ـ العاملي
٦٦ ـ الخولاني
٦٧ ـ الأيادي
٦٨ ـ الليثي
٦٩ ـ الخثعمي
٧٠ ـ السكسكي
٧١ ـ الزبيدي
٧٢ ـ الثعلبي
٧٣ ـ الكلاعي
٧٤ ـ الدوسي
٧٥ ـ الحواري
و٧٦ ـ السلماني

قال ابن الخطيب (١:٣٦): هذا ويرد كثير من شهادتهم ويقل من ذلك السلمي نسباً والدوسي والحواري والزبيدي ويكثر فيهم الأنصاري والحميري والجذامي والقيسي والغساني وكفى بهذا شاهداً على الأصالة ودليلاً على العروبة (اهـ).

وجندهم صنفان: أندلسي وبربري. والأندلسي منهم يقودهم رئيس من القرابة أو خصيّ (وافر العقل) من شيوخ الممالك. وزيّهم في القديم شبيه زي

أقيالهم وأضدادهم من جيرانهم الفرنج: سباغ الدروع وتعليق الترسة وصفّ البيضات واتخاذ عراض الأسنّة وبشاعة قرابيس السروج واستركاب حملة الرايات خلف كل منهم بصفة تختص بسلاحه وشهرته بها.

ثم عدلوا الآن عن ذلك الزيّ إلى الجواشن المختصرة والبيض المرهفة والدرق العربية والسهام الملطية والأسل العطفية (اهـ).

أنساب البربر منهم

قال لسان الدين في الإحاطة (١: ٣٦): والبربري يرجع إلى قبائله:

١ ـ المرينية **٢ ـ والزناتية** **٣ ـ والتجانية**
٤ ـ والمغراوية **٥ ـ والعجيسية** **٦ ـ والعرب المغربية**

ويعود العرب المغربية إلى أقطاب ورؤوس يرجع أمرهم إلى رئيس على رؤسائهم، وقطب لعرفائهم من كبار القبائل المرينية يمتّ إلى ملك المغرب بنسَب. والعمائم تقل في زي أهل هذه الحضرة، إلّا ما شذ في شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم والجند العربي منهم. وسلاح جموعهم العصي الطويلة المثناة بعصي صغار ذوات عيّ في أوساطها ترفع بالأنامل عند قذفها تسمى بالأمراس. وقسي الافرنجة يحملون على التدريب بها على الأيام ومقاسم (لعلها ومواسم) (كذا) متوسطة. وأعيادهم حسنة مائلة إلى الاقتصاد. والغنى بمدينتهم فاشٍ حتى في الدكاكين التي تجمع صنائعها كثير من الأحداث كالخفاقين ومثلهم.

وقُوْتهم الغالب البرّ الطيّب عامة العام. وربما اقتات في فصل الشتاء الضعفة والبوادي والفَعَلَة في الفلاحة الذرة العربية ومثل أصناف القطاني الطيبة (اهـ).

أسر الأندلس (عن «الإحاطة»)

بنو عامر: ينتسبون إلى عامر بن صعصعة بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. جدهم الذي

دخل الأندلس هو بكر بن بكار بن البدر بن سعيد بن عبد بن عامر. نزل قرية طغنس من إقليم براجلة من البيرة. دخل جدهم الأندلس بعقد بني مروان له سنة ٩٤ هـ. ومنهم فرع يعرف (ببني مسعدة).

ومنهم أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سعدة، بن سعيد (بن مسعدة) بن ربيعة بن صخر بن سراميل بن عامر بن الفضل بن بكر بن بكار بن البدر بن سعيد بن عبدالله العامري الغرناطي المكنى أبا جعفر. ولّي القضاء في الأندلس وتوفي سنة ٦٩٩ هـ.

الأموي: اشتهر منهم أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن علي الاموي المكنى أبا جعفر. ويعرف بابن بطال. أصله من قرية تعرف بحارة البحر من وادي طرش نصر حسن منتماس (كذا) من شرقي مالقة من بيت خير وأصالة، وانتقل سلفه إلى (مالقة) فترسخت لهم بها عروق وصاهروا بيوتات نبيهة. قضى في غرناطة ومات سنة ٧٥٠ هـ بمالقة.

أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي: منازل الأنصار بسرقسطة فانتقل جد أبيه عبد الرحمن بابنه الصغير منها لفِتَنٍ بها إلى بلنسية. فولد له ابنه عبد الرحمن أبو أبي العباس هذا، ثم انتقل به أبوه إلى المرية فولد له أبو العباس بها ونقله أبوه إلى سبتة، فأقام بها مدة. وهو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصغير الأنصاري الخزرجي يكنى أبا العباس من أهل الثغر الأعلى له شِعر ونثر. مات بمراكش ٥٥٩ هـ.

بنو سعيد العنسي: بيت مشهور بالأندلس بقلعة يحصب نزلها جدّهم الأعلى عبدالله بن سعيد بن عمار بن ياسر صاحب رسول الله (ص). وكان له حظوة من اليمانية بقرطبة وهو بيت القيادة والوزارة والقضاء والكتابة. ومن ولده أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن خلف بن سعيد بن عبدالله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبدالله بن سعيد بن عمار بن ياسر صاحب الرسول. توفي سنة ٥٥٠ هـ.

بنو راشد: من أهل مالقة. ومنهم أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد

المكنى أبا جعفر وله تصانيف وأشعار. وتوفي ببجاية سنة ٧٠٢هـ .

بنو الرعيني: كان بيتهم في غرناطة مشهوراً في الأشعار وتجويد القرآن... نظراء بني عطية بأشبيلية وبني الباذش بغرناطة. نشأ منهم أبو صقر أحمد بن عبد الوالي بن أحمد الرعيني ويعرف بالعوّاد صنعة لأبيه. توفي سنة ٧٥٠هـ .

بنو كعب: وهو كعب بن مالك بن علقمة بن حباب بن مسلم بن عدي بن مرة بن عوف بن ثقيف. أصله من مدينة جيان منزل قنسرين من العرب الداخلين إلى الأندلس. ونسبه بها كبير وحسبه أصيل وثروته معروفة. خرج به أبوه عند تغلُّب العدو عليها سنة ٦٤٣هـ، ولأبيه إذ ذاك إثراء وجدّة أعانته على طلب العلم، وإرفاد من أحوجته الأزمة في ذلك الزمان من حنبلية العلماء عزاب قرطبة وأشبيلية كأبي الحسن الصائغ وغيره. فنصحوا له وخطبوا في حيله. ومن سلالته: أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم الثقفي بن كعب، يكنى أبا جعفر له شِعر وتآليف. توفي بغرناطة سنة ٧٠٨ هـ.

كريانة: قبيلة من قبائل الريف الغربي. واشتهر فيها أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني من أهل فاس. دخل غرناطة واشتهر بها ومات بتونس سنة ٧٤٩هـ .

ابن همشك الرومي: مفرج أو همشك نصراني أسلم على يد أحد ملوك بني هود بسرقسطة. نزع إليهم وكان مقطوع إحدى الأذنين فكان النصارى إذا رأوه في القتال عرفوه وقالوا همشك (هامشك) ومعناها (ترى المقطوع الأذن) و(ها) عندهم قريب من (أما) في العربية والمشك: المقطوع الأذنين في لغتهم. نشأ منهم إبراهيم بن محمد بن مفرج بن هامشك المتآمر الرومي الأصل.

بنو أزد: منزل جدهم الداخل إلى الأندلس قرية (شون) من إقليم البيرة وبيتهم مشهور وُزِّروا نحو ثلاثمائة سنة. ومن قدمائهم أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي سنة ٤٠٣ هـ. ومنهم إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي.

بنو النميري: يقال أن جدهم الداخل إلى الأندلس هو توابة بن سخرة النميري، وشاركهم فيه (بنو أرقم الوادي شيون). وكان سكناه بجهة وادي آش ولقومه اختصاص وانتقال ببعض جهاتها وهي: شوطر والمنظر وقرسيس وقطرش. تغلّب العدو عليها على عهد عبد العزيز، وأوى جميعهم إلى كنف الدولة النصرية فخدموها. واشتهر منهم إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحق بن قاسم النميري الغرناطي المكنّى أبا إسحق والمعروف بابن الحاج. له نثر وشعر ولد سنة ٧١٣هـ .

ابن عفان الأبدي: اسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدي بن بكر بن عفان الأبدي. هو جد سعيد بن جودي بن سواده بن جودي بن أسباط أمير المغرب وقدرهم بهذه المدينة شهير.

الأنصاري الخزرجي: اشتهر اسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن نصر بن قيس الأنصاري الخزرجي أمير المؤمنين بالأندلس. بويع سنة ٧١٣هـ وقتل سنة ٧٢٥هـ .

أولاده:

١ ـ محمد. ولي الأمر بعد أبيه. اغتيل سنة ٧٥٠هـ .

٢ ـ فرج. ترك الأندلس بعد موت أخيه.

٣ ـ أبو الحجاج.

٤ ـ إسماعيل.

التنوخي: الأصل من جزيرة طريف. نشأ منهم إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي التنوخي. نشأ بغرناطة وله شِعر.

بنو أبي خالد أو (بني) أبان: من أهل الشرف بالأندلس. أصلهم من (لوشه) فتية غرناطة وموضعهم بها معروف. وإلى جدّهم ينسب (جبل أبي خالد) المطل عليها. وكان لهم ظهور هنالك ومنهم أعلام وفضلاء (منهم) أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن عبدالله بن خالد بن حسين بن جعفر بن أسلم بن أبان (مولى عثمان

بن عفان ـ رض)، ويكنى أبا جعد. فأسلم من خيار أهل البيرة ومن بيوتاتها العلمية. ولد سنة ٢٣١هـ .

بنو القبطرنة: هم بيت علم وأدب، وكانوا عيوناً من عيون الأدب بالأندلس وممن اشتهروا بالظرف والشرف والجلالة. ومنهم طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسي وأخواه أبو بكر وأبو الحسن بنو القبطرنة.

بنو نَصْر (من الخزرج): هم من ذرية سعد بن عُبادة سيد الخزرج صاحب رسول الله (ص). وصُنِّف كثيرٌ في نسبتهم هذه، وأقوى ما ذكر قول الرازي: دخل الأندلس من ذرية سعد بن عُبادة رجلان نزل أحدهما أرض (تاكرونا) ونزل الآخر قرية من قرى (سقرسطونة) تعرف بقرية (الخزرج). ونشأ بأحواز أرجونه من كتبانية قرطبة أطيب البلاد مدرّة وأوفرها غلة. وهو بلده وبلد جده في ظل نعمة... بحيث اقتضى ذلك أن يفيض شريان الرئاسة وتنطوي أقطاره على نيل الإمارة. مات سنة ٦٧١هـ.

ومن سلالته نشأ محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي، شُهِر بالأنصاري، أمير المؤمنين بالأندلس، لُقِّب بالغالب بالله، وكني أبا عبدالله من ولد سعد بن عبادة صاحب الرسول (ص) بن سليمان بن حارثة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمر بن يعرب بن يشجب بن قحطان بن هميع بن يمن بن ثابت بن إسمعيل بن إبراهيم الخليل.

أولاد محمد بن يوسف أمير الأندلس (ولد سنة ٥٩٥هـ.) ثلاثة:

- محمد. ولي عهده وأمير المسلمين على أثره.
- الأمير أبو سعد فرج.
- أبو الحجاز.

ومنهم محمد بن يوسف بن إسمعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الخزرجي. ومحمد أمير المسلمين بالأندلس سنة ٧٦٧هـ. رزق

ثلاثة: يوسف وسعد ونصر.

الطائفة البلخية: دخل الأندلس عطاف بن نعيم اللخمي مع بلج بن بشر القشيري من أشراف الطائفة البلخية. وهم من عرب حمص من أرض الشام وموضعه بها يعرف بالعريش في آخر الحفارين بين مصر والشام. ونزل عطاف بقرية بقرب تومين من إقليم طشانة (قال ابن خلدون ونزل عطاف قرية طشانة شرق إشبيلية ونسل بها بنيه) على ضفة النهر الأعظم من أرض اشبيلية. ولما هلك قريش من أولاد عطاف ملك السيادة إسمعيل ابنه وهو القاضي المشهور بالفضل يكنى أبا الوليد. وخلفه أبو القاسم محمد المنفرد برئاسة إشبيلية. وخلف الأمير المعتضد عبّاد ولده ولما توفي صار الأمر إلى ولده وهو محمد بن عباد بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن قريش بن عبّاد بن نمر بن أسلم بن عمر بن عطاف بن نعيم اللخمي (الملقب بأبي القاسم) وزّر له ابن زيدون وابن عمار وغيرهما. وهو الملك المعتمد بن عباد زوج الرميكية. مات سنة ٤٨٨هـ.

أولاده المملكون من الرميكية المنسوبة إلى مولاها **رميك** بن الحجاج: عبدالله أبو الحسن الملقب بالرشيد، عبّاد الملقب بالمأمون، يزيد وهو الرضي، عبدالله المكنى أبا بكر.

المعافري القحطاني: دخل عبد الملك المعافري القحطاني الأندلس مع طارق بن زياد (موسى بن نصير في أول الداخلين إلى المغرب وكان له في فتحها أثر جميل) فنزل عبد الملك الجزيرة الخضراء لأول الفتح فكثر عقبه فيها وتكررت فيهم النباهة وجاوروا الخلفاء بقرطبة.

ومنهم محمد بن عبدالله بن أبي عامر بن محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري القحطاني. مات سنة ٣٩٢ هـ وله في الغزو باع طويل.

كان محمد بن عبدالله شاعراً ووالده من أهل الدين والعفاف.

بيت زيد الغافقي: أصلهم من إشبيلية. قال الرازي في (الاستيعاب):

وبإشبيلية بيت زيد الغافقي وهم هنالك جماعة كثيرة فرسان ولهم شرف قديم، وقد تصرفوا في الخدمة بأربونة ثم انتقلوا إلى طليطلة ثم قرطبة، ثم غرناطة.

اشتهر منهم محمد بن أحمد بن زيد بن الحسن بن أيوب بن حامد بن زيد بن منخل الغافقي، يكنى أبا بكر من أهل غرناطة وسكن وادي آش. قبض عليه وعلى ولده فأوردا مطبق أرباب الجرائم، فمات سنة ٧٦٢هـ .

بنو العباس بن مرداس: قدم منهم عياش المكنى بأبي عيشون بن حمود الداخل إلى الأندلس صحبة (موسى بن نصير) بن عنبسة بن حارثة بن العباس بن مرداس صاحب الرسول (ص).

اشتهر من سلالته محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف (وفي (النفح) محمد بن الشيخ الولي أبي إسحق) بن محمد بن سليمان بن سواد بن أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد بن عياش المكنى بأبي عيشون بن حمود، الداخل إلى الأندلس صحبة موسى بن نصير، ابن أبي عنبسة بن حارثة بن العباس بن مرداس المكنى أبا البركات بلفيقي الأصل مرّي النشأة والولادة والسلف، ويعرف بابن الحاج. وشهر الآن في غير بلاده بالبلفيقي. بلده المرية وولي الأندلس، وله كتب وشِعر، كان في القرن الثامن للهجرة.

بنو منظور: اشتهر بإشبيلية باليقين والتقدم والأصالة وألّف فيهم كتباً منها (الروض المحظور في أوصاف بني منظور). ومنهم أبو بكر محمد بن عبدالله بن منظور القيسي المالقي، له شعر وتآليف.

ابن عسكر الغساني: محمد بن علي بن الخضر بن هرون الغساني المعروف بابن عسكر المالقي، له شِعر وكتب. مات سنة ٦٣٦هـ.

القرشي المقري: أصلهم في تلمسان استقر بها منه عبد الرحمن ابن أبي بكر بن علي القرشي المقري فاشتهرت ذريته بالتجارة فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار. واتخذوا طبلاً للرحيل وراية تقدم عند المسير. فنشأ يحيى بن عبد الرحمن المذكور وله خمسة ذكور عقدوا الشركة بينهم فيما ملكوه أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال. فنشأ البِكر عبد الرحمن بسجلماسة

وأبو بكر ومحمد بتلمسان وعبد الواحد وعلي بأيوالاتن وتناسلوا فكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الرجحان والخسران، ويقيس بينهما أحوال التجار والبلدان. فأثروا وخرجت أموالهم عن الحد. وكانت تفوق الحصر والعدّ لأن بلاد الصحراء قبل أن يدخلها أهل مصر كان يجلب إليها من المغرب ما لا بال له من السلع، فيتفاوض عنه بما له بال من الثمن، وكان بعضهم يقول: لولا القناعة لم أزل في بلادي تاجراً من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتِبر الذي كل أمر الدنيا له تبع، ومَن سواهم يحمل منها الذهب ويأتي إليها بما يضمحل عن قريب ويذهب ومنه ما يغير من العوائد ويجرّ السفهاء إلى المفاسد (اهـ).

ولما درج هؤلاء الأشياخ في جعل أبنائهم ينفقون مما تركوا لهم ولم يقوموا بأمر التثمير قيامهم، وصادفوا توالي الفتن ولم يسلموا من جور السلاطين، فلم تزل حالهم في نقصان إلى زمن أحد أحفادهم وهو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر أحد الخمسة بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن علي القرشي المقري قاضي الجماعة بفاس، فلم يبق من تراث أجداده إلا قليل، وفيها خزانة كتب كبيرة. فولع بالعلم وله تصانيف وشِعر منها تكملة ألفية ابن الفارض توفي سنة ٧٥٩هـ.

ابن بكر بن قيس: محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي. يكنّى أبا عبدالله ويعرف بابن بكر من ذرية بلج بن يحيى بن خالد بن عبد الرحمن بن زيد بن أبي بردة. واسمه عامر بن أبي عامر بن أبي موسى. واسمه عبدالله بن قيس صاحب رسول الله (ص)، ذكره ابن حزم في جملة من دخل الأندلس من العرب. مات سنة ٧٤١هـ في مصاب المسلمين يوم المناجزة بطريف شهيداً.

بنو عبد السلام الكناني (ابن جبير الرحالة): دخل عبد السلام هذا الأندلس في طالعة بلج بن بشر بن عياض القشيري في محرم سنة ١٢٣هـ. ونزل بكورة شدونة وهو من ولد ضمرة بن كنانة بن عبد بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن

إلياس، بلنسي الأصل ثم غرناطي الاستئصال. شرَّق وغرَّب، وعاد إلى غرناطة. ومن ولد عبد السلام محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن عبد السلام الكناني (المعروف بابن جبير الرحالة). رحل ثلاثاً من الأندلس إلى المشرق، وكتب رحلته الشهيرة وله مصنفات أخرى وأشعار. توفي بالاسكندرية سنة ٦١٤ هـ.

بنو شيرين: أصلهم من إشبيلية يعرفون فيها منذ القديم (ببني شيرين)، ولي منهم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن شيرين القضاء باشبيلية وكان من كبار أهل العلم. وانتقل ولده أحمد منها عند تغلّب العدوّ عليها سنة ٦٤٦ هـ فاحتل رندة ثم غرناطة ثم انتقل إلى سكنى سبتة، وبها ولد له محمد المكنى (أبا بكر) القاضي المؤرخ الكاتب. وانتقل عند الحادثة إلى غرناطة.. فارتسم في الكتابة السلطانية ووُلّي القضاء بجهات وتأتى مالاً وشهرة حتى جرى مجرى الأعيان من أهلها. وله شِعر بليغ، ومات سنة ٧٤٧هـ.

ابن هانىء من بني المهلب أو روح بن حاتم: محمد بن هانىء بن محمد بن سعدون الأزدي الأسبيري الغرناطي. من أهل قرية سكون يكنى أبا القاسم ويعرف بالأندلسي وكأنها تفرقة بينه وبين (الحكمي أبي النواس).

قال غير واحد من المؤرخين: هو من ذرية يزيد بن حاتم بن قطبة (٢: ٥٨٥) بن المهلب بن أبي صفرة. وقيل من ولد روح بن حاتم. وهو من أسرة أصيلة. مات ٣٦١هـ وهو الشاعر المشهور.

بنو الحاج: يتصل نسبهم بحارثة بن العباس بن مرداس صاحب النبي (ص). وكان لسلفه وخصوصاً لإبراهيم الشهرة.

ابن زُمْرُك: هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد الضرعي يكنى أبا عبدالله ويعرف (بابن زمرك). أصله من شرقي الأندلس وسكن سلفه ربض البيّازين من غرناطة وبه ولد ونشأ وهو شاعر شهير.

الغساني: هو محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم بن

علي الغساني البروجي الغرناطي. له شِعر بديع وكتب نفيسة. وقال المقري في «نفحه» (٢: ٨٥) ابن سيري في ميورقة قتل في حرب يوم الجمعة في ١٠ ربيع الآخر سنة ٦٢٨هـ. وجدُّه من آل جبلة بن الأيهم الغسّاني.

من أصل واحد في أشبيلية: بنو الحكيم، بنو الحجاج، بنو عباد.

انتقل أحد أسلافهم من إشبيلية إلى رندة في دولة بني عباد، وكان أحدهم يحيى بن محمد بن فتوح بن محمد اللخمي يلقب بالحكيم لطبّه. ومن سلالته نشأ ذو الوزارتين محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى المذكور أعلاه. قدِم غرناطة ونال الحظوة لدى ملوكها وولي الوزارة وُلّقب بذي الوزارتين (ولم تشغله السياسة عن النظر ولا عاقه تدبير الملك عن المطالعة والسماع وأفرط في اقتناء الكتب حتى ضاقت قصوره عن خزائنها وأثرت أنديته من ذخائرها). رحل إلى المشرق ودرس على علمائه. قتل سنة ٧٠٨ هـ وله شعر بديع وترسُّل بليغ.

أسر الأندلس

(من مصادر أخرى مختلفة، عن الصحف وغيرها)

بنو عياض (وبالافرنجية عياد): بنو عياض أمويون من سلالة الأمير عبد الرحمن الداخل الذي فرَّ من وجه الخلفاء العباسيين إلى الأندلس، وفي سنة ٥٤٠ هـ ملك أحد أفراد بني عياض على مرسية وخلفه أعقابه من بعده. وفي (المكتبة الوطنية الباريسية) قطعتان ذهبيتان كتب عليهما ما حرفيته: «أمير المؤمنين عبد الله بن عياض».

وبعد أن هجر العرب الأندلس حكم آل عياض في طرابلس الغرب، إلى أن أخرجها من يدهم أمراء (كارمنلي) فانتقلوا إلى جزيرة (دجربي) وملكوها لقاء جزية كانوا يدفعونها للحكومة العثمانية في الاستانة.

وفي القرن التاسع عشر كان بنو عياض في تونس نائلين مكانة رفيعة في بلاط الباي، حاكم تونس. وفي سنتي ١٨٣٠ و ١٨٤٦ م أرسل باي تونس أحدهم الأمير محمد بن عياض سفيراً موفداً لدى ملك فرنسة لويس فيليب.

وبغيابه اغتنم خصومه فرصة وشوا به فيها إلى الباي، فاضطر ابنه الأمير محمود بن عياد سنة ١٨٥٢ أن يدخل في الجنسية الفرنسية.

فحجزت حكومة الباي جميع أمواله وأملاكه. فالتجأ إلى الأمبراطور نابليون الثالث ليكون حكماً في مسألته. ففصل فيها سنة ١٨٥٦. ومع ذلك رفعت الشكاوى إلى المحاكم وكان المحامون فيها مدة ٥٠ سنة أشهر الفرنسيين مثل جول كريفي، وجول فافر، واللو، وكريني حتى اتصلت المحاماة فيها بميلران وبوانكاره.

وانتهت القضية سنة ١٩١٩ م بتراضٍ اتفق فيه الأمراء بنو عياض والحكومة التونسية. ولقد قامت الضجة في سورية في خريف سنة ١٩٢٨ م أن آخر بني عياض وهو الأمير عادل وهو من الأغنياء المهذبين نسيب الملك فؤاد ملك مصر ليكون أميراً على عرش سورية[٦].

---

(٦) لما اشتد الخلاف بين الأمويين في دمشق والعباسيين في بغداد واستفحل وانتزع هؤلاء الخلافة من الأمويين، هاجروا إلى اسبانية في سنتي ٥٤٠ و٥٤١ هـ (١١٤٥ و ١١٤٦م). فتولى أحدهم الحكم في مرسية كما تدل على ذلك قطعتا نقود ذهبية في مجموعة الأنواط في المكتبة الوطنية في باريس نقش عليها: (الأمير عبد الله بن عياد أمير المؤمنين).

وآل عياد من الأمويين فلما عادوا إلى أفريقية عند خروج المغاربة منها نزلوا في طرابلس الغرب، وبعد مزاولتهم للسلطة العليا دافعوا عن أحسابهم في أثناء حروب شديدة كانت طويلة الشقة.

ولما عقدوا الصلح مع أسرة أمراء القرمانيين الجديدة تفوقوا بنفوذهم الأدبي والديني، ثم صاروا يقلدون الحكام السلطة. وألجأتهم الضرورة إلى الإغارة بقبائلهم على البلدان المجاورة فاستولوا على جزيرة جربي في القرن السادس عشر وسادوا فيها، وأصبحوا يتوارثون الحكم خلفاً عن سلف وذلك مقابل جزية يدفعونها إلى حكومة الأستانة.

فحاصر حكام تونس جزيرة جربي في القرن الثامن عشر وفتحوها بعد حصار طويل. ولكن الظافرين أقروهم على حكومة جربي وفرضوا عليهم الجزية علاوة على الجزية التي كانوا يدفعونها إلى الاستانة فتضاعفت جزيتهم. وجاؤوا في صدر القرن التاسع عشر إلى تونس ورفعت منزلتهم عند صاحب البلاد، فأرسل محمد بن عياد منهم وزعيمهم مرتين إلى بلاط الملك لويس فيليب في مهمة فوق العادة في سنتي ١٨٣٠ و١٨٤٦. فأهدى إليه الملك وسام (اللجيون دونور) من رتبة (غران أوفيسيه). ولكن خصوم نجله محمود في تونس اغتنموا فرصة =

محمد بن أمية: مما كتبه ولدنا فوزي المعلوف نزيل (سان باولو في البرازيل) في مجلة (الشرق) في العدد ٣٠ والسنة الثانية بتاريخ ٣١ تموز سنة ١٩٢٩ عن الأمير الدكتور ڤيلاسباسا، أمير شعراء اسبانية نزيل البرازيل في شعره وترجمته وأسرته معرّباً له قصيدة في سقوط غرناطة. وهذا الدكتور يغالي بأصله العربي الذي هو بحسب ما رواه لولدنا فوزي فكتب عنه:

«على أثر سقوط غرناطة وتقلّص ظل العرب عن الأندلس تفرّق شمل المسلمين الأندلسيين وتضعضع شأنهم. فنزح فريق منهم إلى أفريقية وفي مقدمته الملك أبو عبدالله آخر ملوكهم. وبقي فريق في إسبانيا محافظاً على إسلاميته متعرضاً لاضطهاد الغالبين. وتنصّر فريق آخر هرباً من الاضطهاد، أو تقرباً من أولي الأمر. ومن الفريق المتنصّر نبيل عربي متحدر من السلالة الأموية» اسمه محمد بن أمية وقد دعي بعد تنصّره باسم (الدُن أنطونيو مولاي دي قرطبة وڤالور) ورزق ثلاثة أولاد:

– **الدُن فرننْدو:** وهو وارث لقب الأسرة. انتخب في مجلس نبلاء غرناطة الأربعة والعشرين. وسنة ١٥٦٥ م أي بعد سبعين عاماً من سقوط غرناطة، دخل فرننْدو وهو في (٢٢ سنة من عمره) إلى مجلس النبلاء متمنطقاً بخنجره، وكانت العادة أن يترك النبلاء سلاحهم عند مدخل المجلس. وقد ترك الدُن فرننْدو حسامه هناك ولكنه أبقى على خنجره. فتكدر الدون بدرو داسا رئيس المجلس ووبخه بلهجة قاسية غلى لها الدم العربي في عروقه فأجابه: «إنني لأدخلنَّ إلى المجلس كما أشاء. فأنا سليل ملوك أمية وقد كان لأجدادي في هذه الديار سلطة

= غيابه في فرنسة فغيّروا عليه عناية باي تونس، فاضطر حينئذ إلى التجنس بالجنسية الفرنسية سنة ١٨٥٢، وأنعم عليه بوسام (اللجيون دونور) من رتبة (غران أوفيسيه) مثل والده فعضده الأمبراطور نابليون الثالث بإقناع باي تونس لاسترجاع أملاكه المغصوبة التي أقام فيها الدعوى على الباي ولده الأمير طاهر، وعضده كبار المحامين فسويت القضية مع الحكومة التونسية سنة ١٩١٩. فوالدة الأمير عادل عياد هي الأميرة رقية المصرية من ذرية محمد علي باشا الكبير، وزوجته كريمة شقيقة جلالة فؤاد الأول ملك مصر. وسنة ١٩٢٨ رشح الأمير عادل بن عياد لعرش سورية.

الأمر والنهي وصولة العرش والتاج». فأغلظ له القول رئيس المجلس المذكور ونسبه إلى أمة البرابرة. فكبر ذلك على الدُن فرنندو وهجم كالنمر الهائج فصفعه وجرّد خنجره في وجوه النبلاء الثائرين عليه وتقهقر إلى الباب وتناول حسامه وسار توّاً إلى (حيّ البَيّسيّين) الآهل إذ ذاك بالأسر العربية. فجرد من رجال ذلك الحي الناقمين على الإسبانيين حملة سار بها إلى جبال النجارة الواقعة بين غرناطة ومرسية. وهناك بقايا العرب الهاربين معظمهم من الاضطهاد، فاعتصموا بالصخور وأوقدوا نار الثورة على الملك. ونادى بنفسه ملكاً (أي فرنندو) وسار في ظل رايته جماهير عديدة فذبحوا المسيحيين الاسبانيين القاطنين بينهم وفي جوارهم وذلك ليلة عيد الميلاد. فجرّد الملك فيليب الثاني أول حملة عليهم بقيادة المركيز دي لوس فيلييس، فدحروها. والحملة الثانية بقيادة المركيز مونديخار فأصابها ما أصاب الأولى فاستدعى الملك الجيش الإسباني المقيم في نابولي، وسلم قيادته إلى أخيه الدون جوان دي أوستريا فتقهقر هذا الجيش، وكان من قواد هذه الحملة (الكبيتان فيلاسباسا)[٧] جَدّ الشاعر لأبيه. ثم فُتن العرب على بعضهم ففشلوا وكان للدن فرنندو ابن عم اسمه (ابن أبيه)، فطمح إلى الملك فتنافر مع ابن عمه فرنندو، فسعى بقتله بعد حكمه ٣ سنوات وصار الحكم إلى (ابن أبيه) هذا الذي قتل غدراً. وبعد حرب أربع سنوات تضعضع الثوار لدى الإسبان. واعتقل والد الدن فرنندو في مدريد عند انتفاض ابنه فعفا الملك عنه وعن أولاده بعد موت فرنندو بوساطة من دوق دي سيسا حفيد كونزلف دي قرطبة.

ـ **مارتين**: وبعد تضعضع شأن فرنندو كما ترى، رجع لقب الأسرة إلى مارتين. ولكن هذا باع لأخيه الثالث الدون لويس كل عقاراته وصار لقب هذا الدون هكذا **(مرتين دي ڤالور)** فقط، وهو اسم أسرة والده الشاعر الاسباني (ڤيلاسباسا).

---

(٧) فوالد الشاعر (ڤيلاسباسا) هذا متحدر من سلالة الكابيتان (ڤيلاسباسا) الذي قدم مع الحملة الاسبانية من إيطاليا وحارب الدون فرنندو كما سبق. وبعد أربعة قرون تزوج سليلة خصمه. وولد الشاعر في الاحاد في نفس المنزل الذي قتل فيه الدون فرنندو. جدّه لأمه، وكتب فيلاسباسا هذه الحادثة برواية اسبانية.

ـ **لويس**: اشترى عقارات مارتين. فصار لقبه الدون لويس دي إينيسيا دغواروس، ولا تزال من سلالته إلى الآن في اسبانية أسرة (المركيز دي إينيسيا) وهم من أعرق الأسر الإسبانية.

٣ ـ البرتغاليون والهولنديون

كان البرتغاليون أول من استعمر بلاد الهند من الافرنج وذلك في أيام ملكهم عمانوئيل الأول بعد افتتاح طريق الهند البحرية على يد الرحالة فاسكو دي غاما البرتغالي سنة ١٤٩٨، فأسسوا فيها على السواحل أسواقاً عامة أشبه ببلاد صغيرة لمبادلة البضائع الوطنية. وبواسطة البرتغاليين، دخل عدد من رهبان اللاتين إلى الهند للتبشير في أرجائها.

وفي أوائل القرن السابع عشر اقتفى آثارهم (الهولنديون) فأسسوا أسواقاً تجارية مثلهم، وتغلبوا على البرتغاليين فأخرجوهم من الهند لضعف دولتهم.

وأسس الهولنديون شركة الهند الشرقية وكانت مؤلفة من بحّارين وتجار وكان لهم نفوذ في بعض البلاد. وأقاموا على تلك الحالة من النفوذ والتجارة إلى أواسط القرن الثامن عشر، وجاء بعد الهولنديين الإفرنسيون.

ثم جاء الإنكليز فتغلبوا على الفرنسيين وضبطوا بلاد ميليبار التي كانت تحت حكم الهولنديين، ولا تزال جزيرة (جافه) و(سومطره) وغيرهما في حوزتهم وهي بلاد سكانها أكثر من ثلاثين مليوناً.

وسنة ١٨٥٨ تنازلت الشركة الانكليزية التجارية عن أملاكها إلى دولتها البريطانية. وكما فعل البرتغاليون بتعزيز مذهبهم اللاتيني في مستعمراتهم فعل كذلك الانكليز في نشر مذهبهم الانجيلي في الهند منذ أول القرن التاسع عشر. مما وقف في سبيل مذهب السريان الأرثوذكس في الميليبار الذين بلغ عددهم في منتصف القرن ١٨ المسيحي ٦١,٢١٠ أنفس بمعدل البيت خمسة أنفس، يسكنون في ٤٧ بلدة وقرية ولهم ٤٥ كنيسة وأغنياؤهم قليلون إلا في الجنوب وعدد بيوتهم ١٢,٢٤٢ بيتاً.

٤ ـ قبرص

معلوم أنه رحل كثير من اللبنانيين إلى قبرص (الجزيرة المعروفة في البحر المتوسط) وعاد بعضهم منها. وجاء في (مجلة المشرق) (٢٢: ٤٣٩): أن الأب دنديني ورفيقه عند مجيئهما إلى لبنان نحو سنة ١٥٩٦م عرَّجا على قبرص. فوصف الأب دنديني تلك الجزيرة وذكر القرى التي يسكنها الموارنة فهي تسع عشرة قرية وهي: مطوشي، وفلودي، وسانتا مارينا، وشيبو، وياري (قرب خيثرايا)، وأسوماتوس، وغمبيلي[٨]، وكرباصيا، وكورماكيتي، وكازابيفاني، وفوتو، وكروشيدا، وكيف لوريزو، وكروشيدا التحتا، وطالا، وكليبيديو، وليسكوبيا، وغستريا. وفي كل قرية خورينة على الأقل والفقر ضارب أطنابه بينهم. وإنه كان لموارنة قبرص أسقف من ملة، ولم يُقم له خلف (اهـ). وقد خدع برواية كاذبة لأن أسقف قبرص في تلك الأيام كان يوحنا ابن أسكيلا وهو قبرصي مات سنة ١٥٩٨ فخلفه موسى العنيسي. وكان قد أسلم كثير من نصارى تلك الجزيرة للجور والاضطاد.

وممن نعرفهم في قبرص من الأسر اللبنانية أو السورية:

الإسكاف أو السكاف: أصلهم من بجة في مزرعة عكار، ومنهم اليوم في زغرتا أو إهدن (٤: ٦٣١).

بنو اسكندر: أصلهم من بيت مهنًا في العاقورة (٣: ١٤٤) ومنهم كهنة.

بنو الخرياطي: (ر.ك) في جون منهم المطران باسيليوس خرياطي أسقف صيدا ودير القمر.

(٨) راجع تاريخ الخوري غبريل.

بنو العضيمي: ومنهم أبو شبكة.

سكان قبرص عن رحلة إلياس باشا

نقلاً عن الكتاب بالحرف:

يقطن جزيرة قبرص اليوم سنة ١٩٢٠ ثلاثمائة ألف نسمة منهم ٢٣٤ ألفاً من الروم الأرثوذكس و٦٠ ألفاً من المسلمين و٢٥٠٠ من الموارنة و١٦٠٠ من البروتستنت و١٥٠٠ من اللاتين و٤٠٠ من اليهود.

وقد سألنا عن وجود الموارنة دون غيرهم من السوريين فقيل لنا: إنهم أتوا قبرص من قديم الزمان وأصلهم من بكفيا لبنان[٩].

وقد سمعنا عن جهة تدعى كورماكيتي جميع سكانها موارنة يتكلمون اللغة العربية مكسرة. أما الذين أتوا من جهات أخرى كبيروت مثلاً فقد كانوا يتجنسون الجنسية اليونانية، ويغيّرون أسماءهم أو هي تتحرف مع الوقت كعائلة كرجي مثلاً وأصلها بيروتي فهي الآن (كرزي) كما قال لنا أحد أعضائها.

أما اللغة السائدة في قبرص فهي اللغة اليونانية مع بعض التحريف الطفيف في الألفاظ. والمسلمون يتكلمون اليونانية والتركية.

جزيرة قبرص والموارنة

لا يخفى أن نصارى شواطئ لبنان ولا سيما الموارنة تقاطروا إلى جزيرة قبرص في أوقات مختلفة، وامتزجوا بسكانها اليونانيين منذ القديم وصار بعضهم يونانياً ولذلك نبحث قليلاً هنا عن تاريخ الجزيرة وحوادثها ونصاراها اللبنانيين فنقول:

قبرص جزيرة كبيرة في شرقي البحر الرومي (المتوسط) اشتهرت منذ القديم بموقعها:

(٩) لهذا السبب كانت أسقفية الموارنة في بكفيا وما يجاورها تسمى أبرشية قبرص ومقرّ أسقفها الآن (قرنة شهوان)، وأسقفها العلامة المطران بولس عوّاد.

طولها ١٥٠ ميلاً وعرضها بين ٥٠ و ٦٠ ميلاً، ومساحتها ٩٦٠٠ كيلو متر مربع، وعدد سكانها أكثر من ٢٣٧ ألف نسمة منهم نحو ثلاثة آلاف من الكاثوليك منهم ١١٣٠ من السريان الموارنة.

واشتهرت بصناعة السيوف البديعة وأنواع الأسلحة الماضية. وأدوات شَبَه (البرونز) الثمينة. نزل الفينيقيون جزيرة قبرص. ثم سكنها اليونانيون وسمّوها بهذا الاسم (قبرص) بلغتهم اليونانية بمعنى (النحاس) لكثرته فيها.

وظن بعضهم أنها هي (كتيم) القديمة التي نسبت إلى كتيم بن يافث بن نوح كما جاء في سفر التكوين (١٠ : ٤) وسفر العدد (٢٤: ٢٤) ـ قال في سفر العدد: «وتأتي سفن من ناحية كتيم وتخضع أشور وتذل العبرانيين».

وقد افتتحها توطمس الثالث (تحوتمس) ملك مصر. ثم ملكها ببلوس ملك صور وقوّض أركان أكثر مدنها. ثم أخضعها سرجون ملك أشور سنة ٧٠٧ ق.م ونهبها بعده فرعون حفرع. ثم استولى عليها داريوس ملك الفرس. وسنة ٦٧٧ ق.م أخذ اليونان قسماً منها. واستعان الاسكندر بمائة وعشرين سفينة من سفنها عندما حاصر مدينة صور الفينيقية سنة ٣٣٥ ق.م ففتحها سنة ٣٣٢ ق.م. ثم خضعت لبطليموس الأول من بطالسة مصر سنة ٢٩٥ ق.م. ثم ملكها الرومان سنة ٥٨ ق.م.، وتولى عليها شيشرون سنة ٥٢ ق.م. ولما انقسمت تلك المملكة، صارت قبرص في حوزة قياصرة القسطنطينية عاصمة المملكة الرومانية الشرقية.

واشتهرت في عصور المسيحية الأولى بأسفار القديسَين بولس وبرنابا إليها، كما في سِفر الأعمال (١٣) فانتشرت فيها النصرانية بواسطتهما.

وطمحت نفوس العرب إليها منذ منتصف القرن السابع إلى سنة ٩٦٤، فغزوها مراراً واحتلوها تارة وتركوها أخرى.

وسنة ١١٨٤ كان واليها إسحق كومين فاستقل بأحكامها شاقاً عصا الطاعة على ملك القسطنطينية. ولم يلبث أن استولى عليها ركاردوس قلب الأسد ملك الإنكليز وبطل الحروب الصليبية سنة ١١٩١م. فولّى عليها الأخوة الهيكليين ثم

باعها منهم. ولما ثار عليهم السكان وهبها ريكاردوس لملك أورشليم غويدي لوزينان Guy de Lusignan الذي دك عرشه صلاح الدين الأيوبي فملكتْ ذرية لوزينان قبرص ثلاثة قرون وكان آخر ملوكهم يعقوب الثاني، الذي كان قد اقترن سنة ١٤٧٢ بالأميرة كاترينه كورنارو البندقية، وتوفي سنة ١٤٧٣ فملكت كاترينه عرشه حفظاً لقوة ولدها الجنين الذي كانت حبلى به عند موت والده. فلم يعش ذلك الولد أكثر من سنتين فاستلمت الصولجان محله سنة ١٤٧٥ إلى أن ألجأها وطنيوها البنادقة إلى التنازل عن العرش لهم في سنة ١٤٨٩ .

وهكذا ملك هذه الجزيرة الجنويون سنة ١٣٧٣ ثم البنادقة سنة ١٤٨٥ أو ١٤٨٩.

ثم هاجم الأتراك قبرص أولاً سنة ١٥٢٧ تحت امرة السلطان سليمان الثاني ورجعوا عنها خائبين، وهاجموها ثانية سنة ١٥٧٠ فأنزلوا جيوشهم في مدينة لارنكا (الملاحة) ثم في (ليماسول) وأخذوا مدينة لفقسية (الشاهر). أما الماغوصه فلم يتم فتحها على ما سترى إلَّا في ١٤ أيلول سنة ١٥٧١ في عهد السلطان سليم الثاني وقيادة مصطفى لالا باشا (جد آل مردم بك في دمشق). وقد وصف هذه الموقعة سرجيس من سمار جبيل بزجلية راجعها في مجموعة الأزجال تأليفنا المسماة (نيل المتمنّى في فنون المعنّى).

وبقيت قبرص ملاذاً لنصارى لبنان وإيطالية وغيره يفرّون إليها من الكوارث والأوبئة والتعديات. وكان الروم في الجزيرة يبغضون الافرنج لمخالفتهم إياهم في معتقدهم ولا سيما في القيصرية الشرقية. ولهذا عرقلوا مساعي الحملتين الأوليين على الشرق. وكانوا من مذهب الروم في القسطنطينية باعتبار الإفرنج فمالأوا العثمانيين عند الفتح المذكور أعلاه ضد البنادقة.

والموارنة في قبرص قدماء جداً. فعرفوا منذ القرن التاسع للميلاد على أثر الاضطهاد العام الذي جرى في عهد الخليفة المأمون العباسي (٨١٣ ـ ٨٣٣ هـ) في سورية وفلسطين. إذ التجأ كثير من المسيحيين من أكليريكيين وعلمانيين إلى قبرص لقربها من الشواطىء اللبنانية.

وعرفنا بعضهم في الجزيرة من حواشي المخطوطات. ففي مخطوط فاتيكاني تحت عدد ٧ اسم سمعان الراهب الذي صار رئيساً ومدبراً لدير مار يوحنا الكوزبند في جزيرة قبرص سنة ١٤٣٢ لليونان (١١٢١م) بزمن البطريرك بطرس في دير سيدة ميفوق في وادي إيليج. ثم بحاشية أخرى الراهب دانيال من دير كفتون رئيساً على ذلك الدير سنة ١٤٥٣ يونانية ١١٤١ م. ثم الراهب شعيا من دير قزحيا سنة ١٤٦٥ يونانية ١١٥٤ م رئيساً على رهبان ذلك الدير وهم جبرايل وشمعون وحبقوق ومخايل. فصار كثير منهم أرثوذكساً ولا يزالون يذكرون أصلهم اللبناني دائماً واضطهادهم من الأتراك والمسلمين والحوادث الطارئة وأهمل أمرهم أحياناً بعدم وجود كهنة يخدمونهم. وزاد عددهم زمن الملك آل لوزينيان والبنادقة على الجزيرة وعدد البطريرك أسطفان الدويهي كثيراً منهم.

قبرص وعيالها (٢١ آب سنة ١٩١٤)

(قرية كورما جيت): أكبر بلدة مارونية في قبرص سكانها نحو ٩٠٠ نسمة يتكلمون العربية مكسرة. عيالها:

- **بيت (سكولو) أي الكلاَّب**. يقال أنهم نزحوا من كور الهوا في بلاد جبيل. وشيوخهم يقولون إن أصلهم من عيلة بيت الخوري موسى في (كور الهوا) وإن أجدادهم اتخذوا اسم الكلاَّب في عمشيت تقرباً منهم. وقيل إنهم نزحوا من كور الجندي في بلاد البترون إلى قبرص.
- **بيت الخيال**: من دير القمر.
- **بيت الراعي**: من حالات.
- **بيت الحاج بطرس**: من بحرصاف.

(قرية كرباشا) يترجمونها (قرب آسيا). وهي المزرعة التي نزح منها أجدادهم بيت (زلام) وسكانها ٢٠٠

قرية (آياسا ماتوس) ويلفظونها عادة سمتو أي شامات، حسب تقليد

أجدادهم. سكانها نحو ٣٠٠ ومنها نشأ قديماً القس اندراوس اسكندر تلميذ مدرسة الموارنة في رومية وفيها ثلاث عيال:

- **بيت اسكندر**: أصلهم من العاقورة من بيت مهنا (٣: ١٤٤).
- **بيت السامري**: من أسمر جبيل.
- **بيت الحلو**: من شامات.

قرية **(آيا مارينا)** أي القديسة مارينا. سكانها من وادي قنوبين، وهم يشبهونهم إلى الآن بعاداتهم وملابسهم وأخلاقهم وعددهم نحو ٢٥٠ نسمة من:

- **بيت الاسكاف**: أصلهم من بجة في مزرعة عكار. ومنهم اليوم في زغرتا أو إهدن.
- **بيت البكري**.
- **بيت الخوري**

(قرية مطوشي): نشأ منها قديماً الخوري مخايل تلميذ مدرسة الموارنة برومية في الفلسفة واللاهوت. أفنى أهلها مرض الطاعون نحو سنة ١٧٢٥م. ولم يبق فيها من أثر سوى كنيسة مار الياس. فصارت بعد ذلك للرهبان اللبنانيين فبنوا بجنبها ديرهم المعروف بدير مار الياس مطوشي.

وهناك قرى أخرى ترك أهلها المذهب الكاثوليكي وصاروا أرثوذكساً. والكنائس ملك الموارنة إلى الآن (اهـ).

٥ ـ أقريطش (كريت)

(حزيران سنة ١٩٢٢)

قال في (نهاية الارب في فنون الأدب) لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد ابن عبد الدائم البكري التيمي القرشي المعروف بالنويري المتوفى [...] (طبع أوربة سنة صفحة ٢٥٧ و٢٥٨) ما محصّله:

لما ملك الروم جزيرة أقريطش سنة ٣٥٠هـ في غرة المحرّم، وقتلوا صاحبها ومَن معه من الجند وعفوا عن قتل الرعية، ووجدوا الأموال التي كانوا بذلوها مضاعفة فأخذوها وسبوا نساء الأجناد وذراريهم وشحنوها بالعدد والأجناد.

ثم ذكر في فصل نبذة بعنوان: (ذكر تنصُّر أهل أقريطش) صفحة ٢٥٨:

قال المؤرخ: ولما قرب عيد الميلاد أمروا أكابر الجزيرة بالمسير إلى الملك للهناء بالعيد فتوقف الأكابر ونفذوا مائة رجل من أوساط القوم. فلما وصلوا إلى الملك وسلموا عليه أمر بإكرامهم وخلع عليهم وأمر لكل رجل منهم بعشر أواني من الذهب فرجعوا فرحين وندم من تأخر عن المسير. فلما أقبل عيد الفصح تهيَّأ أكابر أهل الجزيرة للمسير واجتمع منهم جماعة كثيرة فلما وصلوا إلى **(القسطنطينية)** أمر الملك أن يجعلوا في موضع وجعل عليهم حرساً ومنعوا من الطعام والشراب إلى أن أيقنوا بالهلاك فشكوا ذلك إلى الموكَّلين بهم. وقالوا: القتل خير لنا من هذا. وما الذي يريده الملك منا؟ فقالوا: إنه يريد دخولكم في دين النصرانية. فإن لم تجيبوا مُتُّم على هذه الحال وسبيت ذراريكم. فلما اشتدَّ عليهم البلاء **تنصّروا** فخلع عليهم وتوجهوا إلى أهاليهم فلما

وصلوا الجزيرة منعوا من الدخول إلى بيوتهم وقيل لهم (أنتم نصارى) وهؤلاء (مسلمون) فإن دخلوا في دين الملك اجتمعتم، وإن أبوا ملكناهم. فتنصَّر الباقون في يوم واحد ثم مات الآباء وبقي الأولاد على أشدّ ما يكون في دير النصرانية والبعض في المسلمين. نسأل الله تعالى أن لا يمكر بنا ولا بأهالينا ولا بذرارينا (بذرياتنا) ولا بشعبنا الخ. (انتهى وهو آخر الكتاب).

٦ ـ جزيرة كورفو

واقعة على مدخل البحر الأدرياتيكي غربي أبيروس، يفصل بينهما مضيق من الماء، ويختلف عرضه من ميلين عند رأسها الشمالي الشرقي إلى ١٣ ميلاً في منتصفها.

وهي أكبر جزيرة في مجموعة الجُزُر الأيونية الواقعة غربي اليونان وأقصاها شمالاً. أطولها نحو ٤٠ ميلاً وعرضها ٣٥ ميل في قسمها الجنوبي و٢٠ ميلاً في قسمها الشمالي ومساحتها ٢٧٠ ميلاً مربعاً، وسكانها أكثر من مائة ألف نفس تخترقها الجبال الجرداء وتبلغ أعلى قممها ٢,٩٩٧ قدماً.

وأرض الجزيرة خصبة تزهو فيها غابات الزيتون والسَرو والسنديان. وتزكو فيها الكروم المشهورة بخمرها والبرتقال والتين والخروب والتوت ويكثر فيها العسل. وعاصمتها (مدينة كورفو) سكانها نحو عشرين ألف نفس، ولها مداخلات بحرية مع الاسكندرية وأثينا وتريستة وإيطاليا وانكلترا وفيها قصر ملكي لملك اليونان وقصر بديع لأمبراطور ألمانيا السابق كان يقضي فيه أياماً في بعض السنين. واسم الجزيرة القديم (كورسيرا) وكانوا يسمونها أيضاً (درباتي) أو المنجل، لأن شكلها يشبه شكل منجل الحصاد. وقال بعضهم إنها هي (سخيريا) التي ذكرت في شعر أوميروس، احتلتها جماعة من المهاجرين الكورنثيين سنة ٧٣٤ قبل المسيح فاستفحل شأنهم وعظمت سطوتهم وحاربوا وطنهم الأصلي في ٦٦٥ ق.م في أول معركة بحرية مذكورة في التاريخ.

وتقلبت أحوال كورفو برفعة وانحطاط حتى سقطت بيد الرومان سنة ٢٩٩ ق.م، ولما انقسمت الأمبراطورية الرومانية، ألحقتْ كورفو بالقسم الشرقي منها

وبقيت بيد أمبراطورة بزنطية إلى سنة ١٠٨١م لما فتحها روبر جيسكار. ثم استولى عليها البنادقة في سنة ١٤٠١م وبقيت بيدهم إلى سنة ١٧٩٧م لما تنازلوا عنها لفرنسا.

وفي سنة ١٧٩٩م. استولت تركيا وروسيا عليها وعلى سائر الجُزُر الأيونية وجعل منها ومن الجزر السبع المجاورة لها جمهورية تحت حماية تركيا. ثم أعيدت لفرنسا سنة ١٨٠٧م بمقتضى معاهدة تيلست، ثم استولت عليها انكلترا بعد سقوط نابليون بونابرت سنة ١٨١٥م وألفت من هذه الجزر دولة متحدة تحت حماية انكلترا. وفي سنة ١٨٦٣م. لحقت باليونان بعد اختيار الملك جورج الأول جد الملك الحالي ملكاً على اليونان.

وكورفو أقرب الأملاك اليونانية إلى إيطاليا من جهة (ترانتو)، ولا يفصل بينهما سوى البحر الأدرياتيكي في أضيق مكان فيه.

وفي أواخر آب سنة ١٩٢٣م حدث خلاف عليها بين اليونان وإيطاليا وحدثت أزمة شديدة بينهما.

موقعها: جزيرة يونانية يسميها العرب (قُرقُش) والقدماء كركور Corcyre والآن Corfou وهي أول الجزر اليونانية شمالاً، وكان اسمها القديم (كورسير) وهي الآن مع جزيرتي پاكسو ولوكاد تؤلف ولاية واحدة. وتكاد تكون من أولها إلى آخرها سلسلة جبال كأنها حلقة من سلسلة جبال ألبانية والأبير وهي صخرية طباشيرية، وأعلى قممها (بانتو كراتور) التي تعلو عن سطح البحر ٩١١ متراً والراقي إليها يشرف على خليج كورفو.

مساحتها ٥٦٠٠ كيلومتر مربع وعدد سكانها سبعة وثمانون ألف نفس. مناخها معتدل وهواؤها لطيف وجاف. وأهم زراعتها تنحصر بالقمح والزيتون والبرتقال والكرمة والليمون الحامض. فموقعها على مدخل البحر الأدرياتيكي قبلة في الجنوب الغربي من خليج (أوترانتو) على مقربة من مدينة (ترنتو) قاعدة قوى إيطالية البحرية يجعلها بمثابة مفتاح لبحر الأدرياتيك. ومن كان له هذا البحر لا يكون له غنى عن هذه الجزيرة. مدينتها الوحيدة هي (كورفو) وسكانها

نحو سبعة عشر ألفاً، وسبب نجاحها خليجها البديع الذي هو مرسى أمين للسفن ولا سيما بواخر البريد النمسوية واليونانية. وعلى مسافة ثلاثة عشر كيلومتراً من كورفو جزيرة باكسوس، أو باكسو مساحتها ثمانية كيلومترات وهي تكمّل مع جزيرة (أنتي باكسوس)، أي مقابل باكسوس دائرة جزيرة كورفو، فيتكون منها ولاية واحدة وعدد سكانها خمسة آلاف. يزرع فيها شجر اللوز والبرتقال والزيتون وزيتها أفخر زيت اليونان ومياهها من الآبار لأنها صخرية.

تاريخها: كانت هذه الجزيرة لأول عهدها مستعمرة لكورنثية وذلك سنة ٧٠٨ قبل المسيح. ثم استولى عليها ملوك (سيراقوزا) ـ فملوك (أبير) (فاليونان) إلى أن وقعت في يد الرومان سنة ٢٢٩ قبل المسيح. ثم ألحقت بالأمبراطورية الرومانية الشرقية، فالأمبراطورية اليونانية أو البيزنطية. ثم تسلط عليها ملوك نابولي الفرنسيون سنة ١٢٦٤م وبعدهم دخلت في ملك جمهورية البندقية سنة ١٣٨٦م. وأراد العثمانيون الاستيلاء عليها في القرنين السابع عشر والثامن عشر فلم يتوفقوا لذلك. وفي سنة ١٨٦٤ ضُمت إلى مملكة اليونان الحديثة.

وفي أثناء الحرب العامة (١٩١٤ ـ ١٩١٩) صارت ملجأ لجيش السرب على أثر اكتساح النمسويين وحلفائهم مملكة السرب وتشتيت شمل جيشها. واتخذوها قاعدة لمَلِكِهِم ولوزرائه. فتمكن فيها الفرنسيون من تنظيم هذا الجيش وتجديد تعبئته، فكان أكبر معين لهم في انتصاراتهم الأخيرة في البلقان (أيلول سنة ١٩١٨).

وفي أيلول سنة ١٩٢٣ أمر موسوليني باحتلال كورفو عقاباً لليونان لقتل رعايا البعثة الإيطالية، فاحتلها الإيطاليون ثم غادروها بعد قليل. ولا تخفى ضرورة أخذ الإيطاليين لها لأنها مفتاح بحر الأدرياتيك الكثيرة المصالح فيها.

جزيرة كورفو
منشأ بعض الاسر السورية واللبنانية

لقد كانت العلاقات التجارية في القرون الأخيرة ولا سيما السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر مع الجزر على البحر الرومي. فكان كثير من سكانها يقصدون سورية للاتجار ويسافرون بسفنهم الشراعية وكثير منهم الذين تديروا هذه البلاد فممن عرفتهم من هؤلاء:

بنو مشّاقة في دير القمر ودمشق ومصر.

بنو ينّي في طرابلس الشام.

بنو كاثفليس في طرابلس الشام.

بنو ساروفيم في عكا وحيفا وبيروت منهم قسطا بزمن ابراهيم باشا المصري.

٧ ـ الفرنسيون في الشرق

توجد أسر كثيرة تنتسب إلى الفرنسيين ولا سيما في زمن الصليبيين وما بعده وفي زمن مجيء نابليون إلى مصر وسوريا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر.

ولما جاء نابليون بونابرت لفتح عكا في (سنة ١٧٩٩) بقيت عياله في السواحل وتوغلت في الداخلية، منها بنو (النجّار) في دير القمر وجدهم يوسف دمياني.

وفي مرج ابن عامر مسلمون اسمهم (الزغبيّة) وهؤلاء اختلطوا بالجنود الفرنسية وسلائلهم أشبه بالفرنسيين إلى يومنا.

٨ ــ المسلمون في أوروبة

أحصى الدكتور زويمر الأميركي في مجلة المستشرقين الأميركية المسلمين في أوربة سنة ١٩٢٤ (هكذا) ومجموعه ١٧ مليوناً و٧٨٩ ألفاً و٩٥٧ نسمة:

- في ألبانية ٨٣٠ ألفاً.
- في بلغارية ٦٧٢ ألفاً وخمسة مائة.
- في اليونان ٤٧٥ ألفاً.
- في الجبل الأسود ١٠٥ آلاف.
- في رومانية ٤٤ ألفاً و٨٧ نسمة.
- في روسية ١٥ مليوناً و٢٠٠ ألف نسمة..

الأمم التي تنصّرت[١٠]

النصارى في الشرق

منهم الأرمن: وكانت بلادهم أرمينية وقاعدة مملكتها (خلاط). فلما ملكها المسلمون صارت الأرمن رعية فيها. ثم تغلبت الأرمن على الثغور وملكوا من المسلمين (طرسوس) و(المصيصة) واستولوا على تلك البلاد التي تعرف اليوم ببلاد (سليس)، وسليس مدينة ولها قلعة حصينة وهي كرسي مملكة الأرمن في زماننا هذا.

(١٠) عن **المختصر في أخبار بني البشر** لأبي الفداء الحموي، طبع ليبسك ١٨٣١، ص ١٦٨.

وفي أثناء (تاريخ الأسر) هذا ذِكر كثير من الأسر الأرمنية في بلادنا ومشاهيرها.

ومنهم الكرج: وبلادهم مجاورة لبلاد (خلاط) آخذة إلى الخليج القسطنطيني وممتدة إلى نحو الشمال ولهم جبال منيعة. والكرج خلق كثير وقد غلب عليهم دين النصارى ولهم قلاع حصينة وبلاد متّسعة. وهم في زماننا هذا مصالحون للتتر. وبيت الملك عندهم محفوظ متوارث ممن يليه [من] الرجال والنساء من ذلك البيت.

ومنهم الجركس: وهم على بحر نيطش من شرقيه وهم في شظف من العيش والغالب عليهم دين النصارى.

ومنهم الروس: ولهم بلاد في شمالي بحر نيطش. وهم من ولد يافث وقد غلب عليهم دين النصارى.

ومنهم البلغار: ينسبون إلى المدينة التي يسكنونها وهي في شرقي بحر نيطش. وكان الغالب عليهم النصرانية ثم أسلم منهم جماعة.

ومنهم الألمان: وهم من أكبر أمم النصارى. يسكنون في غربي القسطنطينية إلى الشمال وملكهم كثير الجنود وهو الذي سار إلى صلاح الدين بن أيوب في مائة ألف مقاتل فهلك ملك الألمان المذكور وغلب عسكره في الطريق قبل أن يصلوا إلى الشام على ما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى مع أخبار صلاح الدين المذكور.

ومنهم البرجان: وهم أيضاً أمة كبيرة، بل أمم كثيرة طاغية قد نشأ فيها التثليث، وبلادهم داغلة في الشمال وأخبارهم وسير ملوكهم منقطعة لبعدهم وجفاء طباعهم.

أمم النصارى[١١]

ومنهم الافرنج: وهم أمم كثيرة وأصل قاعدة بلادهم (فرنجة) ويقال

(١١) عن أبي الفداء.

(فرنسة) وهي مجاورة لجزيرة الأندلس من شمالها. ويقال لملكهم الفرنسيس وهو الذي قصد ديار مصر وأخذ دمياط، ثم أسره المسلمون واستنقذوا دمياط منه ومنُّوا عليهم بالإطلاق وكان ذلك بعيد موت الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن أبي بكر بن أيوب على ما سنذكره في سنة ٦٤٨ للهجرة إن شاء الله.

وقد غلب الفرنج على معظم جزيرة الأندلس، ولهم في بحر الروم جزائر مشهورة مثل (صقلية) و(قبرس) و(أقريطش) وغيرها.

ومنها الجنوية: منسوبون إلى جنوة. وهي مدينة عظيمة وبلاد كثيرة وهي غربي القسطنطينية على بحر الروم.

ومنها البنادقة: وهم أيضاً طائفة مشهورة ومدينتهم تسمى (البندقية). وهي على خليج يخرج من البحر ويمتد نحو سبع مائة ميل في جهة الشمال والغرب. وهي قريبة من جنوة في البر وبينهما نحو ثمانية أيام، وأما في البحر فبينهما أمد بعيد أكثر من شهرين لأنهم يخرجون من شعبة البحر التي على طرفها البندقية وقدرها سبعمائة ميل إلى بحر الروم مشرقاً ثم يسيرون فيه مغرباً إلى (جنوة). وأما (رومية) فهي مدينة عظيمة تقع غربي جنوة. و(البندقية) وهي مقر خليفتهم واسمه (البابا)، وهي شمالي الأندلس بمَيلة إلى الشرق.

ومنهم الباشقرد: وهم أمة كثيرة ما بين بلاد الألمان وبلاد افرنجة وملكهم وغالبهم نصارى وفيهم أيضاً مسلمون وهم شرسو الأخلاق.

ومنهم الجلالقة: وهم أشد من الفرنج وهم أمة يغلب عليهم الجهل والجفاء. ومن زيهم أنهم لا يغسلون ثيابهم بل يتركونها عليهم إلى أن تبلى. ويدخل أحدهم دار الآخر بدون استئذان. وهم كالبهائم ولهم بلاد كثيرة في شمالي الأندلس.

الفصل الثالث

شعوب آسيا

١ ـ التُرك

يتصل نسب العثمانيين القاطنين في ما يجاور جبال التاي عند حدود الصين الشمالية. ويرجح أنهم السكينيون. وجماعة منهم ينتسبون إلى جد لهم اسمه (ترك) نزحوا غرباً في القرن الأول للميلاد، وأقاموا في بلاد تركستان المشهورة بخصبها، واعتنقوا الديانة الإسلامية في أواسط القرن الرابع للهجرة وانقسموا إلى طائفتين كبيرتين الأغوزية والسلجوقية.

من ولد يافث بن نوح وأبوهم تُرْك. سمّاهم هيرودوتس ترجيثاوس، وذكرته التوراة باسم توجرما وذكر ابن الأثير أنهم من ولد تيرش أو طيراش بن يافث. وفي مكان آخر أن أباهم الذي يقال له ترك من ولد طرج بن أفريدون ينتهي إلى جيومرت أو كيومرت ويرجع إلى تيرش بن يافث بن نوح.

وقال ابن خلدون: ينسبهم العرب إلى غامور بن سويل بن يافث قال وهو الملك غامور مصحف عن كومر أو جومر فأبدلوا الكاف غيناً. وجومر هذا من ولد توجرما.

أما مؤرخو التتر المغول فإن قصدوا تشريف عائلتهم قالوا إنها من ولد تتر ومغول وهما أخوان من نسل ترك بن يافث. والعثمانيون الأتراك يجعلون اسم ترك مختصاً بقبائل متبدية متوحشة ويقولون في الطباع (ترك).

وعرف اسم الترك بلينيوس وبمبونيوس ميلاد هيرودوتوس، وذكروا باسم تورغيوس لكنْ صحّفهُ الكتّاب إلى أمورغيوس. وقيل سماهم بلينيوس باسم ترسي وبمبونيوس باسم يُرسي.

وكان البيزنطيون يسمون الأتراك باسم فُرس أو نغوردمجر، وإن لم يكن بين الترك والفرس قرابة ولا بين الفرس والمجر.

والقبائل التركية الذين يسميهم الصينيون باسم توكو خرجوا من جبال التائي، وتفرقوا في أنجاد آسية العليا وهي تركستان الحالية. وكان الفرس يسمون هذه البلاد توران فكان اسم ترك أو تورانية اسماً جنسياً للقبائل المتوحشة. وصار توران عند اليونان يُلْفَظ تيران ومعناه طاغية أو عاتٍ. ولفظة ترك عند العثمانيين الآن مرادفة لبربري.

وأما (الديغور) أي أتراك الشرق الذين كانوا ساكنين في البلاد الكائنة بين قراقروم وثور، فقد اختلط معنى اسمهم باسم أوغرة الذين كانوا في سيبيرية المعروفين عند البيزنطيين. وكذلك ظُنّ أن هونونيس وهو الاسم الأول الذي سمى به الصينيون الترك هو نفس المونة.

وقيل إن أوغور خان بن قراخان هو الذي أسس بفتوحاته وشرائعه دولة الترك، وركن تمدنها. وقيل إنه كان في أيام إبراهيم الخليل وترك الوثنية لعبادة أصح منها. وحارب أخاه حرباً مدنية ودينية استمرت ٧٠ سنة. وكان أبوه ابن قراخان يشتو في قراقروم في جبل أورطاغ. وأما أوغور فانتقل إلى الجنوب واستوطن يلسي وهي من أشهر مدن تركستان. ثم ظفر أوغور بأخيه وهزمه، فخضع له كل قسم تركستان الممتد من أرتلاز وسيرام إلى بخارى. ولما مات أوغور قسمت مملكته بين أولاده الستة وكان لكل واحد منهم أربعة أولاد فكانوا آباء ٢٤ قبيلة تركية.

وسكن من أولاد أوغور ٣ في تركستان فاكتسحوا كل البلاد الواقعة بين جيحون وسيحون وتقدموا إلى البوسفور والطونة وكانوا يلقبون بالمدمّرين.

وقد سمى بعضهم هذه الأمة بالتتر غير أن التتر فرع منهم كما تقدم. وقال

آخرون إنهم من أهم فروع العائلة التورانية وآخرون أن اسمهم مرادف للتورانية كما سبق القول.

وادّعى آخرون أنهم من الأمة الأربانية على أن المتأخرين قد تحققوا أن لا إتصال لهم بهذه الأمة.

وبعضهم ذكر أن اسمهم مرادف للمغول. والحال أنهم فرع من العائلة المغولية (أصلها مغول)، وفي التقسيم القديم الأثنولوجي ذكر أنهم من جملة القبائل القوقاسية لأن عدة قبائل منهم تشبه كل الشبه أو بعضه أمم القوقاس في الأخلاق الطبيعية. وأول ظهورهم كان في آسيا الشمالية والوسطى بين رعاة الهونة والتتر الذين طالما أوقعوا الرعب في قلوب الصينيين قروناً عديدة قبل الميلاد وبعده.

وقبل ابتداء التاريخ المسيحي كانت طائفة منهم قد اجتازت غرباً إلى أن وصلت إلى نهر دون، وأما الباقون فلم يتوصلوا إلّا بعد زمان طويل إلى جبال آسيا الصغرى. وكانوا قد استولوا على مملكة عظيمة من آسيا من حدود الصين إلى بحر الخزر. ثم انصبت عليهم غزوات المغول ففروا أمامهم واجتازوا إلى جنوبي أوروبة، فافتتحوا قسماً كبيراً من تلك البلاد التي استولوا عليها في القرن ٤ و ٥ هي في جهة الشمال الغربي، والصين تحتل مملكتين مستقلتين سماهما الصينيون جاد ولَيَنْغ الشمالية، وبعد القرن الخامس لم يذكروا في التاريخ على جِدَة. وفي أوائل القرن السادس ظهرت في آسيا طائفة منها أصلها من البلاد المسماة الآن تركستان فوطئت بساط السلام. ثم جددوا حروبهم مع الصين شرقاً وفارس جنوباً بغرب. غير أنهم، إذ كانوا مؤلفين من لفيف قبائل، متباينة العادات والأخلاق، متعودة التوحش والغزوات، كان من المقتضى عدم اتفاق كلمتهم وانتشارهم في بلاد شاسعة الأطراف، فكان ذلك داعياً لضعفهم.

وسنة ٧٤٤ استظهرت على مملكتهم أمة منهم يقال لها الويغور، وهم أول قبيلة تركية استعملت لغة مكتتبة. وكانوا أولاً بوذيين ثم تمجّسوا على مذهب زرادشت وأسلموا في القرن التاسع والعاشر.

وأما في الغرب فقد أخذت النفوذ عليهم الغرغير وهم طائفة منهم، وقيل

من التتر، وذلك في أواسط القرن التاسع. وانحطت دولتهم بظهور جنكيز خان التتري فانحطت في آسية الوسطى، واضمحلّت فصارت كل الدول التي كانت في تلك الجهات في جهة العراق وما والاها من مملكة الإسلام تترية بعد أن كانت تركية بيد السلاجقة وغيرهم.

وبعد موت تيمورلنك ظهر الترك في ممالكه، واستولوا على أرمينية وما بين النهرين فطردهم الصفوية في القرن ١٦م.

وفي تلك الأيام ظهرت الأزبكية أمة من بقايا الويغور كانت في جنوبي تركستان الصينية تحت جبل تيان شان، فاستولوا على تركستان الشرقية وما جاورها من البلاد إلى حدود الفرات. ولكن بعد نحو قرن استظهرت عليهم أمة أخرى تركية تعرف (بالتركمان) فليس للترك بقية مهمة الآن إلّا الأزبكية والتركمان المقيمون في بلادهم القديمة.

وأما الكلموك المقيمون ما بين الأثل ودون والبشكير والباشغرد المقيمون بين الأثل وايريتش والياقوتة المقيمون على ضفاف لينا، فهم قبائل تركية عدت من فروع المغول. والياقوتة هي القبيلة الوحيدة من قبائل الترك التي تقرّ بمذهب السمتية، أحد المذاهب الوثنية.

وعدّد منهم ابن خلدون أجناسهم وشعوبهم الكثيرة فقال منها:

ـ التغزغز والتنغوز والغزّ. وهم التتر والحظ. وكانوا بأرض ضمغاج، وهي بلاد ملوكهم في الإسلام وهي تركستان وكاشغر. ويسميهم بذلك الروس ومعناه (خزز) أي ينغوز ولعل خنُّوص منها لقذارتهم. والمغول يسمّونهم لولونة أي صيادون أو أورنتشونة أي رعاة الرنة. وهم يسمون أنفسهم يفوانه أو كمنغيان أو بويدو. وهم مغول، قسمان كبيران الشماليون والمنجو في الجنوب الشرقي، والذين في ولاية روسيا ثلاثة أقسام إلى حيواناتهم تكثر الكلاب والخيل والرنة. وهم وثنيون وصنمهم بوا. وهم متوحشون كالبدو شجعان. وكلهم نحو ٢٤ ألف نفس خضعوا لروسية في القرن ١٨. ومنهم قبيلة تسمى لاموتة أي سكان الأودية.

ـ الخزلجية والغز الذين كان منهم السلجوقية والهياطلة الذين منهم الخلج

وبلادهم الصغد قريباً من سمرقند ويسمون بها أيضاً. ومواطنهم الجانب الشمالي من المعمور في النصف الشرقي منه قبالة الهند والعراق في ثلاثة أقاليم وهي الخامس والسادس والسابع.

وهم رحالة وأهل حرب وافتراس، ومعاشهم من التغلب والنهب إلّا في القليل (راجع ياقوت: ترك).

والتغزغز في الترك كالبادية أصحاب عمد، يرحلون ويحلون. والبندكشية أهل بلاد وقرى وأما الكيماك فهم بادية يبيعون الكلأ، فإذا ولد للرجل ولد رباه وعاله، وقام بأمره حتى تحيلم ثم يدفع إليه قوساً وسهاماً ويخرجه من منزله ويقول له احتل لنفسك ويصيره بمنزلة الغريب الأجنبي. ومنهم من يبيع ذكور ولده وإناثه بما ينفقونه. ومن سننهم أن البنات الأبكار مكشوفات الرؤوس فإذا أراد الرجل أن يتزوج ألقى على رأس إحداهنَّ ثوباً فإذا فعل ذلك صارت تلك زوجته. ومنهم عبدة نيران على مذهب المجوس. ومنهم زنادقة على مذهب ماني.

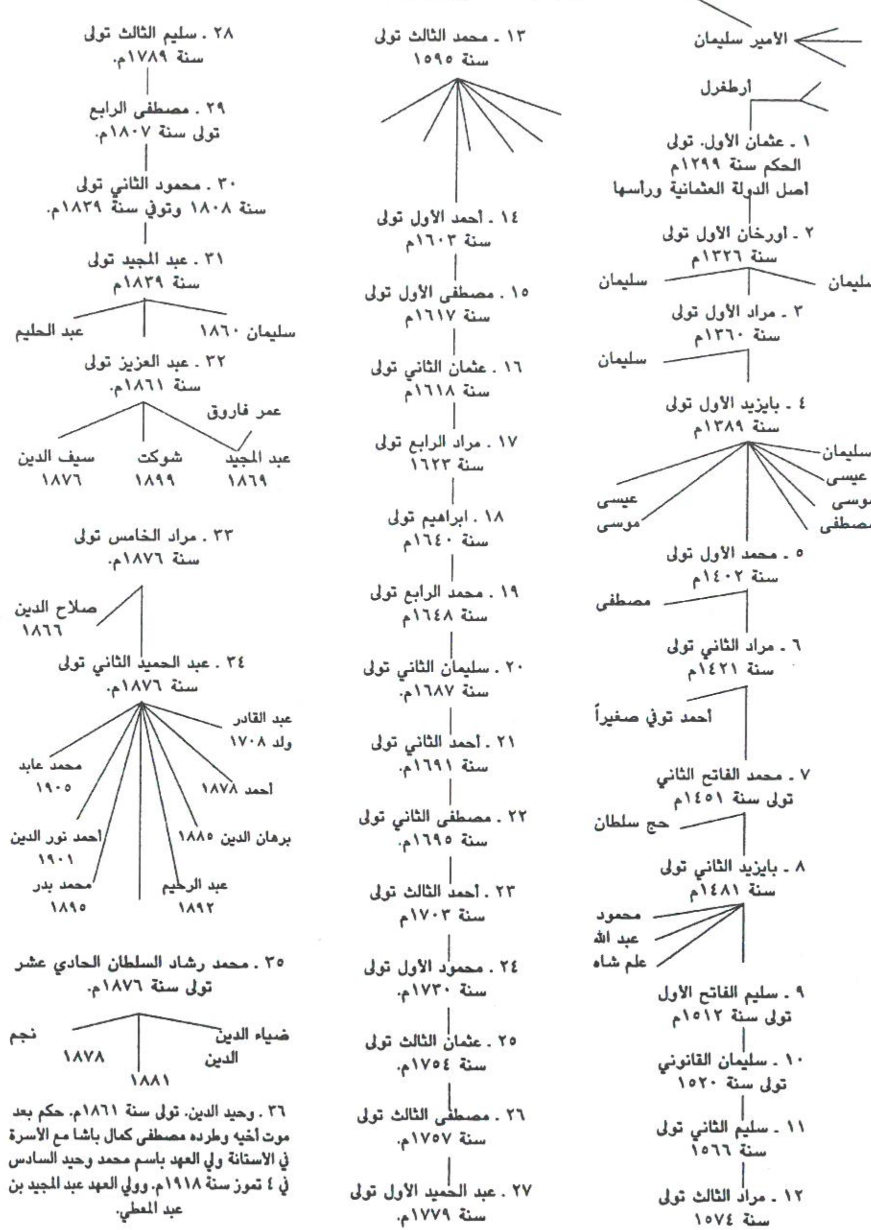
- **الغور** - **الخزر** - **القفجاق**
- **الخفشاخ** - **العلان أو اللان** - **الشركس**
- **أركش أو أزكش** - **الكزرخرجان** - **سخرت**
- **برطاس** - **العسسية** - **الخرخيرية**
- **الكيماكية** - **يجباك** - **خجاك**
- **بلغاز** - **الشركش** - **الحاسان**

أفريدون قسّم الأرض بين أولاده جعل:

- لسعلم ـ وهو الأكبر ـ بلاد الروم فأدارها من المغرب
- ولولده توج الأوسط الترك والصين وياجوج وماجوج وما إليها فسمّت الترك بلادهم توران باسم ملكهم توج..
- للأصغر ـ إيرج ـ إيران.

شجرة أنساب الدولة العثمانية المظفرة(1)

بقلم مؤلف (الأخبار المروية) سنة ١٩١٥



شجرة أنساب الأتراك قبل سليمان شاه

١ . بولجاس من يافث
٢ . ماجين
٣ . چين
٤ . قوي خان
٥ . تورمش خان
٦ . يلي تمورخان
٧ . قورلوغان خان
٨ . قرة خول خان
٩ . سليمان شاه خان
١٠ . قرة أوغلان خان
١١ . قرماش خان
١٢ . بالجق خان
١٣ . قراجاد خان
١٤ . قوريلمش خان
١٥ . جاد يوغا خان
١٦ . سونج خان
١٧ . طغرل خان
١٨ . يلي سوب خان
١٩ . حمور ميرخان
٢٠ . قاي خان
٢١ . باش يوغا خان
٢٢ . يماق خان
٢٣ . قزل يوغا
٢٤ . قمري خان
٢٥ . طواج خان
٢٦ . يكتمور خان
٢٧ . قماري خان
٢٨ . أرتوق خان
٢٩ . كوج يك خان
٣٠ . اي طوغموش خان
٣١ . طغرل خان
٣٢ . باي بك خان
٣٣ . يلواج خان
٣٤ . باي سوت خان
٣٥ . قراخان
٣٦ . توراق خان
٣٧ . إيقوتلو خان
٣٨ . قراخان
٣٩ . أغوز خان
٤٠ . كوكب خان
٤١ . باسوق
٤٢ . توقتمور خان
٤٣ . سورغاد جاق
٤٤ . باقي آو
٤٥ . بايسنقر خان
٤٦ . توزعار
٤٧ . إيقوتلوغ
٤٨ . بايندر خان
٤٩ . قزل بوغا
٥٠ . قبا ألب

(١) راجع الهلال ١٤ : ٢٦٠ والهلال ١٧ : ٣٢٨.

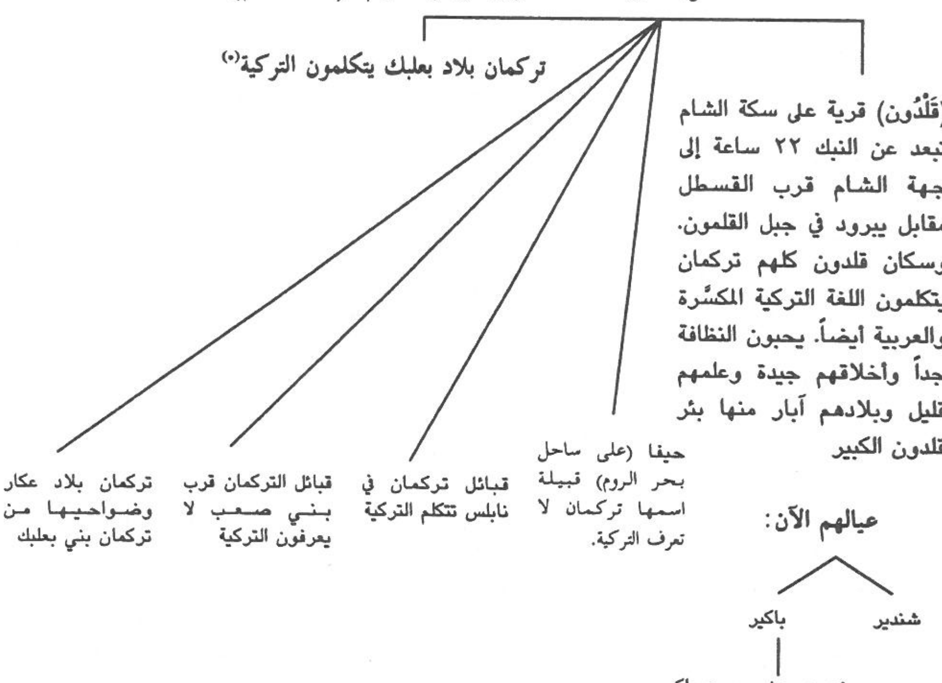
الترك المسلمون وقبائلهم

في سورية عيال كثيرة تركية الأصل كثرت بعد الفتح العثماني:

ـ **قَلْدُون**: في جبل القلمون. سكانها كلهم أتراك واسم قريتهم تركي (قَلْدُمْ) أي بقيت. لأن جدهم لما جاءها وطاب له فيها المقام، قال هذه الكلمة فسميت القرية بها وحُرِّفتْ (قلدون).

ـ **في قضاء القنيطرة**: عشيرة تركية كالعرب يسكنون بيوت الشعر ولغتهم تركية (غير التركمان).

التركمان المسلمون وقبائلهم (١٩٢٢م)



(*) التركمان ـ راجع: **تاريخ ولاية بيروت** المطبوع بالحرب الجزء ٢: أصلهم ٢٥ قبائلهم أول ملوكهم ٣٤ السلجوقيون مهاجرتهم ٣٦ تركمان آسيا الصغرى ٣٨ ثم وصف التركمان بمحلات أخرى تركمان اللاذقية (مهمّ) ٤٧٩.

٢ ـ الشراكسة في سورية
(في آذار سنة ١٩٢١)

اشتهر عند الإفرنج إطلاق اسم (الجراكسة) على العرب فأُوِّل باسم الشراكسة. والحقيقة أن هذا الاسم هو نسبة إلى محل اسمه (سراكا) في بلاد النبطيين في العربية الحجرية. وفي التوراة مَسْريقة (تكوين: ٣٦:٣٦). ويسميه العرب الآن (مسريقا) وكان يُطْلَق أولاً على سكان العربية الحجرية ثم أطلق على العرب جميعاً. (ذكره السمعاني في المجلد الرابع من مكتبته الشرقية).

أما اسم الشراكسة أو (الجراكسة ومفردها جركس) [...].

ولقد كتب إليّ محمود فوزي بك أنجوق الجركسي من دمشق في ٢٠ ك١ سنة ١٩٢٠ ما هو:

إن الجراكسة القاطنين البلاد السورية هم أكثر من مائة ألف نسمة متفرقين ما بين القنيطرة حيث يوجد فيها ٣٥ ألف نسمة، وهي مركزهم الأكبر، وحمص وفيها ٣٠ ألفاً وعمّان ٣٠ ألفاً وضواحي الشام ١٠ آلاف. وهم يشتغلون بالفلاحة والزراعة. و[هم] عنصر قوي الشكيمة مشهود له في هذا المحيط بالجد والنشاط والإقدام والجسارة.

والجراكسة قد هاجروا من البلاد الروسية من جهات القوقاز الشمالي موطنهم الأصلي سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠م) إلى الأناضول والروملّي. وبعد أن ذهب كثير منهم ضحيّة الأمراض ومشقات الهجرة في تلك الأصقاع، هاجروا إلى البلاد السورية سنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧م)، فوزعتهم الحكومة في المحلات

الآنفة الذكر التي هي اليوم مواطنهم. وخصَّصت لهم قسماً من الأراضي الموات فأحسنوا حرثها وزرعها، وعمروا تلك القفار التي تديّروها وردّوا عنها غارات العرب الرحّالة ولا سيما من كان من القبائل المشهورة بالفساد والدعارة بعد مناوشات ومخاصمات بقيت عشرات من السنين.

على أن الجراكسة ينقسمون باعتبار أجناسهم إلى عشائر مختلفة أخصُّها العشائر الآتية: (أبزاخ) و(قبرطاي) و(قوشمه) و(داغستان) و(ناغراي) و(حاتق) و(حاتقواي) و(أباظه) وغيرهم مما يطول شرح أسمائهم مثل (خانقوس) و(كه رانوق) و(دبشان).

وممَّن اشتهر من هؤلاء الجراكسة قبل الهجرة وبعدها أسرة (أنجوق) ومقرها في قرية عين الزمران من أعمال قضاء القنيطرة. وبعضهم يقيم موقتاً في الشام.

وقد نبغ من هذه الأسرة المرحوم أحمد بك أنجوق (عمّ المراسل) المتوفى سنة ١٣١٤ هـ. (١٨٩٦م)، وأخوه (والد المراسل) عمر بك أنجوق المتوفى سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩م) وأخوته مختار بك ويلمز بك المتوفيان قبل ذينك التاريخين.

(فالمرحوم أحمد بك) بن المرحوم سحنكري بك أنجوق بن المرحوم باطروق بك أنجوق بن المرحوم أنجوق بك أحد أمراء الجراكسة منذ مائتي سنة في بلاد القوقاز، وهو من عشيرة (أبزاخ) التي لها التقدم على كل عشائر تلك البلاد لمنزلتها ووجاهتها في تلك الأصقاع. ولما سكن الجراكسة في سورية قام المرحومون أحمد بك وأخوته بخدمات عظيمة لبني جلدتهم. فكان هو الزعيم العام على جميع القبائل، وقاد جنودها في مقاتلة العرب والدروز المجاورين للجولان في القنيطرة لما رأى أنهم يريدون القضاء على هذه القبائل النزيلة في جوارهم. ويرجع أمر إسكانهم وتوطنهم في القنيطرة لشجاعته ووطنيته الخاصة. وآخر موقعة جرت بين عربان الجولان المعروفين بآل الفضل وأهالي مجدل شمس الدروز في إقليم البلان سنة ١٣١٤ هـ فجاء بنفسه في ساحة القتال دفاعاً عن قومه وتمكن من التغلب على الدروز البالغين عشرة آلاف مقاتل وأحرق

مجدل شمس وبقعاتا وضبطهما على حين أن الذين كانوا يأتمرون بأمره من شبان قومه لا يتجاوزون ستين فارساً ومائتي ماشٍ وذلك قبل قتله فانتهى ظفر قومه بقتله.

وكان شقيقه المرحوم مختار بك قد قتل قبله بتلك المعارك، وكذا أخوه يلمز بك وجملة من رؤساء الجراكسة الممتازين وبالأخص حاجي محمود أفندي ازغوندوق من أهالي الجزيرة ومن عشيرة (أبزاخ). ثم قام بعد وفاته أخوه عمر بك أنجوق بالمطالبة بدماء قومه وباليتامى من الحكومة والاقتصاص من العشائر المعتدية عليهم، وكان على جانب عظيم من المعرفة والوجاهة ونفوذ الكلمة فكان يحسن اللغات.

٣ ـ الكُرد أو الأكراد
(لك١ سنة ١٩١٣)

الأكراد عنصر خاص يقال أن أصله من بقايا الماديّين أي قدماء الفرس وهم حربيون همجيُّون، وهم في بلاد العجم يحسبون أنفسهم قريبين من الأتراك وبعيدين عن الأعجام، ولا يزالون محافظين على عادات قدمائهم ومتطبعين بأطوارهم وأخلاقهم، قال جان جاك روسو عنهم «إن فلسفتهم تقول إن الحياة الساكنة والتمدن جنون ومذلة إن لم تكن أكبر جريمة».

اسم الأكراد: كلمة (كردي) بلغتهم معناها المحارب تحريف (غوردو) فهي صفة لهم واليوم حرفت (غوتو) وفي الاسبانية (غرارو) بمعنى محارب و(غِر) الفرنسية Guerre و(ورير) Warrior بالإنكليزية. ولغتهم مزيج من التركية والفارسية تنسب إليهم.

وقال أبو عمر بن عبد البر الحافظ القرطبي المتوفى سنة ٤٦١ هـ في كتابه (القصد الأمم في أنساب العرب والعجم): إن الأكراد من نسل عمرو بن أفريقيا (الذي انتقل من اليمن إلى الشام والأنصار من ولده وهم الأوس والخزرج) وإنَّهم، أي الأكراد، وقعوا إلى أرض العجم فتناسلوا بها وكثر ولدهم فسموا الكرد. وقال بعض الشعراء في ذلك وهو يقصد ما قاله عمر بن عبد البر: «لعمرك ما الأكراد أبناء فارسٍ/ ولكنه كرد بن عمرو بن عامر» (ابن خلكان ٢ : ١١٨) وذكر مدرج نسبهم في الجزء الثاني من ابن خلكان في ترجمة صلاح الدين الأيوبي ص/ ٣٧٦ .

وقد رحل الأكراد منذ القديم إلى ثغور سورية وداخليتها واستقر معظمهم

في صالحية دمشق، وانتشروا من هناك إلى حوران وجهات سورية وكان كثير منهم قبائل راحلة ثم تحضّروا ومنهم من اندمجوا في سكان القرى مع المسلمين ومنهم بنو حميَّة في طاريَّة (متاولة).

الأكراد في الصالحية (دمشق) وضواحيها، أي أكراد دمشق: نحو أربعة آلاف فارس وثمانية آلاف راجل. وقد عرفوا منذ زمان بقوتهم، ونشأ منهم مشاهير وعلماء بين علماء دمشق منذ زمن طويل. ومعظمهم ما بين ديار بكر وشمال المليَّة، وهم عشائر أشهرها في دمشق وصالحيتها:

١ ـ **المُلية**: أصلهم من سَوَيْرِكْ في ولاية أرزروم وهم من طبقة الكِيْكيَّة ويتبع الملية: الميقاوية، الديركية.

٢ ـ **الكَيكيَّة**: من نواحي ماردين أصلهم (عرب). رأسهم أحمد بك عَجَل يقين.

٣ ـ **الشيخيَّة**: أو الشيخانية وهم أشرف الأكراد ينتمون إلى بني الگيلاني من نواحي (ويران شَهِر) منهم: محمود باشا بوظو

٤ ـ **الأيوبية**: من الموصل من جزيرة الوطا. عرب.

٥ ـ **السُوركيَّة**.

٦ ـ **الدقُّورية**: سعيد باشا، جد عبد الرحمن باشا اليوسف.

٧ ـ **البوطية**: من جزيرة بوط، بنو بدر خان باشا الشهير.

٨ ـ **الزركلية**: وزعماؤهم بنو اليوسف ومنهم محمد باشا اليوسف وغيره.

(وأصل الأكراد مزيج من كرد وترك وعرب) ويمتدون تحت حكم العجم وهم معظمهم وتحت حكم العثمانيين وأمراء الأكراد الأيوبية وأهل جزيرة (بوطا) من جدّ واحد.

الأكراد وأنسابهم

صرح المؤرخ المسعودي في كتابه (مروج الذهب): إن الأكراد هم من

بقايا ربيعة بن نزار بن بكر بن وائل. نزلوا الأودية وتوقلوا الجبال أنفةً مجاورين الأمم الساكنة في المدن والعمائر من الأعاجم والفرس فتحولت لغتهم أعجمية تسمى بالكردية.

وقيل إنهم من بقايا مضر بن نزار لأنهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن انفردوا عن العرب لوقائع جرت بينهم وبين آل غسان.

ومنهم من نسبهم إلى ربيعة ومضر اختصموا في الجبال على المياه والمراعي، فتحولوا عن العرب وتركوا العربية فصارت لغتهم أعجمية.

وقال المسعودي بعد هذا: (فالأشهر عند الناس والأصح من أنسابهم أنهم من ولد ربيعة بن نزار) وعدَّد من قبائلهم:

- **الشاهجان**: ببلاد ما بين الكوفة والبصرة. وهي أرض الدينور وهمدان. فهؤلاء بلا تناكر من ولد ربيعة بن نزار بن معد.

- **العاخرزان**: المشهور أنهم من مضر بن نزار وهم من الكيكان ببلاد أذربيجان، والبارسيان، والحبالة، والحبانا رفين، والحاوانية، والمسكان، ومَن حل بلاد الشام من الدياهشة وغيرهم.

- **اليعقوبية**: الحورفان نصارى، وديارهم مما يلي الموصل وجبل الجودي.

وفي الأكراد من رأيهم رأي الخوارج والبراءة من عثمان وعلي (رض).

وأورد ابن خلكان في ترجمة السلطان صلاح الدين الأيوبي أنه من سلالة مضر بن نزار. والأكراد يشبهون العرب بأخلاقهم وعاداتهم وبداوتهم وحضارتهم. ولكنهم يخالفونهم بلغتهم فكانوا لمخالطتهم الفرس أوجدوا لغةً تقاربها فكانت لغتهم آرية وهم كانوا عرباً (هذا قول العرب).

أما علم الأنساب المبني على الأساليب العصرية الحديثة فهو يؤكد أن الأكراد آريون (يافثيون) بأصولهم ولغتهم وتركيب جماجمهم، وقد صرحت بذلك المعلمة البريطانية في مادة (Kurdistan) كردستان ووَفت الموضوع حقه.

الأكراد من الجنس الآري الذي منه سكان أوروبة وفارس والهنود ولغتهم آرية تدل على ذلك. وهم مسلمون سنيون وأشهرهم الأيوبيون، وأشهر هؤلاء صلاح الدين الأيوبي.

وهم قبائل مختلفة سكنوا بلاد كردستان التي هي جزء من بلاد العجم وجزء من تركية وآسية وأقطار مختلفة.

الأكراد الآن (سنة ١٩٣٠)

عددهم: مليونان ونصف مليون نفس، وهم يطمحون إلى الاستقلال. وكثيراً ما غزوا الأرمن وذبحوهم ولا سيما في عهد عبد الحميد وعند إعلان الدستور العثماني. وفي الحرب عامة قد اتحدوا مع الأتراك على ذبح الأرمن اقتصاصاً منهم لتفوقهم في الوظائف.

مسكنهم: الجبال العالية والهضاب المنيعة في أرض مساحتها ستون ألف ميل مربع. وتمتد بلادهم من شرقي نهر دجلة الأعلى حتى بحيرة أزوميا (أورميا)، وتعرف باسم (كردستان). وستان بالفارسية أرض ومحل (أي بلاد الأكراد). وليس عندهم خط حديد ولا طريق سهلة للسفر، ولكن طرقهم أصلح لسير الخيل عليها. وبلادهم ثلاث مناطق بين تركيا والعراق العجمي.

يحبون الاعتزال عن غيرهم. يسكنون في الصيف أكواخاً في رؤوس الجبال من جلود الماعز. وفي الشتاء تحت أنفاق (دهاليز) وقبب من الطين.

أصولهم: يقال إنهم من امتزاج الدم الأشوري والبابلي والكلداني ولذلك لا يزالون يطمحون إلى الغزو، وحتى أنهم لم يطيعوا العثمانيين إلّا لهذه الغاية.

قاسى الأعاجم أهوالاً من فظائع الأكراد الغازين لهم.

ولما احتلت روسية شمالي العجم قبل الحرب لبسط نفوذها كان ذلك الاحتلال مفيداً للأعاجم، لأن الروس أوقعوا في نفوس الأكراد هيبة وأوقفوا تعدياتهم على الأعاجم وأمن المزارعون شرهم. فهم همج برابرة لا يعرفون العلم ولا المدنية.

وقال عنهم جيمس برايس الإنكليزي في كتابه (الرحلة القوقازية):

«ومن عهد أمبراطورة أشور وأكاسرة فارس إلى عهد الأرساسيد والساسانيين إلى زمن خلفاء العرب وسلاطين الأتراك وشاهات العجم كان هؤلاء الأقوام (الأكراد) تائهين في مفاوز الهمجية ولا يزالون يعتصمون برؤوس الجبال العالية ويسرحون ماعزهم على ضفاف الأنهر ويبنون أكواخهم على قمم الصخور الشامخة لا يعرفون لهم ماضياً يذكر ولا مستقبلاً ينتظر». (انتهى)

٤ ـ الهند

١ ـ المسلمون في الهند نحو ٥٠ مليوناً وهم بقايا أمم ممتزجة هي[٢]:

- العرب
- الفرس
- الكيثيون
- التتر
- المغول
- الأتراك
- الأفغان
- هنود تمسلموا

٢ ـ المسيحيون في الهند نحو مليونين.

ـ **وطنيون**: من المتنصرين من أهل البلاد.

ـ **وأجانب**: أوروبيون.

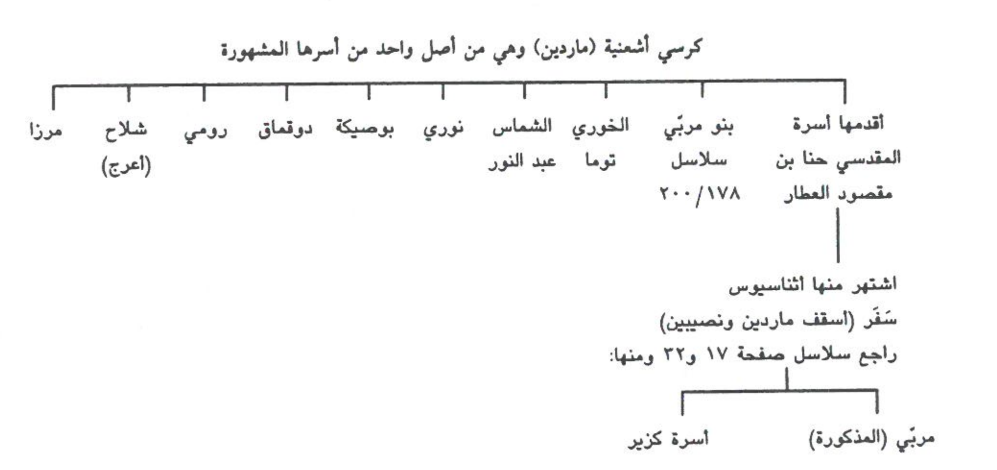
---

(٢) (هلال): ١٠: ٤٩٠

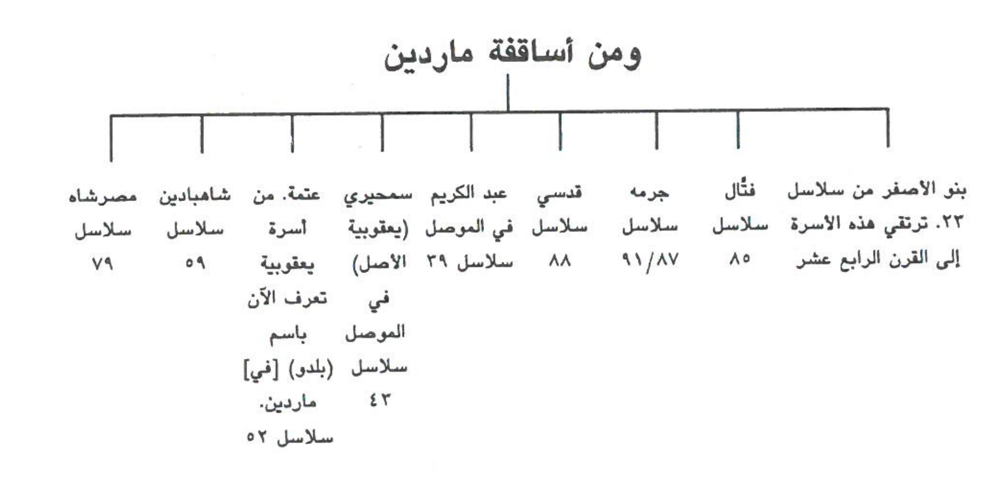
٥ ـ الأسر السريانية
(عن فيليب دي طرازي)

الاسر السريانية

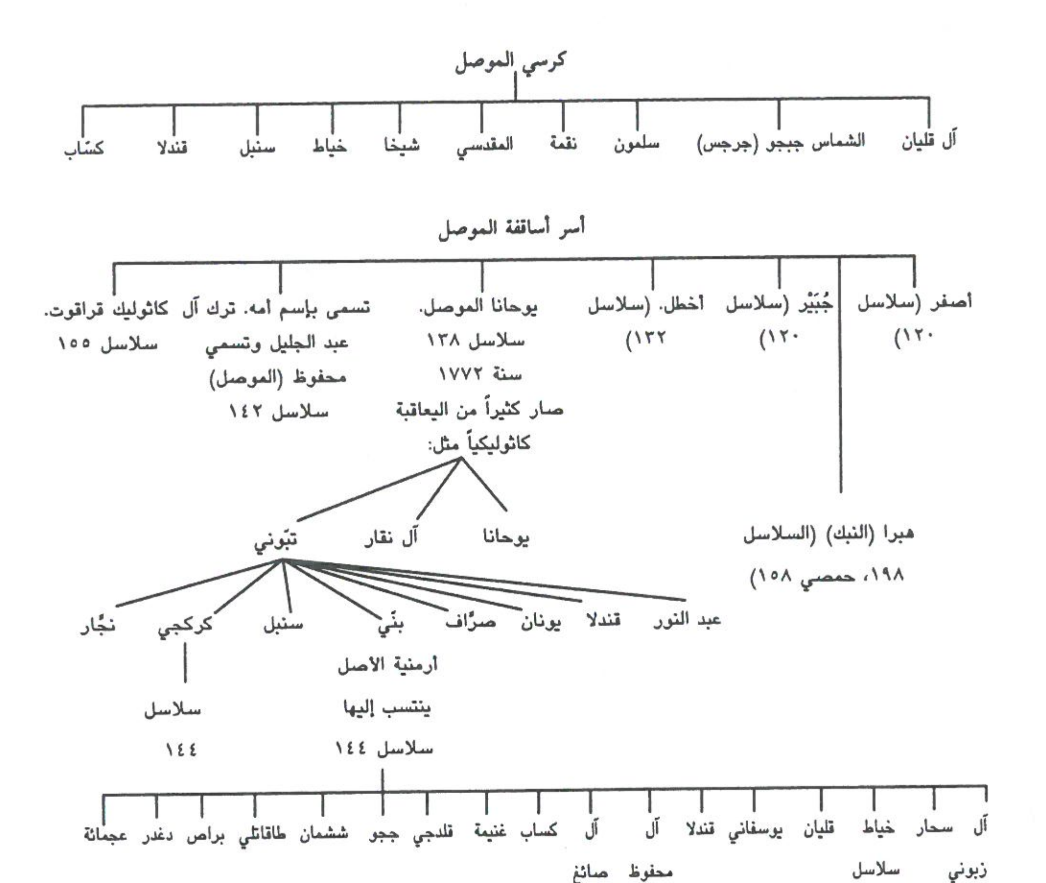
عن (السلاسل التاريخية) لفيليب طرازي [ص ٨٧]



ومن أساقفة ماردين



الأسر السريانية (سلاسل)



كرسي بغداد

اقدم أسرها السريانية ـ أسرة نعوم اندريّا (سلاسل ١٦٣)

مطارنتها:

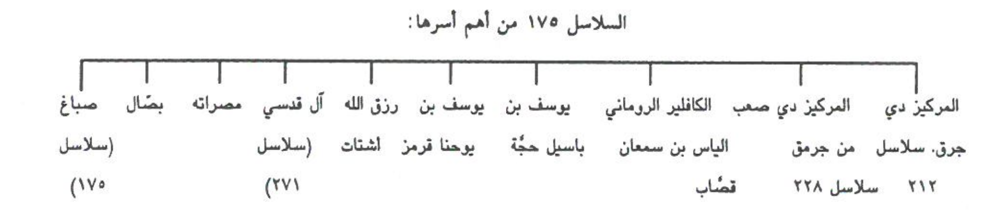
جرفي — نوري — ترزي باشي (سلاسل ١٧٠)

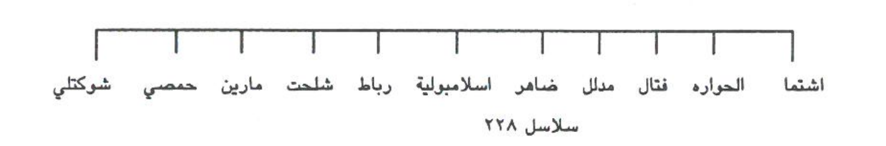
ماردين (سلاسل ١٦٨/١٦٩) ومما يجمع النسب بين السلاسل، (١٦٩) ومن أسرها:

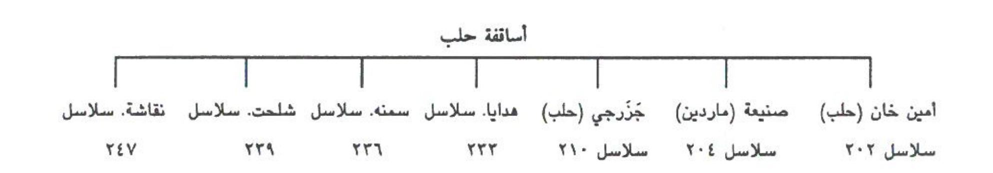
اسرة عَتّلا — دولاباني — احمر ذقنه

الأسر السريانية ـ كرسي حلب

(عجوري، السلاسل ٢٣١)



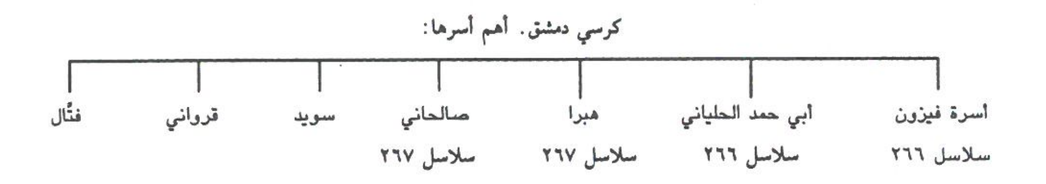


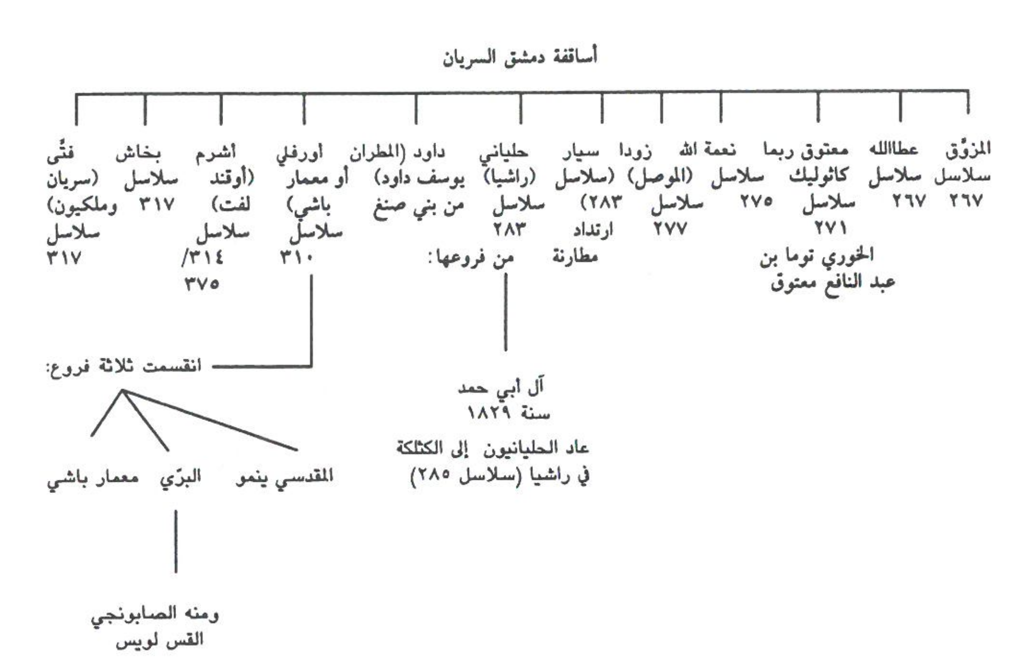


كرسي الجزيرة



الأسر السريانية (كرسي دمشق)





كرسي الجزيرة

كرسي الجزيرة أو ما بين النهرين وأساقفتها (سلاسل ٣٢١)

قاشا	فتاح	أحمر اقنة ونوري	بهنام القعراوي
سلاسل ٣٢١	٣٢٢	سلاسل ٣٢٤	سلاسل ٣٢٧

كرسي حمص

كرسي حمص وحماه وأساقفتها (السلاسل ٣٢٨)

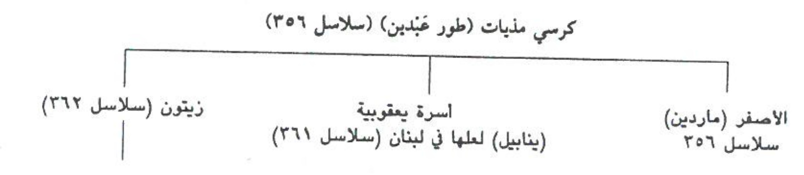
- دبّك (صدد) سلاسل ٣٢٩
- نعلبند ٣٣٠
- حمص ٣٣٢
- نقّار (أصلها) بيت المطران سلاسل ٣٣٥
- عبد المسيح سلاسل ٣٤٢
- شهوان موارنة (صار سريانياً) من غوسطا سلاسل ٣٤٣
- شاهين (دمشق) سلاسل ٣٤٦
- سطّوف وطويل سلاسل ٣٥٠
- سهدو وصليبية سلاسل ٣٥٢

زيادة عن السلاسل راجع الجزء الثالث صفحة ٧٧ وما نعرفه نحن عن بني شاهين في دمشق.
أصل بني شاهين بنو المُنيِّر كانوا في دمشق ومنها ساروا إلى عين حليا قرب الزبداني وتخاصموا الروم لعلة نسائية وصار بينهم موقعة دموية في الجيل السادس عشر وأحرقوا القرية فنزح سكانها من ملكيين ويعاقبة وخربت، أما السريان اليعاقبة فتفرّقوا.

- الى الشام ومنهم بنو المنيز وبنو شاهين والآن نزحوا كلهم الى راشيا ومنهم المطران شاهين عرفناه بدمشق
- إلى زحلة بين قطنا وراشيا وعرفوا باسم الرخلاني
- حلب (بنو بَهْنَا)
- حمانا بنو نهرا
- قطنا المنيِّر
- قلعة بندل اليوم بيت العَيْن
- الى راشيا باسم ال شاهين والرخلاني

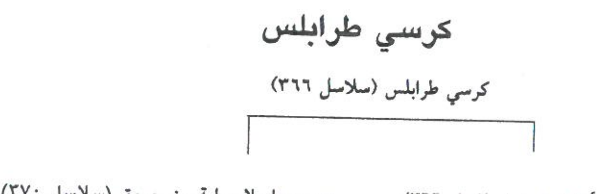
كرسي مذيات

كرسي مذيات (طور عَبْدين) (سلاسل ٣٥٦)



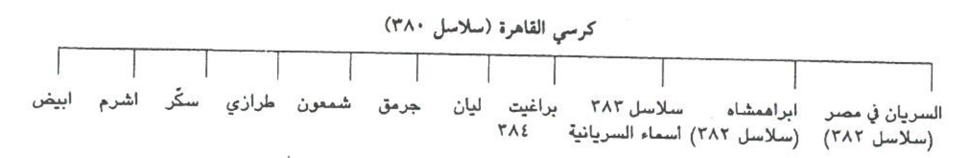
كرسي طرابلس

كرسي طرابلس (سلاسل ٣٦٦)



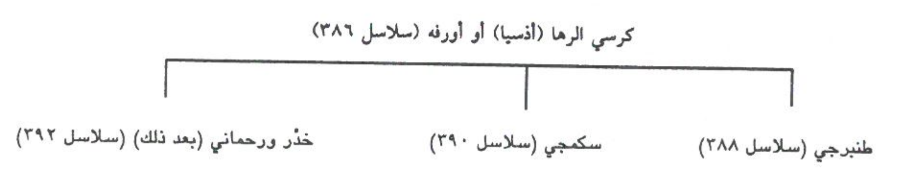
كرسي القاهرة

كرسي القاهرة (سلاسل ٣٨٠)



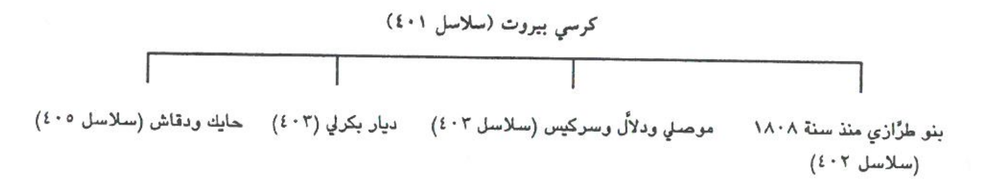
كرسي الرها

كرسي الرها (أذسيا) أو أورفه (سلاسل ٣٨٦)



كرسي بيروت

كرسي بيروت (سلاسل ٤٠١)



الفصل الرابع

طبقات أنساب العرب

تمهيد

وقفت أنا الفقير مؤلف (الأخبار المروية في تاريخ الأسر الشرقية) عيسى اسكندر المعلوف اللبناني وأنا في مدينة دمشق لما كنت عضواً في المجمع العلمي العربي فيها في شهر آذار سنة ١٩٢٢ على كتاب (تاريخ سيناء) القديم والحديث وجغرافيتها لصديقي نعوم بك شقير اللبناني مدير قلم التاريخ بوزارة الحربية المصرية، ومؤلف (تاريخ السودان)، وضعه في أثناء الحرب العامَّة في ٢٧ مارس (آذار) سنة ١٩١٦م وقدمه للجنرال الفريق السير رجينولد وِنْجِتْ باشا سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام وطبع في مصر بمصوَّرات ورسوم بديعة على ورق صقيل في ٧٧٦ صفحة بقطع كبير. فرأيت فيه فوائد كثيرة عن عيال وقبائل بلاد العرب ومصر وجنوبي فلسطين. فنقلتها إلى كتابي لأنها من مواضيعه مع بعض تصرّف. وسأزيد عليها ما أعثر عليه في غيره. وتوفي المؤلف نعوم بك شقير في صيف سنة ١٩٢٢م في مصر القاهرة.

طبقات أنساب العرب ثلاث

العرب ثلاث. منهم من ينتسب الى قحطان، ومنهم الى عدنان ومنهم من لا يتصل بأحدهما نسباً وهم الهيثم، والعرب لا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم.

الأولى: العرب العاربة أو البائدة. وهم أقوام شتى أشهرهم العمالقة. وقد قسموا هكذا بحسب ممالكهم ودولهم:

- بنو عاد. سكنوا أحقاف الرمال بين اليمن وعُمان إلى حضرموت والشحر. قيل هم من نسل عاد بن عوص بن أرام بن سام. وأطلق العادي على كل شيء قديم.
- بنو ثمود. قيل ينتسبون إلى ثمود بن جاثر (أخ عوص) بن أرام، وكانوا ينزلون الحجر ووادي القرى في ما بين الحجاز والشام. وكانوا ينحتون بيوتهم مغاور في الجبال.
- طَسْم وجَدِيس. يقال أنهما من ولد جاثر المذكور وقد كانت منازلهم اليمامة بين نجد واليمن.
- النبط. سكنوا في البتراء شرقي وادي العَرَبة.
- تَدْمر في بادية الشام.
- العمالقة. يقال إنهم من ولد عماليق بن لود (لاوذا خوارام) بن سام. قال أبو الفداء الحموي في تاريخه: «لما تبلبلت الألسن نزلت العمالقة بصنعاء من اليمن. ثم تحولوا إلى الحرم وأهلكوا من قاتلهم من اليمن. وكان من العمالقة جماعة بالشام» اهـ. وذكر ابن خلدون أن أهل البحرين وعمان طوائف منهم وكذلك أهل الحجاز ونجد. وأطلق بعض المؤرخين اسم العمالقة على جميع العرب البائدة. وكانوا يسكنون البادية بين العراق والعقبة، ونقلوا التجارة بين بابل ومصر ثم تغلبوا على بابل، وكان فيها السومريون والأكاديون من الجنس المغولي. ونشأت منهم في العراق الدولة الحمورابية في العراق والهكسوس الرُعاة في مصر وبعض سكان سورية القدماء.

الثانية: العرب المتعرّبة أو القحطانيون الذين ينتسبون إلى قحطان أو يقظان بن جابر بن شالح بن أرفخشاد بن سام بن نوح (تكوين ١٠ : ٢١) ومنهم بنو جرهم ملوك الحجاز. واشتهر منهم في اليمن ثلاث دول:

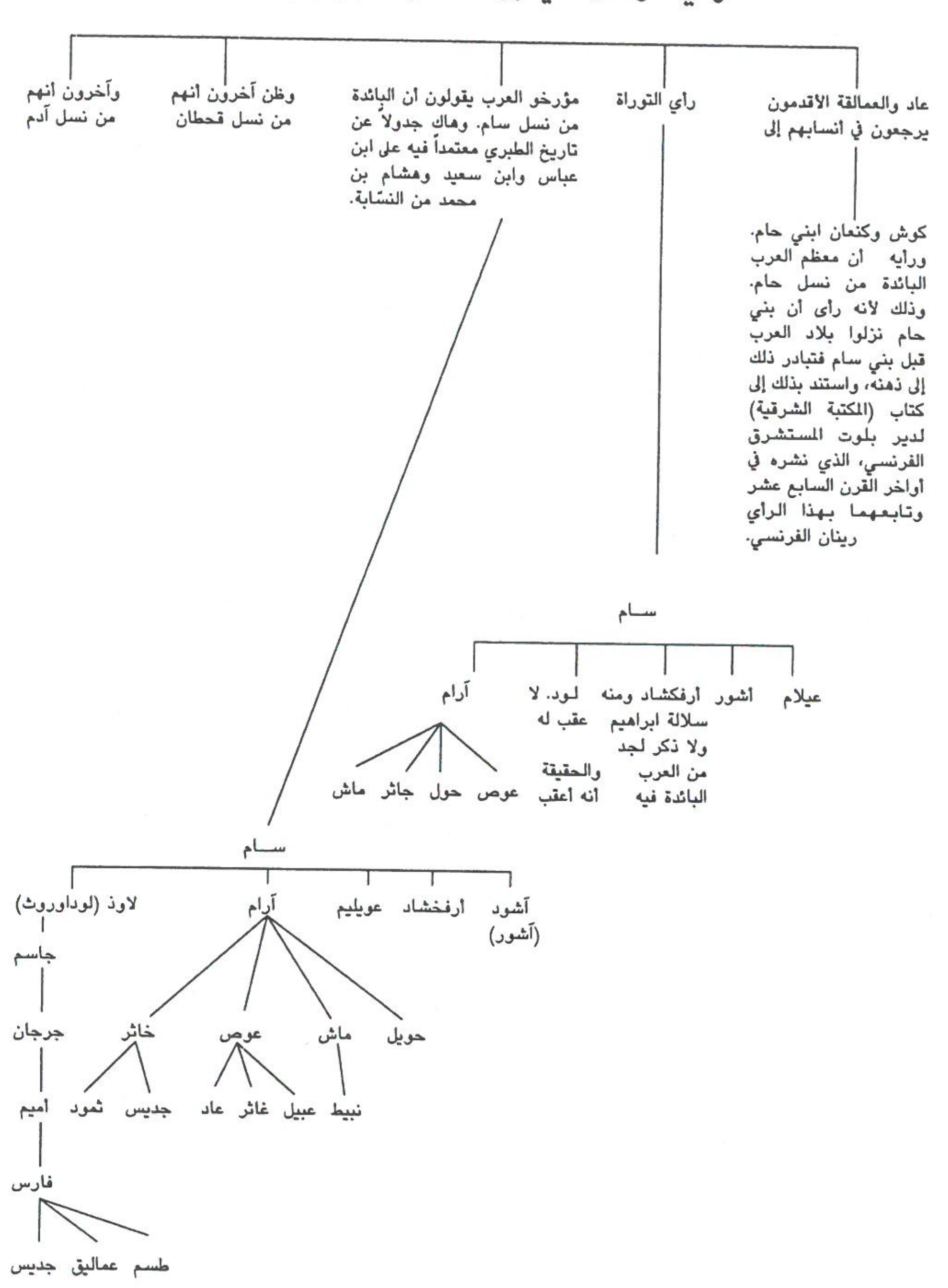
- **المعينية**. نسبة إلى بلدة مَعين في وادي الشارد شرقي اليمن وشمال

حضرموت. عرفها الافرنج من الآثار وأغفلها العرب. قام منهم ٢٦ ملكاً في بلاد العرب وكان له قلم المسند أو الحميري. واشتهرت بالتجارة والزراعة كالفينيقية. ونقلوا التجارة من الهند والحبشة وبلاد العرب إلى مصر والشام والعراق. وأقاموا السدود في الأودية وفتحوا الترع للريّ. وظهرت نقوشهم في العلاء قرب وادي القرى وفي حوران. وقيل أنهم من القرن ١٤ ق. م، وقيل من ٧ أو ٨ ق.م.

- **السبائية** كانت كالمعينية تجارية زراعية. وكانت في القرون الأخيرة قبل الميلاد أعظم واسطة للاتصال بين الأمم الشرقية. واشتهروا بلقب (ذي) مُضافة إلى بلدة لهم. نبغ منهم بضعة وثلاثون ملكاً وانتهوا سنة ١١٥ ق.م. وابتدأت بعدهم دولة حِمْيَر. واشتهر سدّ مأرب من عمل السبائية.
- **الحميرية**: خَلَفَتْ السبائية. وصارت بعد ذلك باسم دولة التبابعة. واشتهر في عهد هذه الدولة التبابعة (دولة كندة) في ظاهر حضرموت. وآخر ملوكها امرؤ القيس الشاعر، كان معاصراً للحارث بن جبلة الغساني. وقد توفي سنة ٥٦٠م.

الثالثة: الهيثم. من بقايا العرب البائدة أو العمالقة الآن، (عرب الهيثم) البدو الذين يعيشون مع العرب بالخاوة وهم أعرف بطرق البوادي ومياهها ومراعيها من القحطانيين والعدنانيين أسياد البلاد الآن.

رأي كوسن دي برسفال بالعرب البائدة

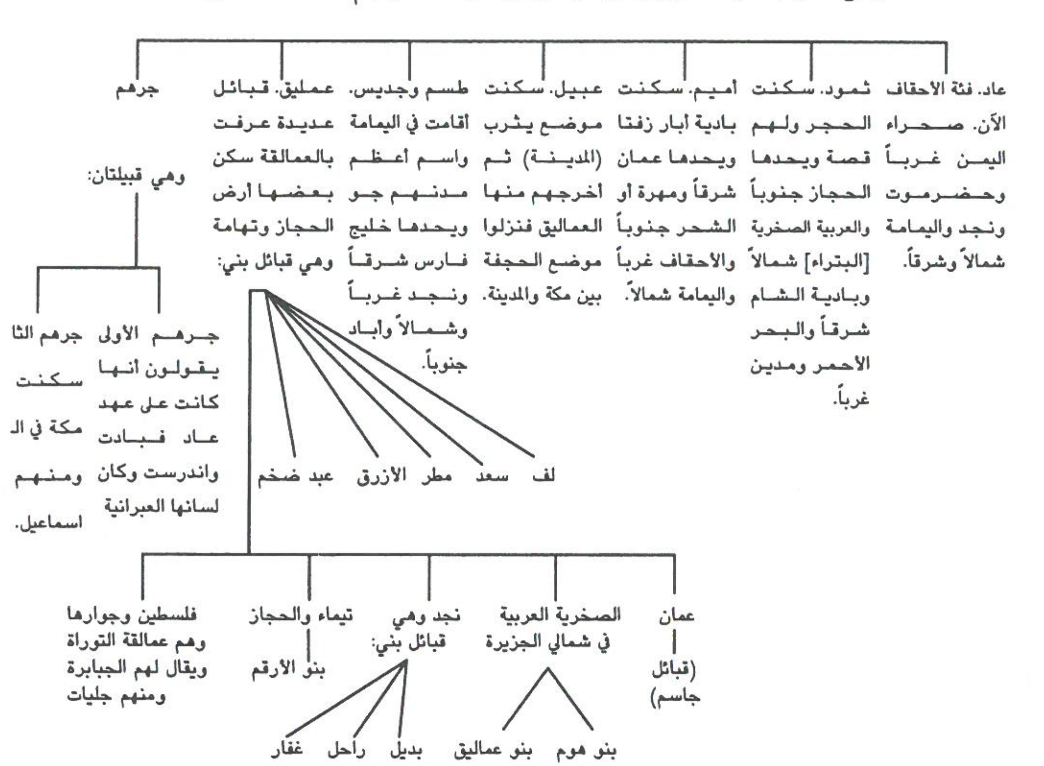


القبائل البائدة عند العرب[1]

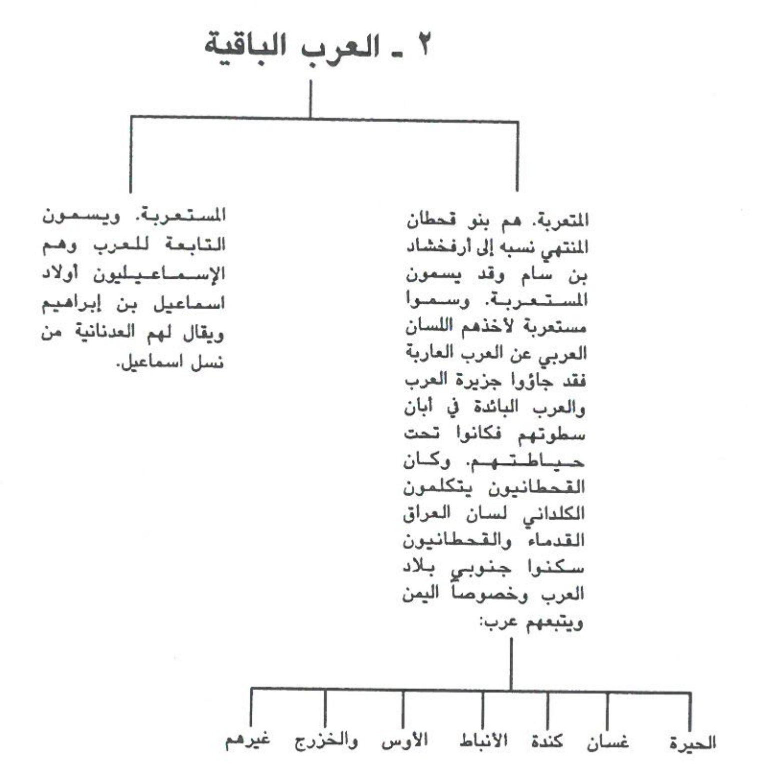
قسّم مؤرخو العرب سكان شبه الجزيرة العربية منذ الخليقة إلى أيامهم قسمين عظيمين:

١ ـ العرب البائدة

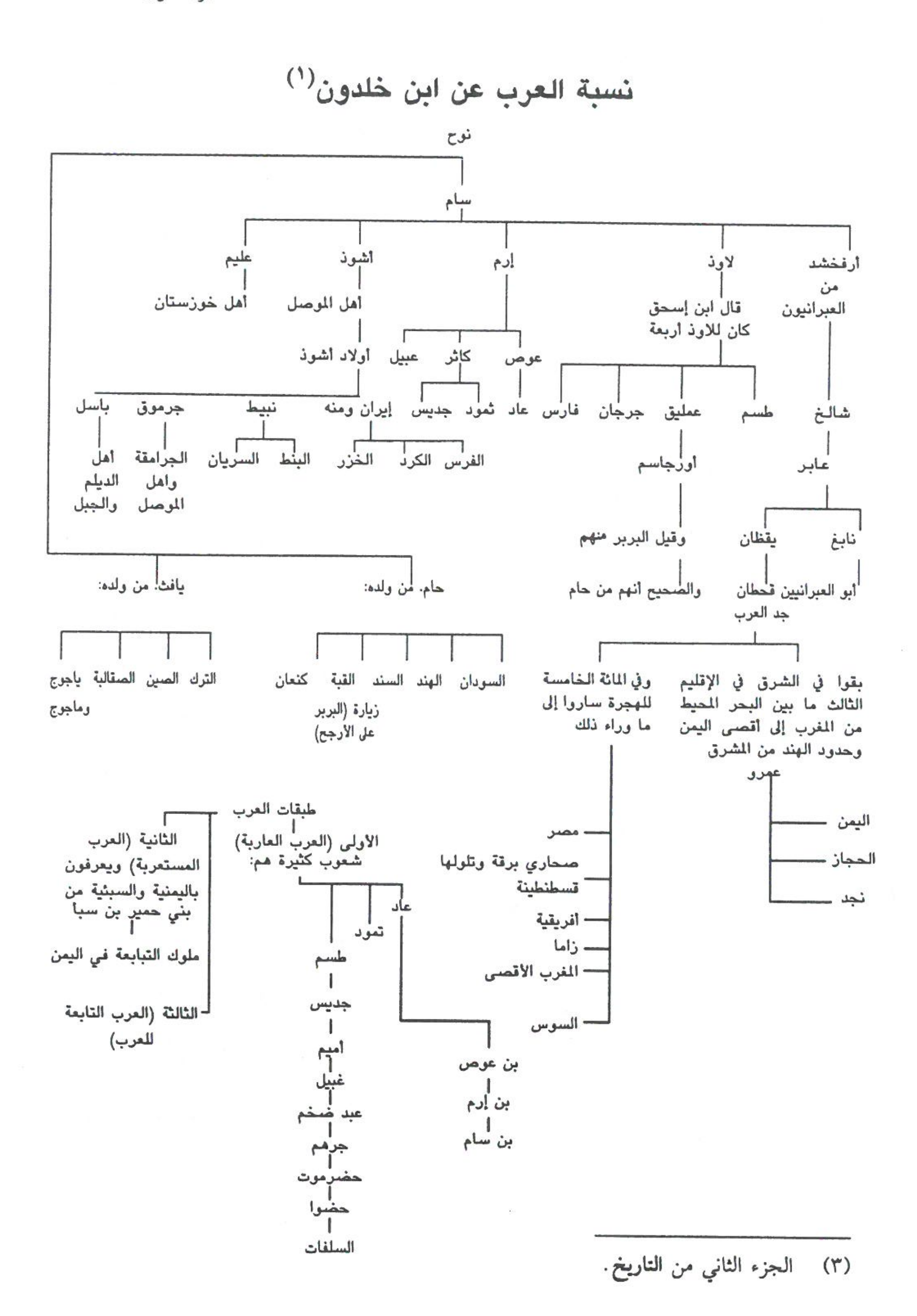
يريدون بها التي هلكت واندثرت أخبارها قبل الإسلام وهي تسع قبائل ذكر بعضها استرابون وبطولميوس. وأما أصولهم فمختلف عليها



٢ ـ العرب الباقية

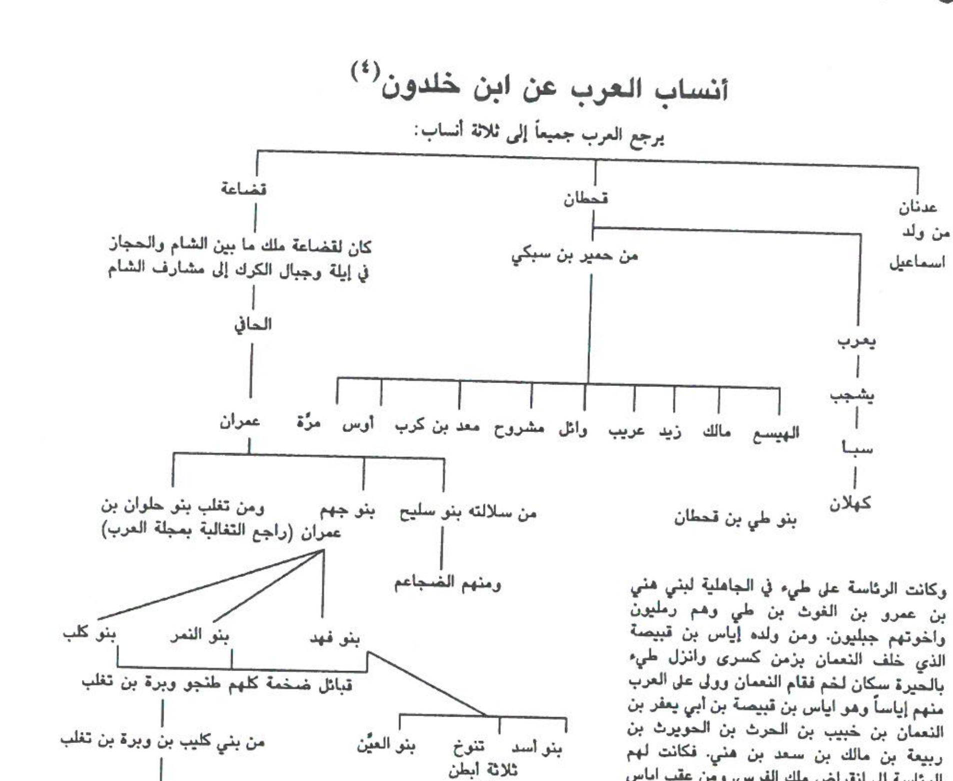


نسبة العرب عن ابن خلدون(١)

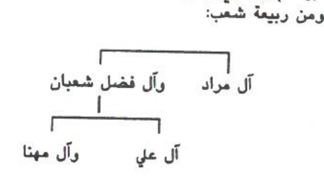


(٣) الجزء الثاني من التاريخ.

أنساب العرب عن ابن خلدون[٤]



وكانت الرئاسة على طيء في الجاهلية لبني هني بن عمرو بن الغوث بن طي وهم رمليون واخوتهم جبليون. ومن ولده إياس بن قبيصة الذي خلف النعمان بزمن كسرى وانزل طيء بالحيرة سكان لخم فقام النعمان وولى على العرب منهم إياساً وهو اياس بن قبيصة بن أبي يعفر بن النعمان بن خبيب بن الحرث بن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن سعد بن هني. فكانت لهم الرئاسة إلى انقراض ملك الفرس. ومن عقب اياس هذا بنو ربيعة بن علي بن مفرج بن بدر بن سلم بن قصة بن مدر بن سميع (وسميع من عقب قبيصة) بن أبي يعفر. ومن ربيعة شعب:



وكانت الرئاسة على طيء ايام العبيديين لبني المفرج، ثم صارت لبني مراد بن ربيعة وكلهم ورثوا ارض غسان بالشام وملكهم على العرب. ثم صارت الرئاسة لبني علي وبني مهنا ابني فضل بن ربيعة اقتسمها معه ثم انفرد بها لهذا العهد (عهد ابن خلدون) بنو مهنا الملوك على العرب إلى هذا العهد بمشارف الشام والعراق وبرية نجد وكان ظهورهم لآخر الدولة الايوبية ومن بعدهم من ملوك الترك بمصر والشام ياتي ذكرهم. ومن القحطانية عاملة اسمه الحرث بن عدي وهم أخوة لخم وحزام وسمي الحرث عاملة باْمه القضاعية وهم بطن متسّع ببرية الشام (جبل عاملة) ومواطنهم كثيرة

ثلاثة أبطن
نهم
نزار
كانت رئاسة الإسلام في كلب لبني مجدل ومن عقبهم لبنو منقذ ملوك شيزر

وهما إبنا تيم اللات بن أسد (فهم بن تيم اللات) ومن بني تيم اللات وغيرهم بطون ثلاث يقال لهم الأحلاف من جميع قبائل العرب من:

كندة
لخيم
وجذام
وعبد القيس

بنو كنانة بن تبر بن عوف قبيلة ضخمة وبها ثلاثة بطون:

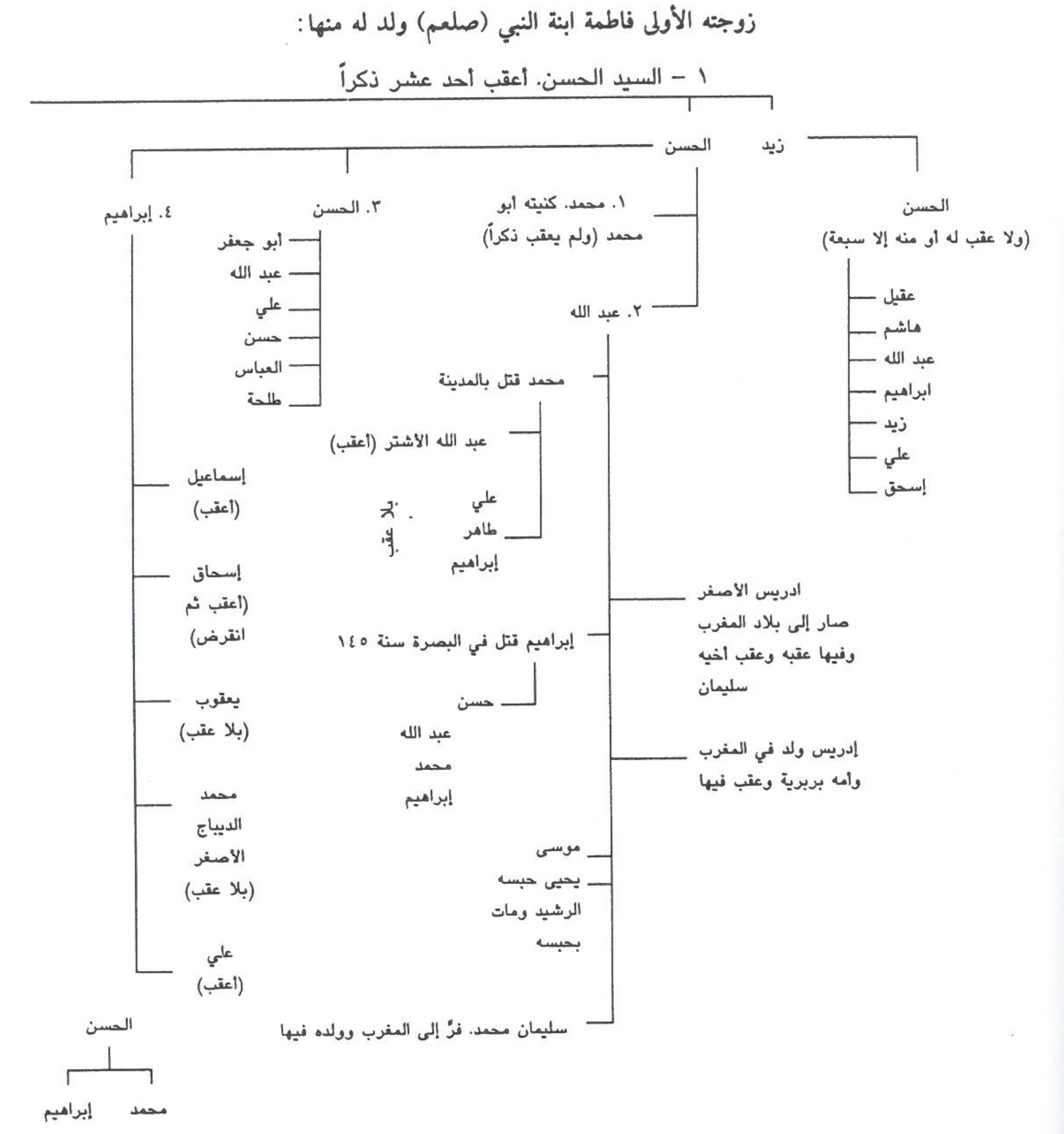
بنو عدي — بنو حصين بن ضمضم
زهير — حنظلة بن صفوان
عليم — بنو معقل

(٤) عن الجزء الثاني من تاريخ ابن خلدون - صفحة ٢٥٤. وفي الخامس والسادس تفصيل أنسابهم.

أنساب علي بن أبي طالب (رض)[٥]

زوجته الأولى فاطمة ابنة النبي (صلعم) ولد له منها:

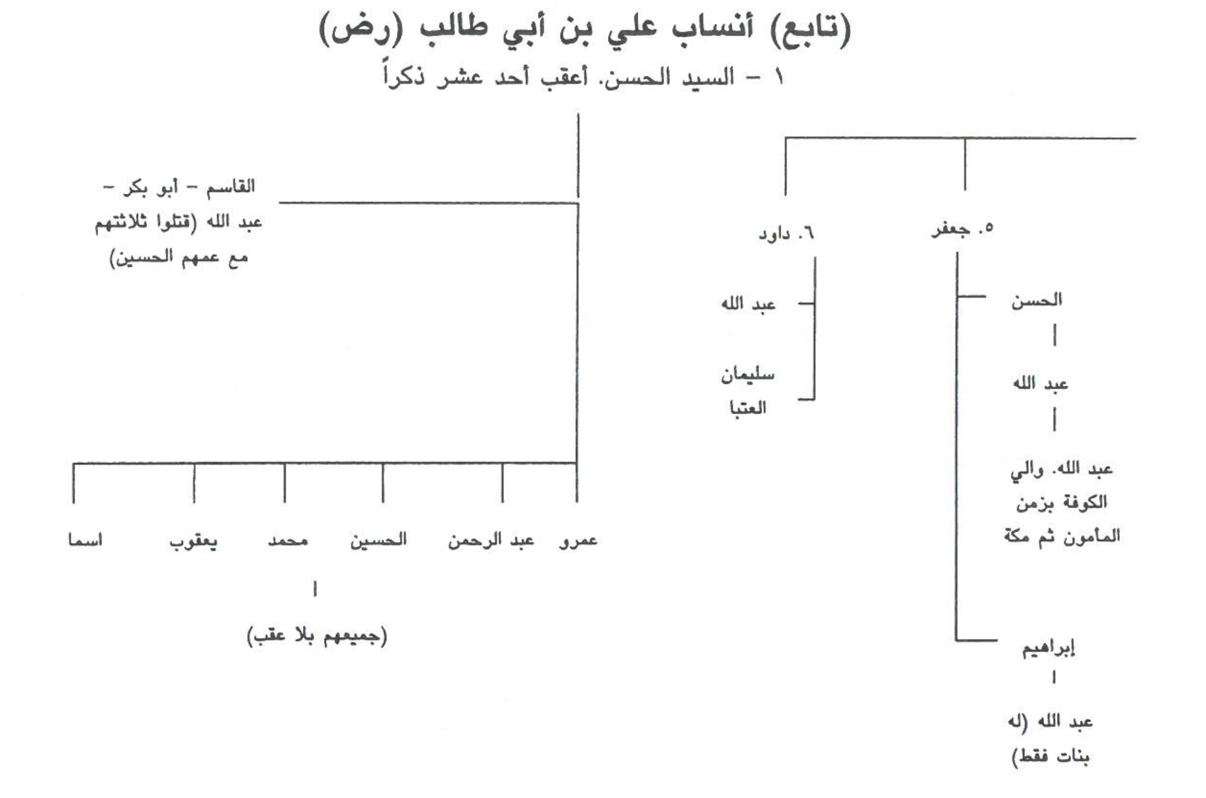
١ - السيد الحسن. أعقب أحد عشر ذكراً



(٥) في ١٥ ت٢ ١٩١٩. مأخوذ عن كتاب (اتعاظ الحنف باخبار الخلف) لابن المقريزي الشافعي. طبعة القدس.

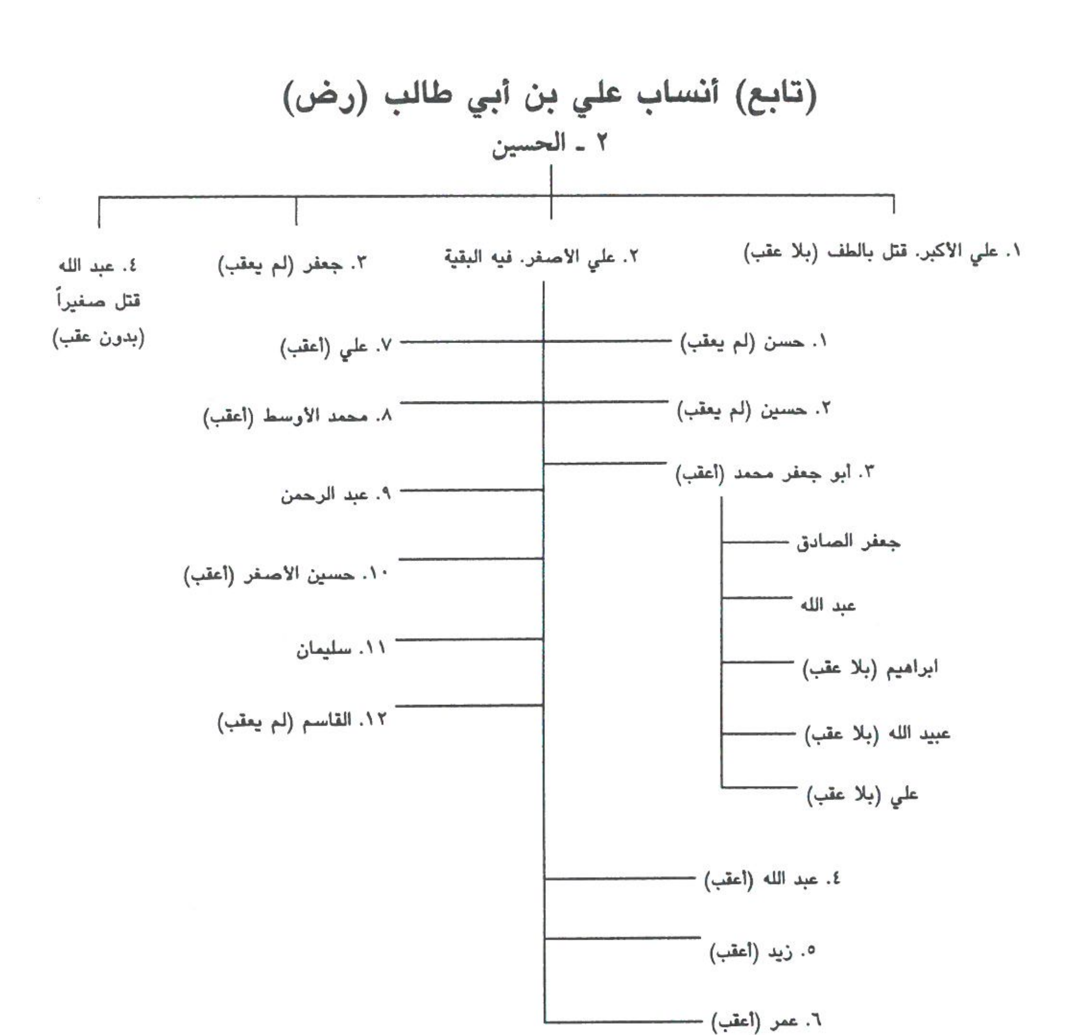
(تابع) أنساب علي بن أبي طالب (رض)

١ – السيد الحسن. أعقب أحد عشر ذكراً

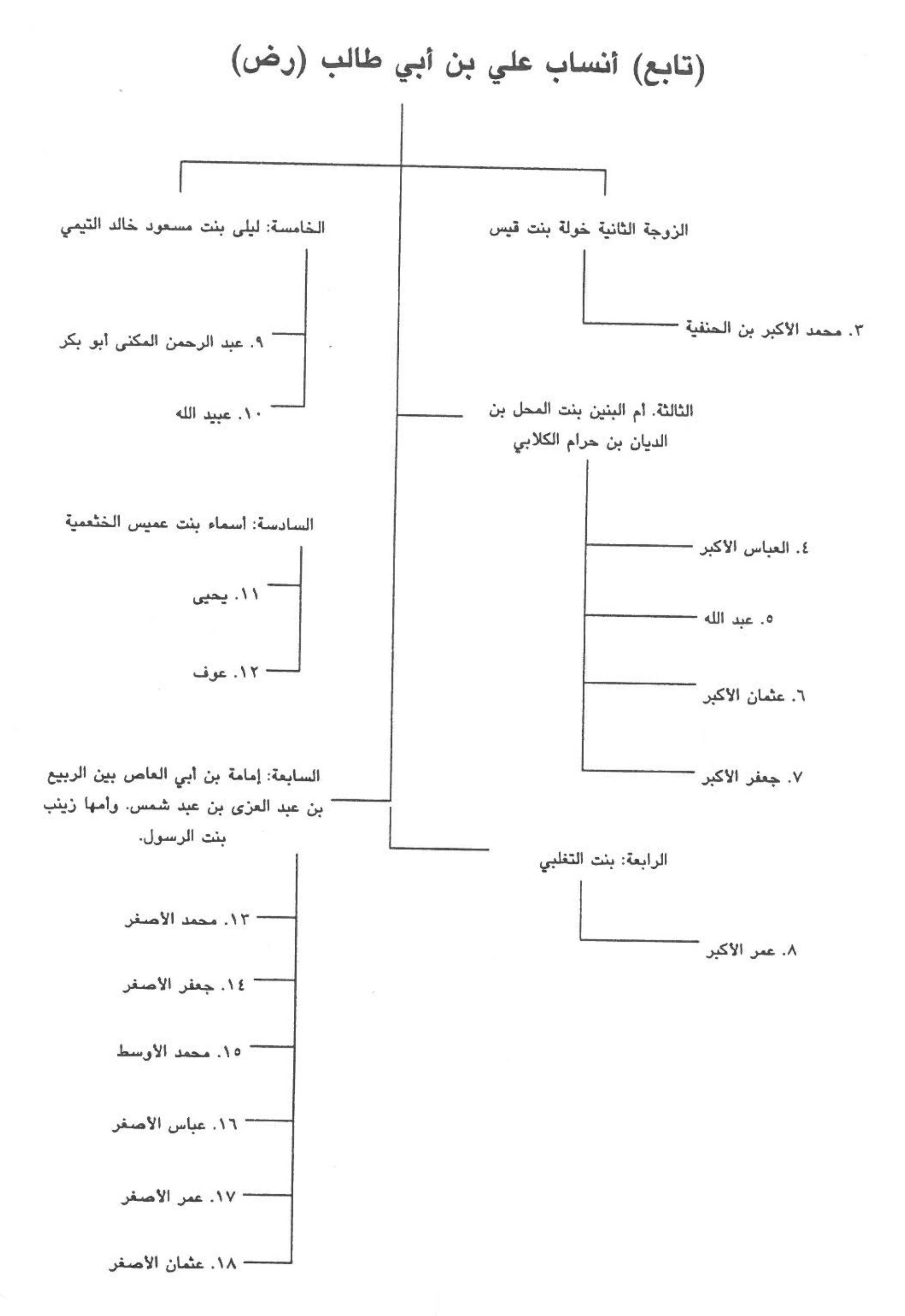


(تابع) أنساب علي بن أبي طالب (رض)

٢ ـ الحسين



(تابع) أنساب علي بن أبي طالب (رض)



الأسر القريشية في بلاد الشام[٦]

١ - بنو (مخزوم) أو بنو (خالد) من أشهر بطون قريش التي جاءت الشام وأكثرهم عدداً.
جاؤوا مع الأمير سيف الله خالد بن الوليد المخزومي وهم رهطه وتديروا الشام وليس قول بعضهم أنهم انقرضوا بثبت (راجع الروض صفحة ٨).
وعقب سيدنا خالد منتشر: في الشام ونجد والعراق والدروز والأفغان.
إن أمراء قبيلة بني خالد في الشام هم من ذرية سيف الله سيدنا خالد بن الوليد وهم أمراء عرب الشام وأبعدهم صيتاً وأكثرهم عدداً ولكنهم الآن ضعفوا، وعشائرهم هي الفرق الآتية:
فرقة مع آل القاضي بدمشق وديارها.
وفرقة بقيت بحماه وهي فرق العشيرة وهم عدة بطون منهم: الصيمالة، الزمول، البنوَة، الشقرَة، الشكره، غيرهم.
الرئاسة في هؤلاء إلى أمراء بني خالد وشيوخها آل عبد القادر.

٢ - ومن بطون قريش بنو شيبة (الروض ١٩) نسبهم هناك، من أشهرهم بديار الشام آل القطب ـ سعد الدين الجباوي (نسبة إلى جبا التي دفن فيها) شيخ الطريقة السعدية، فهو شيباني ويعرفون بآل تغلب وآل سعد، ومنهم جماعة

---

(٦) من كتاب **الروض البسام** لأبي الهدى الصيادي.

في حلب وحماه وأعظمهم شأناً آل سعد الدين في دمشق.

٣ - آل جحجاح - هي الآن (الموالي) (ينتسبون إلى العباس) أمراء قبيلة الحيار وهي المعروفة الآن بـ(الموالي) وسماهم المحبي آل جبّار. ومن بني عمهم آل فضل في غوطة دمشق (وهم أبناء عم آل أبي ريشة) وأمراؤها الآن يعرفون بآل (أبي ريشة) وقول المحبي أنهم من آل بلا خطأ ولكنهم ينتسبون إلى سيدنا العباس بن عبد المطلب من طريق ولده الفضل اتصل جدهم (آل أبي ريشة) بعرب الشام بعد واقعة التتار، وانضم إليه بعض القبائل وكثرت الأخلاط في قبيلته فخص الميادين بأطواق من حرير أسود فوق الأزياق [الأعناق] وقال لهم المطوقون وعرفوا ببني (الطوقان).

٤ - العقيدات. ينتهون إلى قبيلة المشاهدة ومنازلهم بديار حمص ومعهم جماعة من [...] وبعضهم ينتسبون إلى سيدنا محمد بن الحنفية ومنهم العلويون وآخرون حسينيون إلى الشريف محمود الرضي المهتدي ومعهم جماعة من قريش وربيعة.

٥ - الجراحيون [ينتسبون] إلى أبي عبيدة بن الجراح ومنهم قبيلة العمور الكثيرة العدد في صحاري حلب وحماه، ومنهم في عجلون وفي نابلس منهم فخذ يعرف بآل غماش وآل أبي الهدى (الروض ص ٢٣).

٦ - العثمانيون. نسبة إلى عثمان بن عفان في ديار الشام وباديتها ومدنها وفي المغرب والعراق ينتهون إليه من طريق أبان ويقال إن آل المنيني منهم (الروض ٢٤) في دمشق وآل الجابي فيها.

٧ - البكريون. من سلالة أبي بكر الصدّيق في دمشق، وحماه، وغيرهما في الشام، وفي مصر.

٨ - العمريون. ذرية الإمام عمر الفاروق.

دمشق: آل العمري ومنهم في الموصل.

حلب: بنو العقيلي نسبة إلى الشيخ عقيل المنبجي.

العبسيون. نسبة إلى آل عبس السرجاوي دفين سرجة من قرى أريحا وجدهم الشيخ علي بن عليل أو عليم ومنهم في ديار أريحة والمعرة.

طرابلس الشام: آل الرافعي. ومنهم في مصر.

٩ - الجعفريون. نسبة إلى جعفر بن أبي طالب ابن عبد المطلب جد النبي.

في ديار الخابور (بادية) ونابلس الشام.

١٠ - من الفاطميين قسمان: آل بري في الشام بادية، في كلب بادية من سلالة السيد أحمد البدوي دفين طنطا بمصر المتوفى سنة ٦٧٥ هـ، ينتسبون إلى الإمام علي بن موسى الرضي الحسيني وجدهم صاحب النسبة هو بري أبو البركات البغدادي نزيل دمشق المدفون بأرض سلمية خليفة السيد أحمد الكبير الرفاعي.

١١ - من الفاطميين الهاشميين قبيلة عجلان آل السيد فرج الحسيني خليفة الإمام الرافعي المدفون بالقرب من الخصيمية بأرض السلمية. ورؤساء هذا البطن: آل العقاب، بنو جميل - قبيلة العويشات ترجعان إلى قبيلة النعيم وقبيلة النعيم تنتهي إلى سلسلتين آل السيد عز الدين وآل السيد نعيم. ولهم ذيل طويل بديار العراق ومنازلهم مع أهلهم في ديار سهرزور ووادي الموصل وديار العراق. وكلهم ينتهون إلى الجد الجامع لأنسابهم السيد يحيى الرفاعي جدّ السيد أحمد الكبير الرفاعي.

١٢ - الحارثيون والمساعيد: الأمراء الحارثيون وأمراء المساعيد [يتواجدون] في ديار البلقاء، وأراضي نابلس، [هؤلاء] أهل بادية يدعون الشرف الفاطمي.

الكعبيون من آل كعب: بطن من قريش بديار حوران.

١٣ - بطن آخر من قريش في الشام: الجعافرة، بنو سعد.

١٤ - من الفاطميين: آل الموالك بالقرب من حرّان دمشق ينسبون إلى السيد مالك الحسني من سلالة الإمام السبط الحسن بن علي (رض)، وعليهم نزل السيد علي آل خزام الصيادي أخو السيد حسين برهان الدين آل خزام، وتزوج منهم وأعقب منهم ذرية هي (آل الصياد).

١٥ - من الفاطميين آل خزام أهل بادية منازلهم بنواحي دمشق مع بني خالد (في حوران) ينتمون إلى السيد علي آل خزام وجدهم السيد خزام الصغير (راجع الروض صفحة ٢٨).

١٦ - من الفاطميين عيلة من آل العابد منازلهم مع بني خالد بديار حماه يتصلون بالإمام زين العابدين عن طريق السيد محمد أبي عابد دفين دير الخابور (راجع قصة قدومه في الروض صفحة ٢٩).

١٧ ـ آل الحسيني من الفاطميين (في غزة والقدس) يرجع نسبهم إلى السيد بدر ساكن وادي النسور حيث قبره يزار في ديار القدس وهو السيد بدر الحسيني من آل زيد الشهيد.

١٨ ـ ومن الفاطميين آل العلمي في القدس. ينتهون إلى الإمام الحسن السبط من طريق السيد أحمد عكاري الحسني (الروض صفحة ٣٢) وبعضهم في قطنة والشام قبلاً.

١٩ ـ ومن الفاطميين آل إدريس وهم جماعة كثيرة في صيداء وديارها ينتسبون إلى الإمام إدريس الأكبر الحسني صاحب المغرب (رضه)، ومنهم في دمشق الأمير عبد القادر الجزائري وأسرته (ترجمته في الروض صفحة ٣٩).

٢٠ ـ ومن الفاطميين آل حمزة في دمشق ولهم ذيل طويل في حرّان، والذي سكن في حران جدّ (جدهم السيد إسمعيل بن حسين بن أحمد بن إسمعيل بن محمد بن إسمعيل الأعرج بن الإمام جعفر الصادق (رض) وينتهي بواسطة الإمام الحسين السبط إلى النبي (صلعم). السيد اسماعيل جد الذين في دمشق نزلها أولاً ومات سنة ٣٤٧ هـ.

٢١ ـ ومن الفاطميين آل عجلان ينتهون إلى السيد محمد شمس الدين الحسيني العجلاني وهو حسين الأيوبي. قدم السيد محمد شمس من مصر إلى دمشق في أواخر القرن الثامن (راجع الروض ٤٣).

٢٢ ـ ومن الفاطميين آل الكواكبي في حلب. ينتهون إلى السيد محمد الكوكبي نزيل قرية كوكب بديار الأكراد والنسبة الصحيحة أن يقال الكوكبي (فحرفت الكواكبي)، تنتهي هذه العيلة إلى السيد محمد الكواكبي ابن السيد ابراهيم بن السيد جعفر بن السيد محمد بن السيد إسمعيل بن السيد محمد بن السيد أحمد العراقي الكبير ابن السيد محمد قاسم بن السيد أبي القاسم حمزة ابن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين علي بن الإمام الحسين الشهيد سبط النبي (صلعم).

ومنهم في الأستانة

سكان حلب السادة الكواكبية.

السادة الحيدرية في بغداد. وإلى قطب الدين حيدر تنتسب الطائفة الحيدرية من الفقراء.

السادة الصفوية بديار العجم وهم من الشيعة.

٢٣ ـ ومن الفاطميين آل مرتضى، دمشق، بعلبك، وغيرهما من ضواحي الشام. قدم أجدادهم من اليمن وتوطنوا دمشق ونسبهم في بني الإمام إبراهيم المرتضى صحيح (راجع الروض ٤٧).

٢٤ ـ ومن الفاطميين آل الحراكي ينتهون من طريق جدهم الولي السيد عبد الله الحراكي الحسيني دفين النزول (من قرى معرة النعمان) إلى الإمام الحسين السبط. وسيد عبد الله الحراكي رفاعي الخرقة. ومنهم في معرة النعمان وفي حمص.

٢٥ ـ ومن الفاطميين آل بدران منهم في بيروت، ومنهم بصعيد مصر ولهم ذيل في اليمن.

٢٦ ـ ومن الفاطميين آل الزهراوي ينتهون إلى الإمام الحسين من طريق جدهم السيد إسحق وهم في القديم نقباء حلب وفيها قاعدة بيتهم وهم آل الشريف الحرّاني، ولهم ذيل بحمص ومنهم جماعة في الفوعة من قرى حلب.

حلب، الفوعة: شيعيون، في حلب: سنيون.

حمص: سنيون.

٢٧ ـ ومن الفاطميين (آل الحجار) في دمشق ينتهون إلى الإمام الحسين السبط (رض) من طريق جدهم السيد حسن الحجار الحسيني الدمشقي (كانوا قديماً تجاراً)، ومشهورون بدمشق وتوجد أسرة أخرى في دمشق باسم الحجار وليست منهم.

٢٨ ـ ومن الفاطميين آل المرادي في دمشق وهم ينتهون إلى الشيخ السيد مراد النقشبندي البخاري وهو مراد بن علي بن داود بن كمال الدين الحسيني وينتهي نسبه بواسطة الحضرة الحسينية إلى الجناب المحمدي (صلعم).

٢٩ ـ ومن الفاطميين آل الحبيب في دمشق ينتهون إلى الإمام الحسين السبط.

٣٠ ـ ومن الفاطميين آل نصري.

٣١ ـ ومن الفاطميين آل الرضى بنو تقي الدين في دمشق، راجع الروض، صفحة ٥٢. ومن آل الرضى بنو (الألوسي) سكان بغداد، ولهم ذيل من

بني أعمالهم في الحديثة (راجع نسبهم في الروض ٥٢). في دمشق ينتهي نسبهم إلى الإمام علي الرضى ابن الإمام الكاظمي (رض)، وهم قليلون مع أن آل الرضى في جميع الديار من أكثر الفاطميين عدداً.

وإلى الرضى يؤول نسب السيد أحمد البدوي دفين طنطا، [ومنهم] السيد إبراهيم الدسوقي دفين دسوق، والسيد عبد الرحيم القناوي دفين قنا، وللرضوية ذيل في الهند، وطوس، سمرقند واليمن.

٣٢ - ومن الفاطميين آل قضيب البان في حلب، والموصل ونواحيها، وهم ينتهون إلى الإمام الحسن السبط من طريق جدهم السيد محمد قضيب البان الموصلي لآل قضيب البان ينتهي نسب:

آل الحافظ بحماة وقاعدة بيتهم في القديم الموصل.

وآل شمس الدين سكان أورفة (الرها). قدم جدهم من الموصل إلى حصن كيف فسكنها وأعقب ثم انتقل بأعقابه إلى أورفه بحلب ومن هذا البطن (آل القدسي).

٣٣ - ومن الفاطميين آل الدسوقي وهم بطن من آل الرضى بن الكاظم ينتهون إليه بواسطة جدّهم السيد موسى أخ السيد إبراهيم الدسوقي الحسيني وبيتهم معروف (أرمناز) من نواحي حلب وجدّهم فيها الشيخ أبو العينين وله نسبوا.

وقاعدة هذا البيت في دسوق (مصر) وفيها قبرا السيد موسى وأخيه الرابع سيد إبراهيم ولهم ذيل طويل هناك ومنهم في دمشق وغيرها وجب جنين.

٣٤ - ومن الفاطميين آل الشيخ عبد القادر الجيلاني. ينتسبون إلى الإمام الحسن السبط وقيل إلى الإمام علي (رض). قدم جدهم الشيخ عبد القادر من جيلان بلدة بديار العجم وسكن بغداد حتى مات سنة ٥٦١ هـ وقبره يزار. ولأسباب بدأ بها أولاده، خرب جلال الدين الحنبلي وزير الخليفة الناصر بيت الشيخ وشتت أولاده فأرسلهم إلى الطوامير بواسط، فمات أكثرهم وخرَّب شاه العجم زاوية الشيخ، وشتت ذريته وبقيتها لما استولى على بغداد فتفرقوا في البلاد وابتلوا بالإنكار على بعضهم.

أصحاب نسَبَ: في حماه (أشهرهم) بطن من آل عبد الرزاق بن الشيخ عبد

القادر. قدم جدهم الشيخ سيف الدين يحيى من بغداد إلى حماه فكانت منه هذه الأسرة فيها وهي مشهورة بالفضل (راجع أعيانهم في الروض مصر ٥٧).

في الشام، بدمشق وفي عذراء من قراها.

حلب وبقرية الشيخ (باعو) من أعمالها وهم باسم آل عبسي.

في كفر نبل قرية من المعرة باسم (آل سليمان الخطيب).

في نابلس آل زيد ومنهم في يعليب من قراها جماعة.

وفي طرابلس.

ديار حوران.

دُخلاء: أما في بغداد (آل زين الدين) فهم ينتسبون إلى الشيخ من ذرية البنات وأسرتهم (بنو السمين) وهم أسرة (النقيب) في بغداد.

٣٥ - آل طه بحلب وهم بطن من الحسينين آل اسماعيل الحسيني وينتهون بواسطته إلى الإمام الحسين السبط قدم جدهم من ديار السليمانية حلب، فسكن حلب وانتشرت فيها ذريته. ومنها (السيد أحمد آل طاها) باني المدرسة الأحمدية، فيها وهم في حلب ولهم ذيل طويل بديار العراق.

٣٦ - ومن الفاطميين آل تاج الدين في حلب وآل الرتابيلي، فيها ونسبهما ينتهي إلى جدٍّ واحد من بني الحسين وهم من بطون الزهراويين، ولهم نسب في آل اسحق الحسيني المشهدي الحلبي، وبيتهم في حلب (تجار).

٣٧ - ومن الفاطميين آل شيخ نعسان بن أرسلان الحسيني الرفاعي الطريقة، البابي نسبة إلى الباب، ويخطىء النعسانيون بقولهم إن جدهم الشيخ أرسلان في دمشق، والحال أن هذا تركماني الأصل من رجال القرن السادس، أما جدهم الشيخ أرسلان فهو حسيني النسب من أهل القرن التاسع ولهذا البطن ذيل في حلب وقاعدة بيتهم في الباب، قصبة من أعمالها.

٣٨ - ومن الفاطميين آل أبي بكر. ويعرفون الآن ببني الكتخدا في حلب. قدم جدهم بكر بك من كفر تخيدين إلى حلب وسكنها بعد قدومه من بغداد، وأسلافهم سكنوا جزيرة الشرف ويعرف بطنهم بآل جهان وينتهون إلى الإمام الحسين السبط، ولهم ذيل طويل أي آل جهان في بلاد فارس

وأكثرهم في أذربيجان وخراسان ومنهم بديار الجزيرة.

٣٩ ـ ومن الفاطميين بنو الحموي في حلب. ينتهون إلى البيت الحسيني من طريق جدهم صاحب الخيرات سيد حسن الحموي وله جامع منسوب إليه في حلب.

٤٠ ـ ومن الفاطميين آل الموقت بحلب وهم فيها إلى الآن.

٤١ ـ ومن الفاطميين آل شرف الدين موسى الحسيني في قرية الأخترين في حلب. ينتهون إلى الإمام جعفر الصادق من طريق جدهم السيد الكاظم يحيى ابن السيد علاء الدين علي ابن السيد محمد التقي الجواد ابن الإمام الرضي.

٤٢ ـ ومن الفاطميين آل المهدي. يجتمعون مع بني الرفاعي في السيد المهدي الحسيني، وهم بطون كثيرة في حلب ومنهم جماعة يعرفون بآل البيك في محلة قرلق وبانقوسا.

٤٣ ـ ومن الفاطميين آل الكيال وهم من بني الرفاعي إلا أنهم لا يتصلون بالسيد أحمد الكبير رفاعي، بل هم من ذرية ابن أخته السيد سيف الدين علي مهذب الداية ابن السيد عثمان ابن السيد حسن ابن السيد محمد عسلة ابن السيد حازم الرفاعي الحسيني جد الإمام السيد أحمد الرفاعي.
وينتهي إلى الكيال، آل السيد علي من طريق ولده السيد إسماعيل الكيال الرفاعي دفين قرية الترنبة من أعمال حلب المتوفى في حدود سنة ٧٠٠ وآل الكيال بطون كثيرة وفصائل شهيرة:
منهم آل الطيار في حلب، وفي حلب، وفي سرمين، وفي إدلب، وحماه، ومنهم ذيل في يافا.

٤٤ ـ ومن الفاطميين آل الرفاعي ينتهون إلى السيد أحمد الكبير الرفاعي (راجع نسبهم في الروض صفحة ٦٤) والرفاعي نسبةً إلى رفاعة الحسن أبي المكارم المكيّ ثم المغربي نزيل القبيلية (المغرب) الجد السابع للسيد أحمد (راجع الروض ٦٣ تجد نسبته الطويلة) هاجر من مكة لما كثر الجور على الشرفاء ونزل في المغرب وأقام مع قبيلة عربية هناك وعلا أمره وطار صيته، وبقي إلى زمن السيد يحيى جد السيد أحمد الكبير فهاجر إلى مكة ومنها هاجر إلى البصرة فولد له أبو الحسن السيد علي المكي الرفاعي والد السيد أحمد الكبير، وكان جده لأمه الشيخ يحيى البخاري الأنصاري.

وآل الأنصاري لهم فروع كثيرة (الروض ٧٧) بديار العراق، الحجاز، الشام، وهرات (العجم).
ومنهم آل الحسنين في مصر وغيرها.
ومنهم آل السبسبي في حلب ومن أشهرهم آل [...] في دمشق.
ومنهم في حماه (الكبيسي).
ومنهم آل الحوراني.
ومنهم الرضوية في تركستان (الروض ١٠٠) بلاد الختن والخطا وعاد منهم جماعة إلى واسط.
ومنهم آل السيد وفا في حلب.
ومنهم الأحمديون (الروض ٩٠): في دمشق، اليمن، العراق.
آل منيني (الروض ٣٨).
آل جندل: حمص، بعلبك، دمشق.
آل الشريف (الروض ٩٤).
آل الحريري (الروض ٩٤/٩٩) (حماه).
أبو الحسن الثاني توفي ٦٣٦هـ. (لرؤيته: الروض ١٠٠).
أبو علي عز الدين الصياد توفي ٦٧٠هـ وكان في القرن السادس والسابع.
في زمايا ورياق بالشام ومنهم بنو الركابي بدمشق وحمص. راجع أولاده (الروض ١٠٣).
ومنهم بنو الأعرج في الحجاز والشام والعراق من أشهر سكان الموصل ولهم ذيل فيها منهم. [ومنهم] آل النقيب وآل الفخري (الروض ٦٩).

الفصل الخامس

النَوَر

أصل النَوَر

اختلف المؤرخون في أصل قبائل النَوَر المنتشرة في الشرق والغرب بأقوال غريبة ومزاعم مختلفة.

ولعل أولى ما يقال في أصولهم أنهم من السلالة الآرية من قبائل وضيعة (**من هندية وفارسية وكردية**). ففي الهند بقايا منهم يعرفون بأسماء مختلفة منها (البازيكور) Basigours و(البُنچيپيرية) Pontchipiris و(الكروَّاس) Correwas وسحنهم ولغتهم مثل النور في البلدان الأخرى.

ومما في لغتهم من ألفاظ **الكرد** أنهم يسمون أنفسهم (رُما) جمع روم (Roma, Rom) بمعنى (الرجال) أو (الحي المجتمع من الرجال) وهي لفظة كردية قديمة. فجمعها (روما) على صيغة كردية وجمعها Roman على الطريقة الفارسية ـ وأخذها العرب فقالوا (الرَمّ) الجماعة. وقال ياقوت: الرموم محال الأكراد ومنازلهم بلغة فارس وهي مواضع بفارس منها.

وفي بلاد **فارس** أقوام شُذّاذ يتكلمون بلغة النَوَر ويرحلون منها إلى روسية ومنها إلى أوروبة شمالاً إلى كردستان ثم إلى بلادنا العثمانية وهيآتهم ولغتهم مثل جميع النَوَر.

ومن ألفاظ لغتهم عند السلام (ميسهتو روما) أي نهارك سعيد يا رجل.

وينكرون على غيرهم اسم رجل (روما) الذي اشتق من اسمهم الفرنسي (رومانيشل) غير بوهيمي. راجع بحث مطول في لغتهم وقواعدها في مجلة «المشرق» (٥: ٩٦٩).

النَور في كتابات مختلفة

قال الأب الكرملي في (**مجلة المشرق**) (٥: ٩٣٩) سنة ١٩٠٢م: النَور جيل خليط من طوائف وأمم شتى ومن نُفاياتها وحُثالتها وخشارتها وسُحالتها. وإن أول أمة نشأ فيها هؤلاء الطغام هي الأمة الهندية. ومنهم الزط والكول وهما أقدم هذه الطوائف. وقد انضم إلى هؤلاء الأقوام السفلة غير ما ذكرنا من الناس كالاندغار والسبابجة كما ذكر البلاذري وابن الأثير وغيرهما. وقد سبق هاتين الطائفتين طائفة (اللور) وهي قبيلة هندية تركت مواطنها إلى بلاد الفرس في عهد يزدَجَرْد الملك فتديرتها وانتشرت في البلاد التي عرفت بعد ذلك باسمهم (لورستان) أو بلاد اللور. وعليه فالنَور يعرفون في التاريخ منذ أواخر القرن الرابع للميلاد.

ذَكَرهم كثير من المؤرخين كالبلاذري في (فتوح البلدان) (ص ٣٩١) عند ذكره أن أبا موسى الأشعري وجّه الربيع بن زياد للفتوح وأتى القُفْس (ويقال القُفْص) وتجمع له بهرموز خلق ممن جلا من الأعاجم فقاتلهم فظفر بهم وظهر عليهم.

وياقوت الحموي في معجم البلدان (٧: ١٣٤ طبع مصر سنة ١٩٠٦): القُفْس بالضم ثم السكون والسين المهملة وأكثر ما يتلفظ به غير أهله بالصاد وهو اسم عجمي وهو بالعربية جمع أقفس وهو اللئيم مثل أشهل وشُهْل. قال الليث: (القُفْس جبل بكرمان في جبالها كالأكراد يقال لهم القُفْس والبلوص. قال الراجز يذكره والمشتق منه:

وكم قطفنا من عدوٍّ شُرْسِ   زطٍّ وأكرادٍ وقُفْسٍ قُفْسِ

وقال **الرهني** (معجم البلدان ـ ٧: ١٤٤): «القُفْس جبل من جبال كرمان مما يلي البحر. وسكانه من اليمانية ثم من الأزد بن الغوث. ثم من ولد سليمة

بن مالك بن فهم وولده. لم يكونوا في جزيرة العرب على دِين العرب للاعتراف بالمعاد والإقرار بالبعث. ولا كانوا مع ذلك على دينهم في عبادة طواغيتهم التي كانوا يعبدونها من الأوثان والأصنام. ثم انتقلوا إلى (عبادة النيران) فلم يعبدوها أيضاً عندهم وفي قدرتهم. ثم فتحت كرمان على عهد عثمان بن عفان (رض) فلم يظهر لأحد منهم ذلك من ذلك الزمان إلى هذا الزمان ما يوجب لهم اسم نحلة وعقد ولا اسم ذمة وعهد، ولم يكن في جبالهم التي هي مأواهم بيت نار ولا فهر يهود ولا بيعة نصارى ولا مصلّى مسلم. إلّا ما عساه بناه في جبالهم الغزاة لهم.

وأخبرني مخبر أنه أخرج من جبالهم الأصنام الكثيرة ولم أتحققه.

وقال الرهني: «وإني وجدت الرحمة في الإنسان وإن تفاوت أهلها فيها فليس أحد منهم يغار من شيء منها فكأنها خارجة من الحدود التي يميز بها الإنسان من جميع الحيوان كالعقل والنطق اللذين جعلا سبباً للأمر والزجر ولأن الرحمة وإن كانت من نتائج قلب ذي الرحمة (كذا). ولذلك في هذه الخلة التي كأنها في الإنسان صفة لازمة كالضحك فلم أجد في (القفس) منها قليلاً ولا كثيراً. فلو أخرجناهم بذلك عن حد من حدود الإنسان لكان جائزاً. ولو جعلناهم من جنس ما يصاد ويرمى لا من جنس ما يُغزى ويُدعى ويؤمر ويُنهى إذن ما كان على ما بان لنا وظهر وانكشف وشهر أنه لم يصلح على سياسة سائس ولا دعوة داعٍ وهداية هاد. ولم يعلق بقلوبهم ما يعلق بقلوب من هو مختار للخير والشرّ والإيمان والكفر. كأن السبع الذي يقتل في الحرم والحل وفي السرق والأمر ولا يستبقي للاستصلاح والاستحياء للإصلاح أشبه منه بالإنسان الذي يُرجى منه الارعواء عن الجهالة والنزوع من البطالة والانتقال من حالة إلى حالة.

قال: وولد مالك بن فهر ثمانية فراهيد. والخمام والهناء ونوى والحارث ومعن وسليمة) بنو مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد.

قال: والمتمرد من ولد عمرو بن عامر بوادي سبا هو (جد القفص) وذلك أن سليمة بن مالك هو قاتل أبيه مالك بن فهم وهو الفارُّ من أخوته بولده وأهله من (ساحل العرب) إلى (ساحل العجم) مما يلي مكران والقاطن بعد في تلك الجبال» انتهى كلام الرهني.

قال الرهني: وأردنا بذكر هذه الأمور التي بيناها من (القفص) لندلّ على أنهم لم يكن لهم قط في جاهلية ولا في الإسلام ديانة يعتمدونها. وليعلم الناس أنهم مع هذه الأحوال يعظّمون من بين جميع الناس (علي بن أبي طالب (رض)) لا لعقد ديانة. ولكن لأمر غلب على فطرتهم من تعظيم قدره واستبشارهم عند وصفه.

قال البشاري: الجبال المذكورة بكرمان جبال (القفص) و(البلوص) و(القارن) و(معدن الفضة). وجبال (القفص) شمالي البحر من خلفها جروم جيرفت والروذبار وشرقيها الأخواس ومفازة بين القفص ومكران. وغربيها البلوص ونواحي هرمز. ويقال إنها سبعة أجبل وأن بها نخلاً كثيراً وخصباً ومزارع وأنها منيعة جداً.

والغالب عليهم النحافة والسمرة وتمام الخلقة. يزعمون أنهم عرب وهم مفسدون في الأرض. وبين أقاليم الأعاجم مفازة وجبال ليس بها نهر يجري ولا رستاق ولا مدينة مشهورة يسكنها الذعّار صعبة المسلك وفيها طريق تسلك من بعض النواحي إلى بعض. فلذلك قد عمل فيها حياض ومصانع أكثرها من خراسان وبعضها من (كرمان) وفارس والجبال والسند وسجستان. والذعّار بها كثير لأنهم إذا قطعوا في عمل هربوا إلى الآخر وكمنوا في (كركس كوه) و(سياه كوه) حيث لا يقدر عليهم.

وليس بها من المدن المعروفة إلّا سفند وهي من حدود سجستان ويحيط بهذه الجبال والمفاوز الموحشة من المدن المعروفة من كرمان - خبيص وثرماسير. ومن فارس - يَزد وزَرَند. ومن أصبهان إلى أردستان والجبال - قم وقاشان. ومن قواهستان - طبس وقائن. ومن قومس بيار.

قال: (أي الرهني) ومثلها مثل البحر كيف ما شئت فسر إذا عرف السمت لأن طرقها مشهورة مطروقة. قال: وقد خرجنا من طبس نريد فارس فمكثنا فيها سبعين يوماً نعدل من ناحية إلى ناحية. نقع مرة في طريق كرمان وتارة نقرب من أصبهان. فرأيت من الطرق والمعارج ما لا أحصيه.

وفي هذه الجبال صرود وجروم ونخيل وزروع ورأيت أسهلها وأعمرها طريق الري وأصعبها طريق فارس وأقربها طريق كرمان. وكلها مخيفة من قوم يقال لهم (القُفْص) يسيرون إليها من جبال لهم بكرمان (وهم قوم لا أخلاق لهم) وجوههم وحشة وقلوبهم قاسية وفيهم بأس وجلادة لا يبقون على أحد ولا يقنعون بأخذ المال حتى يقتلون صاحبه وكل من ظفروا به قتلوه بالأحجار كما تقتل الحيات. يمسكون رأس الرجل ويضعونه على بلاطة ويضربونه بالحجارة حتى يتفدّغ - وسألتهم لِمَ تفعلون ذلك؟ (فقالوا) حتى لا تفسد سيوفنا فلا يفلت منهم أحد إلّا نادراً.

ولهم مكان وجبال يمتنعون بها، وقتالهم بالنشّاب ومعهم سيوف.

وكان (البلوص) شراً منهم فتتبّعهم عضد الدولة حتى أفناهم. وصمد لهؤلاء فقتل منهم كثيراً وشرّدهم ولا يزال أبداً عند المتملك على فارس رهائن منهم، كلما ذهب قوم استعاد قوماً.

وهم أصبر خلق الله على الجوع والعطش وأكثر زادهم شيء يتخذونه من النبق ويجعلونه مثل الجوز يتقوّتون به. ويدّعون الإسلام وهم أشد على المسلمين من الروم والترك.

ومن رسمهم أنهم إذا أسروا رجلاً حملوه على العَدْوِ معهم عشرين فرسخاً حافي القدم جائع الكبد، وهم مع ذلك رحالة لا رغبة لهم في الدواب والركوب وربما ركبوا الجمازات...

وحدثني رجل من أهل القرآن وقع في أيديهم - قال: أخذوا مرة في ما أخذوا من المسلمين كتباً فطلبوا في الأسارى رجلاً يقرأ لهم فقلتُ أنا: فحملوني إلى (رئيسهم). فلما قرأت الكتب قرّبني وجعل يسألني عن أشياء إلى أن قال

لي: ما تقول فيما نحن فيه من قطع الطريق وقتل النفس ـ فقلتُ: من فعل ذلك استوجب من الله المقت والعذاب الأليم في الآخرة. فتنفس نفساً عالياً وانقلب إلى الأرض واصفَرّ وجهه ثم أعتقني مع جماعة. وسمعتُ بعض التجار يقول: إنهم إنما يستحلون أخذ ما يأخذونه بتأويل أنها أموال غير مزكّاة. وأنهم محتاجون إليه. فأَخْذها واجب عليهم وحقّ لهم (اهـ).

وقال أيضاً في مادة (قُفْص):

(القُفْص) بالضم ثم السكون وآخره صادٌ مُهْمَلة ـ جبال القُفص لغة في (القُفْس) المذكور قبل هذا. قال أبو الطيب:

(ساقي كؤوس الموت والجريال) لما أصار القفص أمسى الخالي

وكان عضد الدولة قد غزا أهل (القُفْص) ونكى فيهم نكاية لم ينكِها أحد فيهم وأفنى أكثرهم.

و(القُفْص) أيضاً قرية مشهورة بين بغداد وعُكبرا قريباً من بغداد. وكانت من مواطن اللهو ومعاهد النُزه ومجلس الفرح ينسب إليها الخمور الجيدة والحانات الكثيرة. وقد أكثر الشعراء من ذكرها فقال أبو نؤاس:

رددتني في الصبى على عقبي وسمت أهل الرجوع في أدبي

لولا هواؤك ما اغتربت ولا حطت ركابي بأرض مغرب

ولا تركت المدام بين قرى الكرخ فبورى فالجوسق الخربِ

وباطرُنجى (فالقفص) ثم إلى قُطربلِ مرجعي ومنقلبي

ولا تخطيتُ في الصلاة إلى (تَبَّت يدا شيخنا أبي لَهَبِ)

كان قد هوى غلاماً من بني أبي لهب لما حج فقال له هذه الأبيات...

ونسب إليها (أي إلى قفص) أبو سعد أبا العباس أحمد بن الحسن بن أحمد بن سلمان القفصي الشيخ الصالح. سكن بغداد وسمع الحسن بن طلحة النعالي وغيره وذكره في شيوخه قال: ومولده سنة ٤٦٦ ولعل هذه القرية سميت

بهذا الاسم لسكنى القفص إياها (انتهى قول معجم البلدان لياقوت).

هذه المقالة نقلتها مجلة (لغة العرب) البغدادية في المجلد السابع الصفحات ٦٤٢ و٧٢٣ بالحرف.

وقال ياقوت: وقفصة بلدة صغيرة في طرف إفريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجريد بينها وبين القيروان ثلاثة أيام مختطة في أرض سبخة لا نبت إلَّا الأشان والشِيح... الخ. وذكرها ابن حوقل الرحالة... (اهـ) قول ياقوت فراجع ذلك عن هذه مطولاً.

عن مجلة الهلال

اسمهم: الاسم العمومي عندنا (نَوَر) واحدها (نورية ونوري). ذكر القاموس أنها مشتقة من النار التي ظن أنهم يعبدونها ولكننا نرى أنها متخلفة عن (لوري) اسم قبيلة هندية هاجرت إلى بلاد فارس على عهد يزدجرد وأقامت هناك ومنها تفرّق نَوَر المشرق وبقي اسمهم محفوظاً مع بعض التحريف. إن اسم الواحد منهم في سورية (نوري) وجمعه (نَوَر) ولعلهم هم الذين كانوا قبيلة رحالة في بلاد فارس على عهد شاعر الفرس (حافظ) وكانوا يدعون (لولي) ويحسنون الرقص والغناء.

تاريخهم: أصلهم من الهند وهم جيل من رعاع الناس يطوفون في الأرض ومنهم جماعات كبيرة في آسية وأوروبة وأفريقية وعيشهم غالباً بالسرقة والتكدّي وإبصار البخت وصنع المناخل والغرابيل. ولهم أسماء شتى حسب البلاد التي يقيمون بها. ففي سورية (نور) ومصر (غجر) وفارس وتركستان (زنجاري) وروسية (زيجاني) وألمانية (زيجونر) وإسبانية (جيتانوس) وإيطالية (زنجاني) والجيم في كل هذه الألفاظ كاف فارسية ولعلها من أصل واحد (زنكالي) ويتسمون به وهو لفظ هندي قديم بمعنى (سود الهند أو السند) لسوادهم. وهاجروا من الهند إلى أوروبة في أوائل القرن الثاني عشر للميلاد.

وأقدم من ذكرهم من الكتَّاب راهب جرماني أنشأ مقالة ألمانية في سفر التكوين سنة ١١٢٢ م. وذكرهم فيها عرضاً.

وفي القرن الرابع عشر للميلاد هاجرت فئة أخرى منهم فارَّة من وجه

تيمورلنك القائد التتري فأقام معظمهم في المجر وفي أماكن غيرها من جرمانية وسويسرة وإيطالية. ولم يظهروا في باريس قبل سنة ١٤٢٧ م [حين] ظهرت فئة منهم نحو (١٢٠) نورياً ادعوا أنهم من مسيحيي المصريين وقد فروا من ظلم المسلمين ولعل هذا سبب في تسميتهم (جبسيس) Gypsies وأخبر عنهم كاتب فرنسي إذ ذاك ووصفهم بقوله:

«إن آذانهم مثقوبة وقد علّقوا فيها أقراطاً فضية وشَعرهم أسود جَعْدي ونساءهم في غاية القذارة يتعاطين التنجيم وإبصار البخت».

وكان الفرنسيون يسمونهم (البوهيميين) لأن معظمهم جاؤوا فرنسة عن طريق بوهيمية.

ويدعي (النَوَر) أنهم سِيقوا من مصر ليتيهوا في الأرض انتقاماً منهم لأنهم لم يحسنوا وفادة يوسف ومريم العذراء لما أتيا مصر - ويزعم بعضهم الآخر أنهم كانوا مسيحيين فكفروا بدينهم فحكم عليهم الباب أن يتيهوا في الأرض تكفيراً عن ذنبهم. فأذنت لهم فرنسة أن يقيموا في بلادها فأقاموا مدة ثم رأت كسلهم وسوء تصرفهم فأصدرت أحكاماً لإخراجهم من بلادها فاضطروا إلى سكنى الغابات والبراري. وبعضهم هاجر إلى ألمانية والمجر وآخرون هاجروا إلى إسبانية.

ومنهم جماعة كبيرة في روسية يتعاطون تجارة الخيل ومعالجة أوبئة الماشية. و(نوَر موسكو) قد تركوا المعيشة البدوية وسكنوا المنازل والقصور وركبوا المركبات لا فرق بينهم وبين الروسيين. وقد امتازوا خاصة بمواهبهم في فن الموسيقى واشتهرت نساؤهم بحسن الأصوات.

أما (نَوَر المجر) فيعيشون في أقذار الأحوال نساء ورجالاً ولكنهم مع ذلك يميلون إلى الموسيقى وبعضهم يتعاطى مهنة الحدادة والسنكرية[١] ولكن معظمهم يتعاطون السرقة والتنجيم.

(١) يقول مؤلف **تاريخ الأسر** هذا عيسى اسكندر المعلوف: ربما كان اسم السنكرية من (الزنجاري) اسم النَوَر.

أما في بلاد (الانكليز) فقد أقام النَوَر في بادىء الأمر على حذر ثم توطنوا وطاب لهم المقام ووهبتهم الحكومة امتيازات خاصة بهم يتعاطى ذكورهم تجارة الخيول وبعضهم يتعاطى السنكرية. وأما نساؤهم فصناعتهن إبصار البخت وربما كان (نَوَر انكلترة) أجمل نَوَر الأرض. وهم يقسمون هناك إلى فرق برأس كلاً منها رئيس ترجع إليه في أحكامها. وقد يكون ذلك الرئيس امرأة يسمونها الملكة.

وفي سنة ١٨٦٠ م رأستهم ملكة اسمها (استيرفاآ). وقد خولتهم انكلترة حقوقاً ذات بال حتى أن ملكهم في إيدنبرج واسمه (جورج سمث) اعترض على لائحة وضعتها الحكومة الإنكليزية سنة ١٨٩١ م. وفي بلاد الإنكليز جمعية أدبية للنور اسمها (جمعية التهذيب النَوَري) أسست سنة ١٨٨٨ م وبلغ عدد أعضائها إلى سنة ١٨٩١ سبعين عضواً ينشرون جريدة سياسية باسم الجمعية.

وقد هاجر بعض النَوَر إلى (أميركة) وأقاموا هناك في مكان خاص بهم على طرق من المعاش أرقى من سائر نور الأرض. وقد رأستهم ملكة منهم في أوهايو سنة ١٨٨٨م اسمها متيلدا الثانية.

ديانتهم: النَوَر لا دين لهم معروف لكنهم يتظاهرون بديانة مَن يقيمون بينهم ولكنهم يجرون بعض الطقوس الدينية لموتاهم. فينقطعون عن الطعام والشراب والتدخين مدة إكراماً للميت ويحرقون كل ثيابه ويكسرون آنيته.

وقد ترجمت التوراة إلى لسانهم. واسم الجلالة عندهم (ديوُول) ويظن أنه مشتق من (ديووس) وهي (دياس) باللغة السنسكريتية ومعناها (اليوم).

وهم يحتفلون بزواجهم احتفالاً غريباً لا محل لإيراده هنا. وهم كثيرو الغيرة على نسائهم ويفاخرون بعفتهن. وبين النَوَر علامات سرية يتعارفون بها فيما بينهم وبناءً على ذلك زعم بعض كتّاب (الماسونية) أن الجمعية الماسونية نشأت معهم ولكنه قول مبني على مجرد الحدس ولا دليل على صحته[٢].

(٢) هذه المقالة عن مجلة (الهلال) المصرية المجلد الرابع والصفحة ٣٨١ - ٣٨٥ سنة ١٨٩٥ - ١٨٩٦ ببعض تصرّف وتقديم وتأخير.

نَوَر فلسطين

النَوَر في فلسطين يعملون ملاقط وقداحات وشواكيش وخواتم ومقصّات وسكاكين ومبارد من حديد وغرابيل ومناخل. ووقيدهم روث البقر (الجلّة) المجفف وهو الذي يخبزون عليه أرغفتهم. يأخذون النفايات وجلود الحيوانات الميتة ويعملون منها خيوط الغرابيل وجلود الطبول.

يصرفون الشتاء في الجولة البحرية في الخِفاض والمنصورة ودفنا (الغار) تركيبة من اليوناني. وبالصيف يطوفون كل البلدان ويخطفون الأولاد لتعليم [هم] الرقص. واشتهروا بحفر الوشم فيوشمون أبناء جلدتهم وغيرهم بأجرة خاصة.

النَوَر في حلب

يسمونهم (قرباط) ومحلتهم خاصة تسمى (محلة القرباط) خارج باب النيرب وسكانها يشتغلون المناخل والغرابل ويتجولون على طريقتهم ويعودون إلى محلتهم.

وفي دفاتر سجلاّت الحكومة العثمانية تسمى هذه المحلة (قبطيان، محلة سي) أي محلة القبطيان (الأقباط) كأنهم قدموا إليها من مصر. كما يقول الإنكليز (جبسي) أي مصري أو قبطي.

ومن وظائفهم القديمة في حلب أنهم يستدعون بواسطة الحكومة ليسحب أحدهم حبل المشنوق.

ومن أمثالهم العامية للبخيل (هو شقفة قرباطي). وإذا ماتت دابة يسلخون جلدها لعمل المناخل والغرابل والرقوق للدربكات وللطبول.

وعظام الحيوانات وخصوصاً الخيل يعملونها أمشاطاً وكذلك عظام الحيتان والأسماك من الثغور البحرية.

وفي القطر المصري من كور أسفل الأرض بمصر بلدة (قُرْبَيْط) بضم القاف وسكون الراء وفتح الباء وياء ساكنة وطاء مهملة فلعله منسوب إليها وحرِّف.

والأولى أنها منسوبة إلى جبل كربات في روسية أوروبة (راجع دائرة البستاني ٩: ٥٩٢ سرماطة) أو قرب السرب.

يقول النَوَري لغيره من الناس (يا ابن خالتي) - وينادي في القرى (غرابل مناخل).

مثل زوق النَوَر: مثل بنات الزطّ

مثل النَوَر قِلّه وبسط (أو بسط وسَوّ حال)

فلان نوري...

نَوَّر: صار كالنَوَري

مثل راقوص النَوَر: اشتهروا بالرقص على نغم الطنبور والأغاني.

اشتهروا باللصوصية ونساؤهم موصوفات بالسرقة.

النَوَر في لبنان

مارشينا (بلدة) من أملاك دير مار أنطونيوس الجديدة للرهبنة البلدية المارونية اللبنانية في كفرزنيا في الزاوية على طريق زغرتا إلى إهدن. وهناك آثار كنيسة رعائية وكانت بيوت الشركاء المسيحيين.

كانت منازل للنور ابنية عمار يرجعون إليها بعد رحلاتهم إلى ما بعد الحرب فأصبحت الآن خراباً من أملاك الدير المذكور لأنهم تركوها ولهم أكثر من مائتي سنة. يسمون نَوَر مارشينا مثل (عرب الهَيْب) و(عرب اللقلوق).

هناك يتعلمون الرقص ويعملون الغرابيل والمناخل ومرجعهم إليها. والآن فهم من يسمى باسم نور مارشينا ولكنهم متفرقون في غيرها ينسبون نفسهم إليها.

يقال هناك (حاجي تبرّ علينا مثل نَوَر مار شينا).

وارتدّ بعضهم إلى المسيحية المارونية وتسمى العيلة المهتدية (بيت كبّارة)

يسكنون في كفرزنيا الآن بهذا الاسم ومنهم راهب ماروني لبناني اسمه الأخ موسى كبَّارة من مارشينا وهم عيلة صغيرة.

وكان هؤلاء النَوَر يستخدمون في دير الجديدة وغيره رعاة مواشي وفلاحين ويقتنون السعادين والدباب وغيرها للرقص.

كان لبنان يأخذ منهم ضريبة مثل بقية السكان. وكان محصِّل هذه الضريبة من النَوَر يسمى (آغة النوَر) وهو شاترول من دير القمر في زمن بشير الكبير.

المطران نعمة الله الدحداح تبنى نورياً صبيّاً ليتعلّم لغة النوَر.

حوش الأمراء قرب زحلة على طريق بيروت يسمّى حوش النوَرَ لأنهم يخيّمون فيه.

الريّس قدور النوري أثري وكانت منطقته في بعلبك والبقاع ومن أقواله (لولا الاسم نوري لحط ميرتا من القاع للبقاع).

النَوَر في أوروبة

يقال إن الجنكانه Tsiganes وجدوا في أوروبة قبل الزمان الذي يظنه الناس بكثير وهم يقولون بأن الجنكانة كانوا معروفين إذ ذاك باسم سيجينه Sigynes وهم الذين ذكرهم هيرودتوس المؤرخ اليوناني في تاريخه، أو سيجنَّة Siginnes استرابون وأبولونيوس.

هيرودوتوس وأبولونيوس يجعلان هؤلاء الأقوام على ضفتي الطونة (الدانوب) وكان استرابون يعتبرهم من سكان القبق.

ولكن الكتبة الحديثين يقولون أنه استطار ذكر الجنكانه في أوروبة في نحو القرن الخامس عشر لكنه الآن أكثر من قبل على أثر فتوحات الترك الذين ضيقوا عليهم ففرقتهم حوادث القرون الوسطى فانتشروا هناك ولا سيما في بلاد المجر والأقطار الصقلبية وما يجاورها.

واتصلوا ببلاد الإنكليز وعرفوا باسم جِبْسي أي مصريين. وجاءت جالية

منهم باريس سنة ١٤٢٧ وعددهم ١٢٠ نورياً مدعين أنهم من نصارى مصر ووصفهم كاتب إفرنسي (المشرق ٥: ١٠٨٢).

وذكرهم البابا بيوس الثاني (المتوفى ١٤٦٤م.) فقال: «إنهم قوم من أهل التلصص والتطواف والتجوال في الأقطار الأوروبية واسمهم الجنكانة وإنهم من قبيلة من زوخوري أي جبال القبق» انتهى.

وضع الارشيدوك النمساوي معجماً للغة النوَرَ

في الأندلس بلاد البشكنس في (تاريخ الأندلس) للأمير شكيب [ارسلان] (١: ٣٢١) والبشكنس أشبه بالنَوَر في كثير من عاداتهم. راجع ذلك.

وأخبرني صديقي الأمير شكيب أرسلان لما زارني بزحلة يوم الخميس في ٢٧ ت١ سنة ١٩٣٧ أنه شاهد بقايا النَوَر أو الجِتان في غرناطة يسكنون المغاور قرب قصر الحمرا بغاية البساطة أشبه بنور بلادنا.

النَوَر في رومانية عن لسان أميل جورج مرقده الدمشقي صديقي في آخر أيلول ١٩٤٦. اسمهم بالرومانية (Tigani للجمع) (تسيكان) وباللغة الفرنسية Tsigan وهم ثلاث طبقات:

١ ـ من يبيعون الزهور منهم.

٢ ـ من يهتم بالموسيقى على آلات البلاد والنساء معهم تغنّي.

٣ ـ صناعة تبييض النحاس وغير ذلك من الصناعات ولا سيما السنكرة. السرقة عامة فيهم والتنجيم أيضاً.

ضيا باشا: من قصيدة تركية له من ترجيع (بصيحة) وهي بمثابة القصيدة التي نظمها (منيب باشا) وسماها (تركيب بَن). وقصيدة ضيا باشا بوصف النَوَر قال منها:

شَجَاعَتْ عَرَضْ ابن ركن ترد قبطي   سـرقـتـن سُـويـكـر

تعريبه: متى أراد النَوَري إظهار التفاخر بشجاعته تحدث عن سرقاته.

في الأستانة يسمون النَوَر (جنكانه) مركّبة من چنك (تشنك) أي الفتيشات التي ينقر عليها بالأصابع (فارسية) وهي (صنوج صغيرة). كلمة فارسية بمعنى (أهل الفقيشات أو الجديرون بالفقيشات).

قبطي Gypsie أخذها الافرنج. (زيكان) فارسية. بلاد النَوَر في لاهستان أي (اللاه) من الفلاح والبغدان (جنكار).

في المجر موسيقى مهمة تسمى موسيقى الزيكان أي (النَوَر). **في بودابست** يعزفها أهل المجر متقلّدين بها النَوَر ويتخذون لها محلاً خاصاً.

في ڤيينا قصر (شوميرون) الصيفي للملك، في قاعة الرقص منه محلان كمنبرين لنوعين من الموسيقى (زيكان) موسيقى النَوَر و(موسيقى النمسة) المختصة بسكانها.

وفي زوريخ من سويسرة وهذه القرية أو المدينة أكبر من عاصمتها (بَرْن). فزوريخ مشهورة بوجود (لجنة زنكان) للموسيقى النَوَرية يتقلدونها.

في بخارست محل (بنوراما) لكشف مناظر البلاد واستشرافها والرحالة فيها مثل النَوَر وغيرهم. وهي عرض صور لذلك.

زعيمهم: ينتخبونه انتخاباً ويذعنون لأمره حيثما كانوا وأينما رحلوا. وله أسماء مختلفة وهو يتميز بضخامة جسمه وحسن لباسه وكثرة تيقظه وعلى كتفه درّة طويلة (سوط) وهو يقاسم مرؤوسيه حصة من كل ما يسرقه ويضرب بدرته من لا يحسن إخفاء السرقة.

(١) السيد أو الشيخ في العراق.

(٢) أبو ناعسة في سورية. وهي تصحيف (ناعصة) بمعنى الأعوان والأنصار فيريدون بهذه الكنية صاحبهم ورئيسهم.

(٣) الويوود (Voïvade, Voyvade) كلمة صقلبية الأصل بمعنى «الحاكم والآمر والرئيس والمقدم والشيخ» وهو اسمه في أوروبة.

(٤) الشاه، الرئيس الأعظم في بلاد فارس، تعنو له جميع زعماء العصائب.

(٥) الملك، في بلاد العرب، يعنو له الزعماء كلهم.

(٦) الملك، عند الأوروبيين بلغاتهم.

وقد يكون الرئيس أو الملك من الإناث إذا كانت المرأة تجمع في نفسها جميع الخصال المطلوبة ممن تلقى إليه مقاليد الرئاسة.

ملوكهم وملكاتهم: نَوَر الإنكليز بايعوا امرأة سمّوها الملكة (استيرفآا) سنة ١٨٨٨.

نَوَر أميركا في أوهايو أقاموا عليهم ملكة باسم (مايتلده الثانية) سنة ١٨٦٠.

وفي أدنبرج (انكلترة) نصبوا ملكهم (جورج سمث) فاعترض على لائحة وضعتها الحكومة الإنكليزية سنة ١٨٩١ مما يدل على أن الحكومة أعطتهم امتيازات ومنحاً حتى تجاسر هذا الملك على المعارضة. وعند الإنكليز منتدىً أدبي للنَوَر اسمه (منتدى التهذيب النَوَري) أسّس سنة ١٨٨٨ جريدة سياسية ينشرون فيها أخبار قومهم.

النَوَر في روسية

كان بوشكين الشاعر الروسي يعشق (النَوَر) ومعجباً بمنظر نسائهم وينظم بالروسية قصائد كثيرة في وصفهم. وفي رومانية ٣ طبقات (العليا) المغنّون على الآلات (الثانية) بائعات الزهور (الثالثة) أرباب المهن الصغيرة واللصوصية (تْسِيِنكان) اسم النَوَر بالرومانية وهو اسم الموسيقى التي نسمعها في المذياع (Tigani) (Tsigani) t.

صناعات النَوَر في الشرق والغرب

من صناعاتهم التي تكاد تكون عامة بين جميع ساسانيي المشرق والمغرب النظر في الفال والزجر والنجوم والعيافة والقيافة وتطبيب الخيل (البيطرة) بتعليق

رقى أو تعاويذ عليها. ونساؤهم يبعن جعاجر (جمع جُعْجرَة وهي ما يتخذ من العجين كالتماثيل تجفف في الهواء وتجعل في الرُبّ إذا طبخ) ويقلن لمن يشتري هذه الجعاجر إن آكلها أو حاملها يحصل على مطلوبه وبالخصوص إذا كانت الغاية تقريب شخص من آخر.

وكلهم يتعاطون فن التطريب والغناء والموسيقى والجولات في الأزقة والشوارع وموافاة القرى لحمل النَدّادين [المجتمعين في النوادي أو أصحاب الصوت الحسن] على الأنس واللهو والرقص وفي أغلب الأحايين يكون في أيديهم آلة من آلات العزف والغناء. وهم على جانب عظيم من الشعور بهزة الطرب وتذوق الألحان واكتناه دقائق أنغامها وألحانها حتى يقال إن عدداً غفيراً منهم بلغوا شأواً بعيداً من الغناء والتطريب والتلحين. وأصوات نسائهم شجية حسنة.

وهم جميعهم رُحّل لا يحبون الإقامة في موطن واحد طول السنة بل يتطوّحون في البلاد ويأخذون معهم جميع مقتنياتهم وهي عبارة عن أحلاس وخرق رثة وأدوات مبتذلة. إلّا أنه قد شذّ عن هذه القاعدة بعض ساسانيي الروس فإن منهم من بنى المنازل الفاخرة وشاد القصور العامرة واقتنى الخيل الكريمة العتيقة وركب العجلات الجميلة الأنيقة حتى أنهم لا يُعرفون بشيء عن الروس الأهليين أو الأجانب المتوطنين (مشرق ٥: ١٠٨٠).

صناعات قبائلهم

أشغال بني ساسان (مشرق ٥: ١٠٧٩) باختلاف الأوطان والبلدان والقبائل هي:

صناعات الفَرَج: المناخل والغرابيل وتربية الحمير.

صناعات المطربة: السيوف والخناجر والسكاكين ومنهم صياقلة وحدادون ومصلحو أدوات حديدية وبينهم مبيّضون للأواني بالقصدير.

صناعات الجنكانة: الحدادة والنجارة والصيقلة وعمل الكُبْن (الكُبْنة أو الجبنة رداء من اللَبَد).

صناعات الكاولية: في أطراف زاخو من بني جميع بني ساسان حبُّ الزراعة (وأهم زراعتهم الحبوب والتبغ) وتربية المواشي والدجاج.

و(كاولية العراق وبلاد العرب) عمل المناخل والغرابيل والأخبية وفتل الحبال وحياكة (ضفر) الحصر وتبييض الأواني وقد يوجد بينهم حدادون ونجارون.

جميع ساسانية بلاد فارس على اختلاف طبقاتهم يصنعون المناخل والأدوات الحديدية الخشنة وبعضهم يربي بعض الماشية.

نَوَر بلاد الشام وغجر الديار المصرية يعرفون بعض الصناعات كالمناخل والغرابيل ولهم إلمام بالبيطرة.

ساسانية أوروبة (في بلاد المجر) الحدادون وتربية الماشية وتجارة الخيل (لهم حِيَلٌ بإخفاء عيوبها عن المشترين) وكثيرون يحسنون النجارة والخراطة ويكرهون جداً الحراثة والزراعة.

وفي ترنسلفانية والفلاخ والبغدان، يتخذهم الوطنيون [أهل البلاد] لغسل الذهب وتنظيفه.

وفي اسبانية، لبعضهم فنادق وأتواء (محل الضيوف) ومطاعم يكثر ربحهم منها - ويكثر انتشارهم في قسطيلية وأرغونة والمنشأ واسترامادورة. وبالخصوص في الأندلس فهم يعدون بالآلاف. وفي سرقسطة يقيم ملك (الجيتان) وهم ينتخبونه انتخاباً. ويزدحمون في بعض محلات بلنسية ومرسية وربض تريانة وإشبيلية ونواحي باب الطين في قادس.

ساسانية الشرق: يكثرون في موسكو وخصوصاً ما وراء نهر موسكو. - وحافظ نَوَر الروس كل المحافظة على هيئة وأخلاق نَوَر الأندلس أكثر من مشابهتهم بالملامح وتقاطيع الوجه. ونَوَر الروس قبائل باسم طابور ينتخبون رئيساً عليهم وأهم أشغالهم تجارة الخيل وبيع الأمتعة في البيوت والأسواق.

ومن صناعاتهم أيضاً

الحديد: مهروا بهذه الصناعة لأنهم نشأوا في آسية الصغرى حيث اشتهرت صناعة الحديد.

الصحون والملاعق الخشبية.

الشحاذة: بحِيَل كعَصْب الرأس دليل المرض والتمارض بحيل غريبة وحمل اليد أو الرجل المقطوعة وطَلب الحَسَنَة.

الغرابيل والمناخل.

اقتناء الكلاب: لحماية المخيّم ولاصطياد الدجاج والأوز والدواجن.

الموسيقى: شرقية الأسلوب في آلاتها وألحانها يضربون على الطنبور والربابة.

وفي ديوان الفردوسي الشاعر الفارسي أن الملك بهرام استقدم إليه من الهند عشرة آلاف (لوري) أي موسيقي ووهبهم ثيراناً وحميراً وحبوباً ليتخذ منهم مزارعين فاستهلكوا كل شيء وعادوا إلى طوافهم العالم كالذئاب الضارية الشاردة.

السنكرة: أي لحم التنك. ولعل هذه الكلمة من اسمهم (شنكاري) فقيل (سنكري).

صك النقود: وتزييفها أو أخذ الزيوف لصرفها وهم ماهرون بذلك كل المهارة.

العرافة: يأتون فيها بالعجائب وأنواع السحر وأساليب الخداع إما بأصداف يديرونها في أكفهم ويرمونها وإما بأنواع أخرى.

اللصوصية: بجميع أنواعها من سلب واختلاس وخرابة (سرقة الدواب) يتدربون عليها هم وأولادهم منذ الصغر فيبرعون فيها كل البراعة فيفضلون سرقة الأثواب والحلى والنقود والدواب والأطعام.

تجارة الخيل: يقتنونها لجر العجلات ويتّجرون ببيعها إذا ربّوها أو ابتاعوها.

عمل الخيام من الشَعر: لأنهم لا يسكنون البيوت الحجرية أبداً ويفضلون الخلاء ومعيشة البداوة.

عمل عجلات صغيرة: لنقل آلاتهم وأدواتهم.

اقتناء الحمير: لنقل أمتعتهم وركوبها وهم يربّونها.

تسمية النَوَر أنفسهم

في كل بلد ينتحلون اسماً لهم بحسب أهوائهم فأحياناً (فراعنة) وطوراً (سنديين) وتارة (زنكاليين) وهي هندية قديمة بمعنى سود الهنود.

ويقسمون باسم كوله (Kola) بمعنى العبد الأسود والسِنْت Sinte تصحيف السند.

واسمهم عند الفرس (سياه هندو) أي الهنود السود.

وخراجي Kharatchis وكَلْبرْساذ Calboursar وتاچكو Tatchgoux في أنحاء أصفهان.

من أسماء النَوَر

اسم فرنسي: Bohémien (بوهيميان).

تركي: جنكان ـ چه چي.

إيطالي: Zingaro (زنكارو).

عربي: قرباتي ـ نَوَري ـ غجري.

برتغالي: Bohemio.

حلب: قرباطي نسبة إلى جبال قرباط أو كربات.

سورية: نَوَر.

العراق: الكاولية.

مصر: غَجَر.

بلاد فارس وتركستان: زنجاري.

القُفس أو القُفْص: عند العرب.

روسية: زيجاني.

ألمانية: زيجونَر Zigeuner.

إسبانية: جيتانوس.

إيطالية: زنجاني. والجيم في هذه الأسماء تلفظ كافاً فارسية. وربما اشتقت هذه الأسماء من أصل واحد ربما كان (زنكالي) لأنهم يسمون أنفسهم به أحياناً.

و(زنكالي) لفظ هندي قديم معناه (سود الهند) أو السند. وهو ينطبق عليهم لسوادهم.

ومنهم من سمي العِلج (ج) علوج وهو القوي الضخم من الرجال أو الشديد القوي من الرجال المعالج للأمور ويجمع على إعلاج أيضاً وقد غلب استعماله للغليظ السمج.

قال الكلبي: علوج مصر القبط ـ وعلوج الشام جراجمة ـ وعلوج الجزيرة جلامقة ـ وعلوج السواد نبط ـ وعلوج السِند سبابجة (أو سبامجة أو سبايجة) وعلوج عمان المَزُون (المرور) ـ وعلوج اليمن ساموران (عن كتاب البلدان للهمذاني المعروف بابن الفقيه، طبع ليون، الصفحة ٣٥).

يترجح من مراجعة لغة (النَوَر) أنهم من سكان الهند هاجروا منها على أثر ثورة نشبت فيها. فجاؤوا بلاد فارس والرمينية ثم تفرق شملهم. ولغتهم كلها كلمات أعجمية هندية وفارسية وأرمنية وعربية عامية وليس فيها كلمات عربية فصحى مما يدل على أنهم لم يخالطوا سكان بلاد العرب في أول هجرتهم. فجاء بعضهم إلى القسطنطينية بين ١١٠٠ و١٢٠٠ مسيحية. ورحل آخرون إلى أفريقية ورحل من مصر بعضهم أولاً إلى جرمانية سنة ١٤١٧ م. ويزعم بعض المؤرخين أن هذه الفئة شخصت إلى رومية طالبة العفو عنهم لعدم عطفهم على

يوسف النجار والعذراء مريم حينما كانا في مصر وهو خرافة. وبقي قسم في سورية.

وكانوا يطوفون أوروبة مشاة وفرساناً وآخرون على مركبات نقل وفي مقدمتهم زعيم يلقب باسم (كونت). وكانوا كعادتهم يشتغلون بالتنجيم ومعرفة الغَيب (بورق اللعب) الذي كانوا يستطلعون منه الأخبار برموزه. فكانوا أول من نشر هذه الأوراق في أوروبة. ويظن أنهم جلبوا ورق اللعب من أرمينية ثم من إيطالية حيث عرف قبل سنة ١٤١٦م. وكانوا غريبين في جميع شؤونهم أي بهيآتهم وأزيائهم وأخلاقهم وأعمالهم ولغتهم حيثما حلُّوا لا يتخلقون بأخلاق البلاد ولا يميلون إلى التحضر والصناعات الوطنية بل بقوا على عاداتهم في كل مكان يتعاطون السرقة ويمارسون الشعوذة، رغماً عما تبذله الحكومات في محاولة تحضيرهم وإسكانهم في محل واحد. فكثرت شكاوى الناس منهم وصاروا يخشون شرورهم حتى أحلَّ بعض الحكام الفتك بهم بالسيف والرقب (الشنق). وكان الناس يتّهمونهم باقتراف الجنايات عند أقل شبهة فلذلك عذّب كثير منهم وهم أبرياء وقتلوا شهداء الطيش. فلغتهم واحدة حيث كانوا. ولكنهم يتعلمون لغة البلاد التي يتجولون بها للتعارف بسكانها ويتخاطبون بلغتهم الغريبة.

وديانتهم تتغير بتغيّر البلدان وسكانها حيث يقيمون فيتظاهرون بالإسلامية مع المسلمين وبالمسيحية مع المسيحيين.

وشؤونهم كيفما كانوا لا تفارق الهمجية والكسل والارتحال وحب اللهو. فمع عزلتهم وضجرهم يرقصون ويفرحون ومع فقرهم فهم مسرورون قانعون ومن أمثال عامتنا في لبنان (مثل النَوَر قلّة وبسط).

وصناعاتهم عندنا عمل المناخل والغرابيل والرقص ومعرفة الغيب والعزف على البُزُق والنفخ بالقصب والإنشاد. وفي أوروبة البيطرة والسنكرة والشعوذة بمعرفة الغيب.

في الجزء الثالث من دائرة المعارف البستانية العربية (والصفحة ٣٣٠) في

كلمة «إسبانية» ما نصُّه: «وفي اسبانية ثلاث سلائل أيضاً غير سلائل الإسبانيول وهي البسكة، والموديجارة، و(النَوَر).

أما البسكة فالمرجح أنهم من سلالة الإيبيريين القدماء ويبلغ عددهم هناك نحو ٦٥٠ ألف نفس ومنهم أكثر سكان بسكي ونوارة وقد حافظوا على القديم من عوائدهم ولغتهم واصطلاحاتهم (أطلب بسكة).

وأما الموديجارة فهم من سلالة المغاربة ويبلغ عددهم نحو ٦٠ ألف نسمة وأكثر وجودهم في غرناطة وقشتالة ولا يزال كثيرون منهم محافظين على عوائد أجدادهم.

وأما (النَوَر) فيبلغ عددهم نحو (٥٠) ألف نفس (خمسين ألف نفس) وهم منتشرون في كل إسبانيا يتكلمون بلغة غريبة مختصة بهم» (انتهى).

الزط أو النَوَر

طائفة من أهل الهند تنسب إليها الثياب الزطية تعددت أسماؤها منها في الهند الزط وفي فارس وتركستان زنجار وفي سوريا النَوَر وفي مصر الغجر وفي أوروبا الشرقية ريجان أو زنجان وفي أوروبا الغربية مجت. ويرى الفيلولوجيون أن كل هذه الأسماء متفرعة من أصل واحد زنكال (جنكلا) وهو لفظ هندي قديم معناه سُود الهند أو السِند لسُمْرة وجوههم.

هاجر بعضهم من الهند لأسباب غير معروفة وفي وقت غير محقق. ولكنهم وجِدوا في جزيرة العرب في أوائل الإسلام في موضع يقال له الخط مع قوم يلقبون السبابجة. وذكِروا وقت الردّة في البحرين وكان منهم رهط في معركة الجمل.

والمأخوذ من كلام مؤرخي العرب أنهم غلبوا على طريق البصرة بعدئذ وعاثوا فيها وقد رأسهم رجل اسمه محمد بن عثمان وقام بأمره آخر منهم اسمه سماق. فأرسل المأمون لكبته عيسى بن يزيد الجلوذي سنة ٢٠٥ ثم داود بن مسحور سنة ٢٠٦. وفي أيام المعتصم حاربهم عجيف بن عنبسة ونكّل بهم

تنكيلاً شديداً. وسنة ٢٤١ أبعدوا إلى عين زربة فاجتاحهم الروم وأذلّوا وظلوا خانعين للقوة القاهرة إلى أن لاذوا بابن بختبار سنة ٣٩٠. فلما قتل هذا لم يجدوا لهم ملجأ فأخذوا يطوفون الأرض يلتمسون رزقاً فاتخذوا لهم التكدّي مهنة ثم السرقة والاحتيال وإطراب الناس بالطبول والزمور والرقص. فسماهم البعض مطاربة أو مطربية. وبعضهم امتهن صناعة المناخل والغرابيل ورؤية البخت للحصول على القوت.

وهاجر بعضهم إلى أوروبا في أوائل القرن الثاني عشر م. إلى المانيا وتبعتهم قافلة أخرى في الرابع عشر إلى إيطاليا وسويسرا هرباً من وجه تيمورلنك. وظهرت طائفة منهم في باريس في القرن الخامس عشر فسماهم الإفرنسيون بوهيميين لأنهم قدموا إليهم عن طريق بوهيميا. ثم انتشروا في اسبانيا وروسيا وفي القرن التاسع عشر في انكلترا وأميركا، الخ.

الطبري/ ٣٠٦

وفي هذه السنة ٢١٩ وجّه المعتصم عجيف بن عنبسة في جمادى الآخرة منها لحرب الزُطّ الذين كانوا قد عاثوا في طريق البصرة فقطعوا فيه الطريق واحتملوا الغلات من البيادر بكسكر وما يليها من البصرة وأخافوا السبيل ورقب الخيل في كل سكة من سكك البرُد تركض بالأخبار. فكان الخبر يخرج من عند عجيف فَيَصل إلى المعتصم من يومه وكان الذي يتولى النفقة على عجيف من قبل المعتصم محمد بن منصور كاتب إبرهيم بن البختري. فلما صار عجيف إلى واسط ضرب عسكره بقرية أسفل واسط يقال لها الصافية في خمسة آلاف رجل. وصار عجيف إلى نهر يحمل من دجلة يقال له بردودا فلم يزل مقيماً عليه حتى سدّه. وقيل إن عجيفاً إنما ضرب عسكره بقرية أسفل واسط يقال لها نجيداً. ووجه هارون بن نعيم بن الوضاح القائد الخراساني إلى موضع يقال له الصافية في خمسة آلاف رجل. ومضى عجيف في خمسة آلاف إلى بردودا فأقام عليه حتى سدّه وسدّ أنهاراً أخر كانوا يدخلون منها ويخرجون. فحصرهم من كل وجه. وكان من الأنهار التي سدّها عجيف نهر يقال له العروس. فلما أخذ عليهم طرقهم حاربهم وأسر منهم خمسماية رجل وقتل منهم في المعركة ثلثماية

رجل. فضرب أعناق الأسرى وبعث برؤوس جميعهم إلى باب المعتصم. ثم أقام عجيف بإزاء الزط خمسة عشر يوماً فظفر منهم بخلق كثير. وكان رئيس الزط رجلاً يقال له محمد بن عثمان وكان صاحب أمره والقائم بالحرب سماق ومكث عجيف يقاتلهم فيما قيل تسعة أشهر.

الطبري ١٠/٣٠٦

سنة ٢٢٠ فمن ذلك (من الأحداث) ما كان من دخول عجيف بالزط بغداد وقهره إياهم حتى طلبوا الأمان فآمنهم فخرجوا إليه في ذي الحجة سنة ٢١٩ على أنهم آمنون على دمائهم وأموالهم. وكانت عدتهم فيما ذكر سبعة وعشرين ألفاً المقاتلة منهم اثنا عشر ألفاً. وأحصاهم عجيف سبعة وعشرين ألف إنسان بين رجل وامرأة وصبي ثم جعلهم في السفن وأقبل بهم حتى نزل الزعفرانية فأعطى أصحابه دينارين جائزة وأقام بها يوماً وعبّاهم في زواريقهم على هيئتهم في الحرب معهم البوقات حتى دخل بهم بغداد يوم عاشوراء سنة ٢٢٠ والمعتصم بالشماسية في سفينة يقال لها الزَّوُّ حتى مرّ بهم الزط على تعبئتهم ينفخون بالبوقات. فكان أولهم بالقفص وآخرهم بحذاء الشماسية. وأقاموا في سفنهم ثلاثة أيام ثم غرَّبهم إلى الجانب الشرقي فدفعوا إلى بشر بن السميدع فذهب بهم إلى خانقين ثم نقلوا إلى الثغر إلى عين زربة فأغارت عليهم الروم فاجتاحوهم فلم يفلت منهم أحد فقال شاعرهم:

يا أهل بغداد موتوا دام غيظكم	**شوقاً إلى تمر برنيّ وسُهريز**
نحن الذين ضربناكم مجاهرة	**قسراً وسقناكم سوق المعاجيز**

الطبري ص/٢٥٧

وفيها سنة ٢٠٥ ولى المأمون عيسى بن يزيد الجلودي محاربة الزط.

الطبري ص/٢٥٨

وسنة ٢٠٦ منها كان فيها من ذلك تولية المأمون داود بن ماسجور محاربة الزط وأعمال البصرة وكورة دجلة واليمامة والبحرين.

الطبري ١١ ـ ٥١

وفيها (سنة ٢٤١) أغارت الروم على عين زربة فأسرت من كان بها من الزط مع نسائهم وذراريهم وجواميسهم وبقرهم.

ابن خلدون ٣/ ٢٥٧

جنكانه

هو قوم منتشر في أكثر جهات آسيا الغربية وفي كل جهة من أوروبا. وإذ ليس لهم مملكة ولا قصبة (بلدة) خاصة بهم حتى ولا قرية يختلطون أينما وجدوا مع جميع الناس فيؤلفون في بعض المدن والبلاد والقرى محلات منفصلة. وبعض منهم يعيشون في حالة (رحّل) فيطوفون ويسوحون مع خيامهم. قد كثرت الآراء واختلفت في أصل الغجر ومنشأهم وثبت أخيراً أنهم هنود بسبب اللغة التي يتكلمون بها. فلما كانوا من سكان جهات السند وملتان من بلاد الهند غلبهم وأفقرهم تيمورلنك في ابتداء القرن الخامس عشر للميلاد. فتشتتوا في أطراف الدنيا يرتادون لهم ملجأ. في رواية ثانية أنهم خرجوا من وطنهم الأصلي قبل ذلك بزمان طويل وإذ كانوا يعيشون في جهات إيران والأناضول اضطروا إلى الهرب من هناك عند خروج تيمور فدخلوا ممالك أوروبا. ومن المحتمل أيضاً أنهم لما كانوا من أدنى صنوف الأهالي فنالهم التحقير في بلاد الهند التزموا أن يهجروا وطنهم إذ لم يستطيعوا أن يحتملوا تحقير بقية الأجناس. إنهم يسمون نفوسهم (سندي) وذلك يدل على وطنهم الأصلي. وبما أنهم وصلوا إلى أكثر جهات أوروبا من مصر ظنهم الناس مصريين فسمّاهم الروم (بيفتي) والأرناؤوط (أوكيت) والإسبانيون (چيتانو) والإنكليز (چيبسي) وسائر هذه الأسماء تعني المصري. حتى أنهم إذا صدّقوا أنهم مصريون أو لافتخارهم بهذا النسب يحبون أن يسمّوا (فراعون) أو (قبطي). والغجر الذين دخلوا إلى جهات الرومللي وروسيا والمجر وچهستان (الچيك) والمانيا والدانمرك وأسوج ونروج وذلك من سواحل بحر الخزر الشمالية: اتخذوا اسم (چنكانه) أو (چيفان) نسبة إلى المملكة الكائنة هناك. وسُمّوا (تتر) في الدانيمرك وأسوج ونروج. وسُموا في

فرنسا (بوهيميان) يعني (چهلي) لأنهم عبروا إليها من جهشتان ـ أما الطليان فيسمون باسم (چيچار).

ويظن مجموع الزط نحو أربعة أو خمسة ملايين. واللغة التي يتكلمون بها قد اختلطت بكلمات كثيرة استعارتها من لغات الأمكنة التي سكنوا فيها أو اجتازوا بها. ولو أن لغة الزط في سائر البلاد قد تغيرت كثيراً أو قليلاً فلا تخلو من كونها في أصلها لغة واحدة تشبه اللغات الهندية واللغة الفارسية شبهاً كبيراً. ولو أنهم تديّنوا بدين البلاد التي وجدوا فيها فصار بعضهم مسلماً وبعضهم مسيحياً لكنهم في الأصل لم يتدينوا بدِين ما أبداً على أن لهم بعض اعتقادات غريبة.

وبما أنهم محتقرون في كل البلاد بسبب غربتهم لتعوّدهم العيش أذلاّء في وطنهم الأصلي فليس فيهم عزة نفس (إباء) ويتحملون صنوف الهوان. أما (الناموس) الشرف فلا يبالون به أبداً وقد تمهّروا باللصوصية لا سيما سرقة الحيوانات. إنهم غالباً يشتغلون بالحدادة فيصنعون الملاقط والمرافش (المجارف) وما إليها ويبيعونها. وبما أنهم عاشوا أولاً بحالة الرحّل فيعملون الغرابيل والمناخل فتبيعها نساؤهم. ومن جملة أعمالهم أن الرجال يلعّبون الدب والقرد ويدللون بالخيل والحمير، والنساء تفتح الفال.

يغلب عليهم اللون الأسمر وسَوَاد العيون وبياض الأسنان ونحافة الأجسام وضعفها. على أن فيهم أيضاً أشخاصاً ذوي شعر أشقر فاتح وعيون زرقاء. ولو أن كثيراً من بناتهم ذوات جمال وجاذبية لكن منظرهن يقبح رويداً رويداً بعد الزواج والولادة. إن للغجر ذكاء فطرياً واستعداداً وقابلية كبيرة للموسيقى خاصة ويكثر فيهم ذوو الأصوات الرخيمة. ولو أنهم حافظوا على لسانهم الأصلي في الأماكن التي اجتمعوا فيها مع العائشين في حالة البداوة فإن أكثر المتشتتين منهم نسوا لسانهم بمرور الزمان فيتكلمون بلغة الأجناس التي يعيشون بها ومع ذلك ففي أي لسان تكلموا فإن لهم صدى ولهجة خاصة تنمّ على جنسهم اهـ[3].

---

(٣) نقلت من التركية نقلاً مضبوطاً من (قاموس الأعلام) تأليف ش. سامي مج٣ ص١٨٨٠ طبعة استانبول ١٣٠٨.

في مجلة **الطبيب** البيروتية (السنة الأولى) لجنة تأليفها الشيخ إبراهيم اليازجي والدكتوران بشاره زلزل وخليل سعادة الصفحة ١٦٩ سنة ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ مقالة ممتعة في النَوَر إليك ملخصها وأداؤها بالحرف:

«هم جيل من الناس معروف لا يكاد يخلو منهم بلد ولا يستقر بهم وطن وإنما هم معاشر رحّالة يقضون دهرهم في النقلة. ولا يتعاطون عملاً إلّا السرقة والشعوذة وإتيان المنكرات والمخازي وحيثما نزلوا اعتزلوا البيوت ومجامع الناس وألقوا أحلاسهم في اخريات البلدان وأطراف الدساكر. فيتطوفون بين المنازل سحابة يومهم يجمعون ما يتاح لهم جمعه من بيوت الغافلين وأكياس الأغرار، ثم يعودون إلى مقيلهم حتى يكشف الله ظلهم عن ذلك البلد وهو ينشد بلسان حاله:

وكنت إذا نزلتَ بدار مقام رحلتَ بخزية وتركت عارا

تسميتهم بالنَوَر مختلف فيها وربما كان نسبة إلى (نُوْرة) اسم امرأة سحّارة كما في «تاج العروس». قال «التاج» «في مادة (ن و ر) ما نصه: ونُورة بالضم اسم امرأة سحّارة... ويجوز أن يكون منه مأخذ النُوريّ بالضم وياء النسبة للمختلس. وهو شائع في العوام كأنه يخيل بفعله ويشتبه عليهم حتى يختلس شيئاً والجمع (نَوَرة) محركة. اهـ (كلام التاج).

فسموا بهذا إما من (النَوَريّ) بمعنى المختلس وإما من (نُورة) الساحرة لأن الاختلاس والسحر من شأنهم ولعل الثاني أقرب.

تاريخهم

كان أول ظهورهم في ألمانية سنة ١٤١٧ م كما ذكر منستَر. وظهروا في فرنسة وانكلترة نحو ١٤٢٧ م وبعد هذا انتشروا في سائر أقطار أوروبة وآسية وأفريقية.

قال البابا بيوس الثاني المتوفى سنة ١٤٦٤م. «إنهم قوم من أهل اللصوصية

يتطوّفون في جميع أوروبة ويسمون بالزنجاريين[٤] وأنهم من طارئة (زوخوري أي القوقاف» اهـ.

وقال بعض المؤرخين إنهم طائفة من المصريين نفاهم السلطان سليم عند فتحه البلاد المصرية لعهد المماليك سنة ١٥١٧م. فرحلوا عصائب متفرقين في كل وجه من البلاد يمخرقون [يكذبون ويلعبون لعب الصبيان] بدعوى علم الغيب والاستدلال باللمس تذرعاً إلى سلب أموال الأغرار. وهذا القول ينقضه القول أنهم دخلوا المانية سنة ١٤١٧م. والأرجح ما ذكره البابا بيوس. وذكر (بسكياي) خرافة عنهم بعيدة عن التصديق.

وقال آخرون إن النَوَر من مجوس الفرس أو من يزبكيتهم (كما في الحاشية أدناه).

وقال (غَرَلْمَن) ولعله الرأي الأشبه: أن أصلهم من هندستان لما وجد من الموافقة بين لسانهم والهندية مما بيّنه بكتاب مخصوص. وأنهم فرقة من (الباريّاس) وهم قوم من خشارة الهند وسَفَلَتهم: ويقال لهم أيضاً (الخَنْدَلاس).

وذكرهم (بولياي) بما محصله:

«إنهم عصابة من نفاية الهند يتألفون فرقة مخصوصة قد اجتمع إليها كل شقي الحظ مستبيح الشرائع الدينية والمدنية. فأجمعت سكان الهند على مناصبتهم وطردهم حتى أعياهم المقام في داخل المدن ومحارفة أهلها لأنهم صاروا يتقذرون من مجرّد لمسهم» اهـ.

وهذا القول يصدق عليهم وهو من جملة ما استظهر به (غَرَلْمن) المذكور برأيه فيهم. ذهب إلى أن سبب انتشارهم في البلاد فرارهم من وجه تيمورلنك حين غزا الهند سنة ١٤٠٨ و١٤٠٩. وهو يوافق ما ذكره (منستر) وغيره كما تقدم. لكن الذي ذكره غيره من المؤرخين: أن تيمورلنك قُبض قبل هذا التاريخ وأن غزوته لدلحي (لدلهي) كانت سنة ١٣٩٨ والفرق بين الروايتين قريب.

(٤) قال بعض المؤرخين أنهم من يزبكية (المجوس) خرجوا من (زنجيتانيا) أي بلاد البربر فسموا باسم (الزنجاريين).

و(النَوَر) يكتمون نسَبهم ولغتهم وكل أمورهم شأن كل جماعة فشا بُغضها بين الناس ودأبت في اختلاس أموالهم وأكل أرزاقهم. فإذا استنسبوا سموا أنفسهم تارة (بالسنديين) نسبة إلى السند في الهند وطوراً بالفراعنة. ولعل هذا ما حمل بعضهم على تسميتهم بالمصريين. ومرة يسمون بالروم وهي كلمة قبطية بمعنى الإنسان. والإنكليز يسمونهم بالمصريين كما سبقت الإشارة إليهم وإلى غيرهم ممن سموهم.

«ورأى العلماء أن طبائع النَوَر وملامحهم واحدة لعدم امتزاجهم بغيرهم وهم غالباً ضئال مهازيل ولكنهم صحاح الأبدان أشدّاء نشطاء. وأوجههم إلى الطول وبشرتهم سمراء ومنها نحاسية وأسنانهم ناصعة البياض وشفاههم ياقوتية ووجناتهم شاخصة وأنوفهم قعواء وعيونهم سوداء في الغالب وشعورهم طويلة خشنة بلون الأبنوس».

«وأخلاقهم في منتهى القبح. فهُم محتالون غدارون لا يرعون خليلاً ولا يعرفون جميلاً جبناء إذا خافوا مصلفون إذا أمنوا شديدو الأحقاد إذا أسخطوا فاحشو الانتقام إذا مُكّنوا. وآدابهم مجمع الفساد فهم جامعون بين خلتي السكر والبطالة ولا يتجه لهم عمل إلّا إذا أعوزهم بعض دريهمات يتابعون بها ما يشربون. فيتعاطى بعضهم الحدادة والآخرون النجارة أو الخراطة ثم لا يلبثون أن يعودوا إلى تطوحهم في البلاد فينقلون معهم كل ما يملكون وإن هو إلّا بعض آلات وخرق بالية. وبعضهم يشتغلون بالموسيقى حتى يقال إن منهم من أتقنوها. فيجوبون القرى ويرقّصون الفلاحين. وفتياتهم يرتزقن من الفجور والرقص. والعجائز يتنبأن عن البخت ويبعن حروزاً مصنوعة من فطير العجين ينقشن عليها صوراً شنيعة ويجففنها في الهواء وكلهم رجالاً ونساء يدخلون البيوت بطرق مختلفة ويسرقون كل ما يقع في أيديهم».

ولا دِين لهم بل يتظاهرون بدِين كل بلد يدخلونها وليس في لسانهم كلمة تعبِّر عن الله ولا عن النفس. وليس عندهم من ألفاظ العدد إلّا من الواحد إلى السبعة وفوق السبعة يستعيرونه من لغة أخرى.

ولكل عصابة منهم رئيس يسمونه (بالوَيْوُود) (أبو ناعسة عندنا) يتميز عنهم بأنه أعظمهم جثة وأفضلهم لباساً ويجعل على كتفيه سوطاً (كرباجاً) طويلاً. وله حظ مما يسرقونه ويضرب بسوطه من لا يحسن تخبئة سرقته.

ويكرهون سكنى البيوت. ومع اجتهاد حكومة المانية بتحضيرهم لا يزالون تائهين رحالة. ولكن منهم قليل يحرثون الأرض في ناحية من المجار.

ولذلك تجتهد الحكومات بطردهم لأنهم بين مستعطٍ ولص وسكّير ومشعوذ فلا فائدة منهم بل يفسدون آداب الأمة. وذكر (غرلمن) أن الحكومات نفتهم. فنفوا من إسبانية سنة ١٥٩١ ومن فرنسة سنة ١٥٦٠ ومن انكلترة سنة ١٥٣٠ على عهد هنري الثامن ثم على عهد ابنته إليصابات.

وذكر بعضهم أن عددهم في أوروبة (١٨٨٥م.) يبلغ نحو سبع مائة ألف نفس. ففي انكلترة منهم ١٨ ألفاً وليس منهم أحد في فرنسة. وباقيهم متفرقون بين المملكة العثمانية والمجر وشمالي روسية. انتهى بتلخيص وتصرُّف.

فهم قبائل رحَّل لا يستقر بهم مقام كأن الشاعر عناهم بقوله:

أواناً في بيوت البدو رحلي ... وآونة على قتد البعير

وهم من بني ساسان القدماء في بلاد فارس.

وساسان جدّ دولة الطبقة الرابعة من ملوك الفرس التي عرفت (بالساسانية). فساسان الأصغر هو ابن بابك بن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان الأكبر ابن كي بهمن الملك. ومن سلالته أردشير بن بابك. وفي كتب الإفرنج أرتكرس Artaxerce المعروف بارتحشتا وهو أردشير بهمن بن اسنديار بن كيستاسب أوهيستاسبوس.

وقال ابن خلدون: إن ساسان الأكبر جد أردشير هذا كان قد فرّ مغضباً عن أبيه إلى اصطخر وتولى هناك رعي ماشيته بنفسه لأنه كان مرشحاً للمُلك ولم يملّكه أبوه. وقال أعداؤه أنه نغلٌ وُلِد من اختلاط زوجة دباغ بجندي. وكان

اسم الدباغ بابك فنسب أردشير إليه. واسم الجندي ساسان وإليه نسب أخيراً الساسانيون. وعلى كل الأقوال إن أردشير هو مؤسس الدولة الساسانية من الفرس وجدّها ورأسها وهي الطبقة الرابعة من ملوكهم ابتدأ ملكه سنة ٢٢٦ م. وله أخبار فصّلها المؤرخون (راجع كلمة أردشير في دائرة المعارف العربية (٣: ٢٨) وكلمة ساسان في الدائرة المذكورة (٩: ٣٧٨). وذكر قبل جد أردشير هذا في كتب العرب اثنان باسم ساسان أحدهما ساسان الأوسط والآخر ساسان الأكبر (ذكره ابن الأثير وغيره). وانتهت ملكية الساسانيين سنة ٦٥١ م فكانت مدتها نحو ٤٢٥ سنة. وكان منهم فئة تحب الطرب واللهو فتحتجب عن الندماء يضربون ستارة على بعد ١٠ أذرع منهم وبينها وبين مجلس أول رتبة من خواصهم ١٠ أذرع أيضاً والموكل بالستارة من أبناء الأساورة ولقبه عندهم (خُرَّم باشا). وفي أيام جلوسهم للهو والطرب يأخذ الندماء مراتبهم خافتين أصواتهم غير مشيرين بشيء من جوارحهم حتى يطلع الخرَّم باشا ويقول غَنِّ يا فلان كذا وكذا واضرب يا فلان كذا وكذا ولهم مصطلحات كثيرة.

ولهم أسماء مختلفة باختلاف البلدان. ففي لبنان وسورية باسم (النَّوَر) واحدها (نَوَري) بالعامية في جميع بلاد الشام. وفي دمشق اسمهم (الزطّ) Zutt وهي معرَّب (جت) طائفة من أهل الهند تنسب إليها الثياب الزطّية. ويسميهم البعض (المطربية) لأن مهنتهم التطريب بالطبول والزمور والرقص. ولهم حوادث قضت بتفريقهم. قال ابن خلدون: هم قوم من أخلاط الناس غلبوا على طريق البصرة وعاثوا فيها وأفسدوا البلاد فحاربهم المعتصم وقتل منهم في معركة ٣٠٠ وأسر ٥٠٠. وفي (القاموس): الزُطّ بالضَمّ: جيل من الناس يظن أن أصلهم من نواحي السند يمتهنون في بلادنا العمل بالشعر يرملون مناخل وغرابيل ويعرفون عندنا وفي أوروبة بالسرقة (الواحد زطّي) ولعل اسمهم من جَلَبَتِهم لأن معنى (زطّ الذباب) صَوّت. ويقول سكان الشام يا زطّي وفلان زطيء أي دنيء لئيم وهو شَتْم.

وفي (مسالك الممالك) للاصطخري الكرخي طبع بريل (ليدن) سنة ١٨٧٠ صفحة ١٨٠ ما نصُّه عند كلامه عن بلاد السند: وأما مكران فإن الغالب عليها

البوادي والمباخس وهي قليلة الأنهار جداً [؟]. ولهم ما بين (المنصورة) و(مكران) مياه من هُران كالبطائح عليها طائفة من (السند) يعرفون (بالزُّط). فمن قارب منهم هذا الماء فهم في إخصاص. وطعامهم السمك وطير الماء في جملة ما يتغذون به. ومَن بَعُد منهم في البراري فهم مثل (الأكراد).

وفي الاصطخري ص/١٧٢ و١٧٥: أنّري من بلاد السند لعل منها اسم (النَوَري) وأنّري وقانّري هما شرقي مهران. وفي الأصطخري ص/١٧٦ الطوران من السند. ولسانهم في ص/١٧٧ .

ويمكن أن يكون اسم (النَوَر) مأخوذاً من معاني الوشم ودهن الجسم للزينة والهرب من بلادهم لأن معنى نَوَّر وَشَم، وتنوَّر وانتار دَهَنَ جسده بالدهان والنُورة، ونار وتنَوَّر هرب أو أركن إلى الفرار. أو من عبادة النار لأنهم صابئة أو النُور، ونوَّر القوم صاروا كالنَوَر وتخلقوا بأخلاقهم.

وفي العراق (الكاولي).

وفي حلب (القرباتية) إلى جبال كربات. و(القَرَج) لعلها تحريف (غَجَر) ولا سيما في دير الزور وجهامة.

وفي مصر (الغجري) واحدة (الغجر) باللغة العصرية. والغجر قوم من العرب حفاة يسكنون الحولة ونواحي الأردن في فلسطين، الواحد غجريّ يضرب بهم المثل عندنا بالغلاظة والفظاظة فيقولون هو غجري.

وفي اليمن (الدوشنة) جمع الدوشن(٥) les daushanas.

---

(٥) قالت مجلة (لغة العرب) البغدادية (٦: ٥٧٤) ما نصه: «ومن غريب أمر الدوشنة في اليمن المناداة بأمر الإمام وحث الناس على الجهاد وتولي الخطابة في خارج الجوامع. وهذه المهنة عند اليمانيين من الشؤون الشائنة في نظرهم. يذهب (الدوشن) إلى السوق حيث تجتمع الأناس من قبائل مختلفة للبيع والشراء. فيعتلي يفاعاً أو موضعاً مرتفعاً ولو قليلاً. فيخطب في الناس بذلاقة لسان وسهولة تعبير ويرغبهم في ما يدعو إليه. كما يحذرهم مما لا يطيب لهم. والأسواق في اليمن تقوم مرة واحدة في الأسبوع وفي كل مرة يكون المجتمع في غير المكان الذي كانت فيه السوق في اليوم السابق. (فسوق الخميس) في غير موطن (سوق الجمعة) =

وفي روسية (تْسِيكان) وشاعرهم الكبير بوشكين نظم ملحمة شعرية في النَوَر ويصف فيها حياتهم البدوية. أو زيكاني Zigani.

وفي فرنسة (البوهيميان) Bohémien لأنهم جاؤوا إليهم من نواحي بوهيميه في النمسا وVagabond.

وفي انكلترة (المصريون) تجبسي Gypsies تحريف Egyptians لأنهم قدموا إليهم من مصر كما رأوا.

وفي السويد (أسوج) (التتر) وكذلك في الدنيمارك.

وفي اسبانية (جيتانوس) نسبة إلى (جتّ) قبيلتهم الفارسية فقربت (الزِطّ).

وفي إيطالية (الزنجاريون) أو الزنكاريون Zingari.

وفي تركية (الزنجاريون).

وفي المانية (الزغوان) زيكونر أو جيكان Ziganes, Zignener.

(السند) مديرية من ولاية بُمباي في الهند الإنكليزية (Sindh) مساحتها نحو ٥٤,٤٠٣ أميال مربعة وعدد سكانها سنة ١٨٩٨ م نحو ١,٨٠٠,٠٠٠ نفس يقطعها نهر الأندس وهو لها كالنيل لمصر يحفرون له الترع لري الأرض وفيها نباتات وحيوانات.

والسنديون سُمْرٌ طوال القامات متناسبو الأعضاء حسان الصدور نساؤهم جميلات وهم عدة بطون أشهرها الحبيثون والبلوشيون ودينهم الإسلام غالباً يدين به أربعة أخماسهم. ويوصفون بالكسل والبخل وفساد الآداب ومن صناعاتهم نَسْج الحرير الخشن والدباغة وعندهم معامل للخزف والقواطع.

= و(سوق الجمعة) في غير موطن (سوق السبت) إلى غيرها. (وللدوشن) وقوف تام على أنساب القبائل وأحوالها وتاريخها وشيوخها وأشرافها وساداتها لكثرة تردده إلى رؤسائها. فمن هذا ترى أن لهؤلاء القوم شأناً يذكر في الحركة العمرانية أو الاجتماعية اليمانية» انتهى.

ويكثر في الهند أصحاب اللهو واللحون والمعازف واللعب كما في مسالك الممالك لابن خردازبه ص/ ٧١ ومن السند مقام (الطوران) كما في ابن خردازبه ص/ ١٧٦ ولسانهم ص/ ١٧٧ .

وفي مدينة دمشق (محلة النقاشات والأشراف) إلى جنوبي القيمرية أحرقها الأتراك حيث دُور الأمويين في محلة الأشراف، وأسكنوا فيها بعض الأسر البسيطة بعد فتوح السلطان سليم العثماني. أما النقاشون الذين يسكنون هذه المحلة فقد جاؤوا منذ سبعين سنة من نواحي أدنه وهم أشبه (بالنَوَر) ويسمون (قره قورت)[٦].

وفي الأناضول بعض قبائل رحالة من العرب وجماعة من الزنغاري أي النَوَر وهم عناقشة. (دائرة المعارف العربية البستانية (٤ : ٤٣٠ سنة ١٨٨٠).

ملوك النَوَر

مرَّ بنا بعض ملكات النَوَر وملوكهم. ذُكِر في خريف سنة ١٩٣٤ في الصحف أن ملكهم ميخائيل كوبح ورعيته يعدّون بالألوف ويقيمون في رومانية. فقام رجل في تشكوسلوفاكية يدّعي العرش ويطالب بسريره واسمه رابموتد لوبنجر بانياً مُطالبته هذه على أنه سليل أقدم الغجر البوهيميين الذين نزلوا على ضفاف نهر الرين وهو يجمع أتباعه مما يؤدي إلى حرب بين غجر أوروبة. في سنة [...] أقام البوهيميون (النَوَر) (ماتياس كويك) ملكاً عليهم في أوروبة. وهذه لمحة من حياته والنزاع الثائر لأجله بين البوهيميين ولأجل خليفته. خلاصتها كما في الصحف: كان ملك النَوَر ماتياس كويك من النافخين بالمزمار مثل رصفائه وكان مقر أسرته وقبيلته في مدينة إشبيلية الإسبانية. ولكنهم نزحوا عن إشبيلية عندما خُلِعَ الملك ألفونسو الثالث عشر وأقيم النظام الجمهوري في إسبانية فنودي به ملكاً.

---

(٦) راجع كتاب (حضارة دمشق وآثارها) المخطوط الصفحة ١٠٨٦ من تأليف كاتبه عيسى اسكندر المعلوف مؤلف (تاريخ الأسر الشرقية).

ثم جرى له حادث غرامي قتل به في صيف سنة ١٩٣٧. وذلك أنه جاهر في مجلس عقدته أسرته أنه يريد طلاق امرأته المجنونة والتزوج بفتاة صبية يعشقها. فهاجمه أهل زوجته للفتك به فشهر مسدساً انطلقت منه رصاصة بغتة أصابته بدل إصابة مهاجميه فجندلته قتيلاً مخضباً بدمه. وهذا الملك المفقود فقير لأنه أرسل جميع أمواله إلى صديقه الجنرال فرنكو زعيم الثورة الإسبانية لكي يعيد الملكية إلى إسبانيا فلذلك اضطرت أسرته أن تجمع نفقات مأتمه من النَوَر.

ودفن في مقبرة كاثوليكية في ضواحي فرسوفيا واشترك في حفلة مأتمه ألوف من النَوَر البوهيميين وبينهم مَن كل من كان من أعدائه. ووضعت على صدره في التابوت شريطة حمراء عريضة. وبعد الدفن عقد النَوَر اجتماعاً للبحث فيمن يكون خلفاً للملك المقتول فحصل نزاع بين (باسيل كويك) الذي كان ينازع ماتياس العرش في حياته وبين أنصار ماتياس الذين يريدون أن ينادوا بابنه.

ويوم الإثنين في ٥ تموز ١٩٣٧ انتخب في بولونيا (جانوس كيفياك) ملك الغجر بحضور خمسة آلاف يمثلون الغجر في أوروبة وأميركة. وفي خلال الانتخاب قتل بعربدة حدثت بين المنتخبين ٤ أنفس وجرح ٣٠ من أنصار الملك الجديد. فقرر صاحب الجلالة ملك الغجر الجديد رفع مذكرة إلى عصبة الأمم يطلب فيها منح الغجر وطناً قومياً لهم في الحبشة.

ومما رواه متحدثاً مع منتدب جريدة (صوت الأحرار) (٨ تموز ١٩٣٧) الأمير محمد سليم آل القاسم، الجزائري المولد، الفرنسي التبعة، في بيروت هذا الكلام:

نحن في الحقيقة كاليهود منتشرون في مختلف أنحاء العالم ليس بيننا من رابطة إلّا رابطة اللغة التي حفظتنا إلى هذا الوقت. فالغجري مجبر منذ طفولته على تعلم لغة آبائه وأجداده وبعدئذ له الخيار في تعلم لغة القوم الذين يعيش بينهم. والغجري فقير في هذه البلاد لكنه غني في أوروبة له فيها المصارف والمعامل. ومع هذا لا يتكبرون على أبناء جنسهم ولا يتعدون عنهم.

وللغجر ملك واحد ينتخبه أشراف الغجر بأكثرية الأصوات ويعامل معاملة

الملوك وله الحق في منح الألقاب. وقد انقطعت بعد الحرب العالمية العلاقات بيننا وبين صاحب الجلالة. ولهذا لم نُدعَ إلى انتخاب الملك العتيد.

فسأله مندوب (صوت الأحرار): وماذا سيكون موقفكم من الملك الجديد؟

- لصاحب الجلالة علينا سلطة دينية ومدنية فهو مرجعنا الأعلى في الاختلافات التي تقع بين عشائر الغجر وفي الاختلافات العائلية. وحكمه مبرم يجب أن نخضع له والسلطة التي يستمدها أمراء الغجر من صاحب الجلالة قوية كسلطته فلا بد لنا من الاعتراف به والسعي لإيجاد صلات وطيدة مع مليكنا وزعمائنا في الخارج. ثم هناك ناحية ثانية خطيرة توجب علينا العناية بالحياة العائلية. (فالقانون الغجري) يحتّم علينا أن لا نصاهر غير أبناء قبائلنا وهذا القانون متّبع بدقة واهتمام في البلاد الأوروبية. أما هنا فقد رأينا بعض شبابنا وفتياتنا يشذون عن هذه القاعدة ويصاهرون غير الغجر. وهذا أمر يحرمه قانوننا تحريماً تاماً كي لا تنقرض هذه السلالة المباركة. لهذه الغاية تركت العراق وجئت إلى بيروت للعمل في هذا السبيل.

النَوَر وشؤونهم

كتب الأب انستاس الكرملي في مجلة «المشرق الخامسة» سنة ١٩٠٢ مقالات مطوّلة عن النَوَر في الصفحات ٨٥٦ و٩٣٢ و٩٦٦ و١٠٣١ و١٠٧٧. ألخّص منها ما يهم: عنوانها (إطلاع الحَضَر على أطلاع النَوَر).

(١) **الغجر**: عند أهل الجزائر وتونس ومصر - تصحيف (كوچر) Cotchar كلمة تركية بمعنى الرحّل والمهاجرين. وبالاسم التركي يسمون (النَوَر) في غربي بلاد فارس وشرقي البلاد العثمانية في آسية وبلاد الجزيرة. والبعض يقول كُچر أو كَچر وهي من الفارسية مشتقة من (كوچيدون) أي ارتحل أو هاجر لأنهم دائماً مهاجرون.

أطلقتْ هذه اللفظة على النَوَر في المائة السادسة عشرة للميلاد. في عهد الشاه عباس الكبير الصفوي في إيران المتوفى سنة ١٦٢١م. ضيّق بعض الحكام على التركمان فنزحت خمسون ألف أسرة من وطنها إلى الشاه ففرّقهم خشية

اتفاقهم وإقلاق الراحة. فأقام بعضهم في جنوب بلاد فارس على شاطئ بحر فارس صدّاً لغارات العرب. وأسكن طائفة منهم «خمسة ورومية» فجعلهم كسور حصين في وجه أعدائه. وأنزل القسم الأعظم منهم في (مازَنْدَران) ليقفوا في وجه الأزبك والتركمان والأوميد والتتار الرحّل الذين يشنون الغارات ويقطعون السبيل على المارة.

ومنذ هذا العهد أطلق عليهم خاصة اسم «قچر أو غچر أو كچر» وهي تصحيف كلمة (كوجر). وبقيت الكلمة الأخيرة لمطلق المهاجرين أو الرحّل الذين ليسوا من هؤلاء الأقوام.

ولما استقر المقام بالغجر في البلاد التي احتلوها حديثاً قسموا إلى فئتين هما (فئة الشرق) و(فئة الغرب). فسميت الفئة الأولى (يوقاري باش) أي الأعلون. والفئة الثانية (أشاغي باش) أي الأسفلون.

فأشاغي باش، أو قجر الغرب، اختلط أكثرهم بالفرس كل الاختلاط وامتزجوا بهم كل الامتزاج واتخذوا أزياءهم وملابسهم ولغتهم وتخلقوا بأخلاقهم. فأوغل قسم منهم في الرحيل حتى شرقي بلاد تركية وتنقلوا إلى أن وصلوا إلى شمالي أفريقية فتوطنوها فغلب عليهم اسم (الغجر).

واليوقاري باش، أو قجر الشرق، لم يتخذوا من الفرس إلّا لغتهم محافظين على عنصرهم وأصلهم إلى الآن قابعين في مازَنْدَران متحصنين في استراباد على بحر قزوين وجعلوها عاصمتهم تحت حكم رئيس منهم يعينه لهم الشاه.

ثم أسعدهم الحظ فبويع أحدهم بالملك فكان مؤسس دولة القجر أو القاجار على الطريقة الفارسية وهي دولة إيران سنة ١٩٠٢ فيكون الغجر من التركمان.

(٢) **النَوَر**: واحدها (نُوريّ) تصحيف (لُور) بالمبادلة بين النون واللام. وشاع اسم النَوَر في القرن الثامن للميلاد حينما تغلب العرب على بلاد اللور أو لورستان من سنة ٦٥٢ - ١٢٥٨. واشتهر اللور بتلصصهم ومكرهم ودهائهم

وشعوذتهم وسحرهم إلى غير ذلك من الأخلاق الذميمة التي حملت العرب على أن يشتقوا من لفظة (النَوَري) المصحفة من (لوري) فعل (نَوَّر) أي فَعل فِعلَ النَوَر من شعوذة واختلاس.

وأول من ذكر ذلك من العرب الأزهري (المتوفى سنة ٩٨١م) وذهب إلى أن الفعل مشتق من (نَوَرة) وأن نَوَرة هي امرأة سحّارة. وقال صاحب «التاج»: ويجوز أن يكون منه مأخذ (النَوَري) للمختلِس والجمع نَوَرة محركة. أو نَوَر وكان الأولى أن يكون الجمع (نُوْر) كرومي وروم.

(٣) **القَرَبات**: جمع قَرَباتي وهي تخفيف وتصحيف (جَرْباذقان) أو (كرباذكان) بُلَيْدة قرب همذان يكثر في ضواحيها سقطة الناس ورذالتهم. فأمر نادر شاه سنة ١٧٣٨ بطردهم فجاؤوا بلاد العثمانيين وسكنوا بنواحي حلب وعاد بعضهم إلى بلادهم وهم فيها إلى يومنا. والقربات من أصل فارسي أو يكاد يكون فارسياً لأن ساكني الضواحي لا يعرف أصلهم.

(٤) **القرج (بجيم فارسية)** هي فرقة من النَوَر مشهورة بشدة جشعها وطمعها وسرقتها وهم في أطراف الموصل وبعض جهات بغداد. وهم يدّعون أنهم من القُرشيين كما اعتاد الأدنياء أن ينتسبوا إلى الشرفاء. والصواب أنهم من (كَرَج) مدينة بين همذان وأصبهان. وهم من عنصر فارسي أو كردي.

(٥) **المُطرِبة**: اسم آخر للنَوَر في ولاية الموصل. فاسمهم عربي لميلهم إلى الطَرَب واللهو.

(٦) **جُعيدية**: الواحد جعيدي. ولعلهم منسوبون إلى رجل عربي اسمه جُعيد إما من سلالته وأما من أتباعه. وفي «محيط المحيط»: الجُعَيدي البخيل ومن كان من أوباش الناس نسبة إلى جُعيد. أو هي عامية. وقيل أن جُعيداً رجل من أهل مصر كان يطوف على الناس لابساً قلنسوة ذات أجراس وفي يده دف ينقر عليه وينشد مدائح مرتجلة يستعطي عليها. فتبعه جماعة نسبوا إليه. وفي العراق بنواحي بغداد يكون مع النَوَر مثل هؤلاء الجعيدية في الحل والترحال دأبهم الرقص والدق وإنشاد الأغاني.

(٧) **الكاوِلية**: أو الكُوَلية أو الكُوْل. الواحد منهم كاولي أو كُوَلي أو كُولي. وهي مشتقة من (كُوَل). قال في «التاج»: «كُوَل كزُخَر. والعامة تكتب كُوَار كغراب بالراء في آخره. وهكذا. هو في كتب الأنساب بلدة بفارس بينها وبين خور عشرة فراسخ، لا محلة بشيراز كما نقله الصاغاني. ويحتمل أن تكون هذه المحلة منسوبة إلى أهل هذه القرية لنزولهم فيها فهم إذن من أصل فارسي كما تقدم. إلّا أن يقال أن الكَويليه (الكَوْي) على الطريقة التركية لأن الكلمة تركية بمعنى (القرية) ومحصلها القرويون لحلولهم في ضواحي المدن الكبار أو في القرى المجاورة لها. فحينئذ يقال أنهم من أصل نشأ في بلاد الترك وربما كانوا من عنصر تركي أو غيره وقد يقال إن الكلمة تصحيف (الكول) وهي طائفة من الناس ورد ذكرها في التاريخ. قال ياقوت في مادة (المولتان): ذَكَر أهل السِيَر أن الكُول وهم شراة كفار تلك الناحية (المولتان في الهند) سبوا نسوة من المسلمين فصاحت امرأة منهم يا حجّاجاه. فبلغه ذلك فأرسل إلى داهر ملك الديبل وأمره على الغزو لهؤلاء الذين سبوا النسوة فحلف أن لا طاقة له على الذين أخذوهنّ. فاستأذن عبد الملك في غزوه فلم يأذن له. فلما ولي الوليد استأذنه فأذن له فبعث لذلك محمد بن القاسم بن أبي عقيل ابن عمّه فقتل داهر وفتح مولتان من بلاد الهند (اه).

وقال البلاذري في «فتوح البلدان» (ص ٤٣٥) برواية أخرى:

أهدى إلى الحجاج ملك جزيرة الياقوت نسوة وُلدن في بلاده مسلمات ومات آباؤهنّ وكانوا تجاراً فأراد التقرب بهنّ فعرض للسفينة التي كنّ فيها (الكُول) وهم قوم من ميد الدَيبُل في بوارج. فأخذوا السفينة بما فيها فنادت امرأة منهن وكانت من بني يربوع (يا حجاج) وبلغ الحجاج ذلك فقال (يا لبيك). فأرسل إلى داهر يسأله تخلية النسوة، فقال: إنما أخذهنّ لصوص لا أقدر عليهم. فأغزى الحجاج عبيد الله بن نبهان الديبل فقُتل فكتب إلى بُديل بن طهفة البخلي وهو بعُمان يأمره أن يسير إلى الديبل فلما لقيهم نَفَر به فرسه فأطاف به العدو فقتلوه وقال بعضهم: قتله زُط البُدهة. اهـ.

أو لعل الكاولية مصحّف الكوهلية نسبة تركية إلى (كوهر) أي الجبل. فيكون

المعنى الجبليين ولعلها تصحيف (كَهْلُوِيَّة) وهي قرية من قرى (سَودُوْذ) أو (سَردَروذ) واسمها يتصحف كثيراً مثل كيلويَّة والأصل في تسميتها (كوه كَهْلُوِيَّة).

(٨) **الزطّ**: واحده زُطّي. معروف في بغداد ومعناه النَوَر والنُوري. قال في «التاج»: الزطّ بالضم جيل من الناس كما في «الصحاح» ذكره البخاري في صفة موسى: كأنه من رجال الزط. واختلِف فيهم. فقيل هم السيابجة قوم من السند بالبصرة. وقال القاضي عياض هم جنس من السودان طوال. ونقل الأزهري عن الليث: أنهم جيل من الهند إليهم تنسب الثياب الزطية. قال: وهو معرب (جَتّ) بالفتح بالهندية. وقال ابن دريد: الزُطّ هذا الجيل ليس بعربي محض وقد تكلمت به العرب وأنشد:

فجئنا بحيّي وائل وبلَغها وجاءت تميم زُطّها والأساور

ذكرهم البلاذري في «فتوح البلدان» (ص ١٦٢) في سنة ٥٠ هـ (٦٧٠م) أن معاوية نقل إلى السواحل قوماً من زط البصرة والسيابجة وأنزل بعضهم في أنطاكية. وفيها محلة تعرف بالزطّ. وببوقا من عمل أنطاكية قوم من أولادهم يعرفون بالزطّ وقال (ص/ ١٧١) عن الزط:

وقال ابن خلدون الزط قوم من أخلاط الناس غلبوا على طريق البصرة وعاثوا فيها وأفسدوا البلاد وولوا عليهم رجلاً منهم اسمه محمد بن عثمان وقام بأمره آخرّ منهم اسمه سمَّاق... الخ. وذكرهم ابن الأثير (٢: ١٤٢) سنة ٩ هـ (٦٣٠م) هم والسيابجة. ويجمع بعضهم (جتّ) على الطريقة الفارسية فيقولون (جتّان) ومنها الكلمة الإسبانية (جيتانو) Gitano أخذاً عن عرب الأندلس.

(٩) **أسماء النَوَر** في بلاد فارس مختلفة ففي الشمال اسمهم (شَاهْسَون) يذهبون كل سنة في أوائل الخريف إلى مشاتي لهم وراء نهر الرس في بلاد الروس ثم يعودون إلى ربوعهم في بلاد فارس عند انقضاء الشتاء. والكلمة مشتقة من شاهين وهو اسم (زَنجان) في قديم الزمان.

واسمهم في قلب بلاد إيران (الفُيُوج) على الطريقة العربية أو (الفايجان) على الطريقة الفارسية واحدهم (فَيْج). والكلمة مأخوذة (من فايجان) قرية

بأصبهان معظم سكانها أقوام رُحّل يكثر فيهم الذهاب والإياب.

وفي نواحي أذربيجان يسمون (تات). ففي جبل (أسكي) من جبال الأياكة المذكورة طائفة من الناس معروفة بهذا الاسم. منهم حضر ومنهم رحّل. فالحضر لا يكادون يفارقون أوطانهم. والرُحّل يطوفون بلاد فارس كلها عصابات عصابات وليس لهم ديانة أو آداب أو علوم أو أخلاق بل هم هَمَجٌ هَمَلٌ صناعتهم الوحيدة عمل المناخل والغرابيل. والأهلون يخرّجون الأولاد على الرقص والغناء والدق والخلاعة ويدفعون نساءهم إلى ركوب المنكرات للمعيشة. وبعضهم يذهبون إلى بلاد الترك لهذه الغايات فيعدون منفصلين عن طائفتهم ويسمونهم حينئذ (دَلي دُومان). ومنهم من دخلوا في خدمة العشائر الفارسية منذ قرون فتجنّسوا بجنسيتهم على أنهم لا يزالون عبيداً أرقاء لا يستطيعون نزع اسمهم عنهم مهما قالوا أو فعلوا.

وطائفة منهم تغربت في بلاد فارس فتعلموا أصول التجارة فيتعاطونها على أتم وجه ولكنهم كثيراً ما يخفون أصلهم أو ينكرونه أو يلبّسون على الناس أعمالهم ويكذّبون من يشنّع طائفتهم. ولسانهم خصوصي لا يفهمه إلاّ هم.

وتواريخ بلاد فارس تصرّح أن هذا الجيل السافل كان عندهم منذ غزوة التاتار. وكلمة (تات) مقطوعة من تاتار لأن التاتار لا يسمون أنفسهم إلا تركاً ناكرين على أنفسهم لقبهم بالتاتار لما يتعلق بذلك من معاني القسوة والفظاظة والخشونة والهمجية... ولا يزال التاتار يسمون (تركاً) والفرس يسمون (تاتاً) في أنحاء كثيرة من بلاد إيران.

(١٠) **القُفْس أو القُفص**: اسم النَوَر في بلاد كرمان. وعرفهم العرب بهذا الاسم (راجع أعلاه من هذا الفصل) وذكر ابن الأثير في «الكامل» القفص والبلوص وعصيانهم على عضد الدولة سنة ٣٦٠ هـ (٨: ٢٠٢).

(١١) **كَنجو**: لفظة أرمنية من (كنچه) وهي من نواحي لورستان بين خوزستان وأصبهان. فالكنچو من أصل لوري. وهذه التسمية شائعة بين أهل جُلفا وأصبهان وضواحيها. ويسمونهم أيضاً (پوشا) Pocha وهي أرمنية من

بوشنج أو بشنك أو قوشنج. والعامة تقول پوشان فاعتبر الأرمن علامة الألف والنون للجمع بالفارسية. فيكون أصلهم من بلاد فارس لأن پوشنك كما قال صاحب «مراصد الإطلاع» وهي بليدة بينها وبين هرات فراسخ عشرة في وادٍ كثير الشجر والفواكه وأكثر خيرات هراة مجلوبة منها.

(١٢) ساسان: وبنو ساسان اسم النَّوَر عند قدماء العرب كما في كُتُبهم. وهو الاسم الحقيقي الذي يشمل جميع عشائر النَّوَر بأنواعها وفصائلها وأقسامها وهو أشهر ما تجب تسميتهم به. وبنو ساسان يشملون طوائف أخرى جمعتهم كلهم جوامع واحدة. وفي القصيدة الساسانية لأبي دلف الخزرجي ذكرهم بقوله:

«ومنا الكابُليون(٧) ومن يلعب بالجر ـ ومن يمشي على الحبل ومن يصعد بالبكرِ

ومنا الزنج(٨) والزط(٩) سوى الكبّاجة(١٠) السمر ـ وأصحاب التجافيف من التامولة الصُبرِ».

قال في (التاج): (الساسانية طائفة من الفرس نسبوا إلى ملك لهم يقال له ساسان وقال الشريشي شارح مقامات الحريري هو أول من سنّ الكُدية فنسبوا إليه كما أن الطفيلي منسوب إلى طفيل أول من تطفل) اهـ.

وقال الحاج خليفة في (كشف الظنون) (١: ٤٥٥ طبع مصر) في باب (علم الحيل الساسانية) ما نصّه:

«ذكره أبو الخير من فروع علم السحر وقال: عِلمٌ يعرف به طريق الاحتيال

---

(٧) الكابليون نسبة إلى كابُل وهي أرض مشهورة بين الهند ونواحي سجتان.

(٨) الزنج هنا من كان منهم زنجان المذكورة آنفاً.

(٩) الزط: مرّ ذكرهم.

(١٠) الكباجة: اللصوص من كبج: إذا سرق. أصحاب التجافيف: قومٌ يأوون المساجد، عليهم مرقّعات كالتجافيف بعضها فوق بعض. يقال لهم التامولة. قلتُ: وأصلهم من التامولة في الهند Les Tamoulsins وعددهم الآن سنة ١٩٠٢ يبلغ ١٢ مليوناً.

في جلب المنافع وتحصيل الأموال والذي باشرها يتزيّا في كل بلد بزيّ يناسب تلك البلدة بأن يعتقد أهلها في أصحاب ذلك الزي. فتارة يختارون زي الفقهاء وتارة يختارون زي الوعاظ وتارة يختارون زي الأشراف إلى غير ذلك. ثم إنهم يحتالون في خداع العوام بأمور تعجز العقول عن ضبطها (وأورد قصة)» اهـ.

النَّوَر في إسبانية

أجوبة الأسئلة التي طلبها المستشرق الفرنسي Vinot من عيسى اسكندر المعلوف بواسطة الأديب أنطوان أفندي الزغبي شقيق زوجة ادمون عيد المعلوف.

س(١) سؤال: هل الزطّ Gitanes (أو النَّوَر) لحقوا بالعرب في كل تنقلاتهم؟

ج (١) جواب: نرى في تواريخ العرب والإفرنج ذكر النَّوَر بأسماء مختلفة اشتهر منها في أوربّة الزط Gitanes نسبة إلى قبيلة (چت) الهندية ولا سيما في الأندلس، والبوهيميان Bohemiens في فرنسة نسبة إلى بوهيميه في المجر حيث قدموا منها إلى فرنسة، والبوهيميو Bohemia في البرتغال وغير ذلك في البلدان الأخرى.

وعند العرب أسماء كثيرة للنور مثل نوري وغجري وقرباتي وكاولي وقفسي وزطّي وقرجي ومطرب وجُعيدي وساساني إلخ. باختلاف البلدان والأزمان مما يدل على أنهم رافقوا العرب في جميع تنقلاتهم. كما في التواريخ والرحلات ومعاجم البلدان.

س (٢) هل الزطّ (الجيتان) هم الذين كانوا يعملون الأسلحة والمصنوعات وأواني المطبخ والألعاب؟

ج (٢) جواب: إن مَن عرف اشتهار الصناعات في مدن الأندلس ولا سيما في طليطلة وسرقسته وغيرهما وعرف أن النَّوَر اشتغلوا بصناعات كبيرة في الشرق والغرب وكانوا في اسبانية فاشتغلوا بالصناعات المختلفة، وكان لهم ملك في سرقسته ينتخبونه وازدحموا في بلنسية ومرسية وإشبيلية وغيرها، لا يستغرب أن

يقدر النَوَر على عمل الأسلحة ونحوها وهم أهل صناعة لا أهل زراعة ولا تجارة. وبقاياهم في كل مكان تعرف بإتقان الصناعات في كل عصر. إلَّا في بعض أماكن لا تطلب الاتقان.

س (٣): هل يعرف عنهم أنهم كانوا يصنعون القداحات (الزنود لإشعال النار) بإتقان وكانوا يشتغلون بها في جوامع قرطبة والحمراء وقصر إشبيلية؟

ج (٣): لا ريب أنه تعاطوا صناعات يدوية كثيرة كما هو الحال في بقاياهم الآن. وقد عرفت القداحة (الزند) في الشرق فحملوها إلى الغرب، مثل غيرها من الصناعات الكثيرة الشائعة عندنا.

س (٤): في أي عهد مرُّوا في آسية الصغرى وفي مصر ومن مصر إلى اسبانية؟

ج (٤): عرف اسم النَوَر قديماً كما ذكره هيرودتوس وأبولوينوس واسترابون وغيرهم. وأول عربي ذكرهم الأزهري في أواخر القرن العاشر للميلاد مع أن العرب عرفوهم قبل ذلك إذ شاع اسم النَوَر في القرن الثامن للميلاد لما تغلّب العرب على بلاد لورستان (أي محل اللور). ولعل النَوَر تحريف (لور) وذلك في سنة ٦٥٢ ـ ١٢٥٨م. ووُصِف اللور بالتلصص والمكر والشعوذة والسحر وهم من قبيلة هندية انتقلت إلى بلاد فارس وذكرهم حافظ الشاعر الفارسي باسم (لولي) تحريف (لوري) وأنهم يحسنون الرقص والغناء.

وذكرهم المؤرخ البلاذري والجغرافي ياقوت الرومي وابن الأثير المؤرخ وغيرهم باسم (القفص).

والأرجح أن أصل النَوَر من قبائل هندية وفارسية وكردية ولا تزال ألفاظ كثيرة في لغتهم من لغات القبائل الثلاث تدل على نسبتهم فهاجروا من الهند إلى بلاد فارس إلى آسية الصغرى ومنها إلى سورية ومصر وأوروبة فكانوا في القسطنطينية نحو سنة ١١٠٠م.

وأقدم مَن ذكرهم في أوروبة راهب جرماني سنة ١١٢٢م فانتشر النَوَر في

بُوهيميه (المجر) وفرنسة وجرمانية. ويرجح أنهم حملوا ورق اللعب (الذي يعرف به الغَيب) من الشرق إلى إيطالية وإلى أوروبة. ولكثرة دعاراتهم وشعوذاتهم وسوء أخلاقهم كانت البلدان التي يحتلونها تتبرّم سكانها منهم مما حمل الغزاة أن يطردوهم كما حدث في فتوح تيمورلنك سنة ١٤٠٠م والفتوح العثمانية سنة ١٥٠١.

ونفوا من انكلترة واسمهم فيها تجبسي Gipsies سنة ١٥٣٠ ومن فرنسة سنة ١٥٦٠ ومن إسبانية سنة ١٥٩١. وسموا أنفسهم أحياناً في إسبانية باسم (السِنديين) نسبة إلى أن أصلهم من السند الهندية. ولا تزال بعض المدن في إسبانية باسم (السند) مما يرجّح أنها كانت من منازلهم.

وهكذا كانوا يتنقلون من محل إلى آخر شأنهم في كل مكان يوجد منهم فيه كقول الشاعر:

وأنا في بيوت البدو رحلي وآونة على قتد البعير

ونَوَر الأندلس أشبه بنَوَر موسكو (روسية) بأخلاقهم وعاداتهم وأزيائهم أكثر مما يشبهونهم بملامحهم وتقاطيع وجوههم.

ولما كان (جت) اسمهم الهندي الأول الذي حملوه من قبيلتهم جمع على القاعدة الفارسية (جِتَّان) لما نزلوا بلاد فارس فدعاهم الإسبانيون بهذا الاسم كما سبق القول. لوحظ أن النَوَر الذين دخلوا إسبانية لم تطل إقامتهم في طريقهم من بلاد الفرس إليها فبقي اسمهم على صورته وقالوا باصطلاحهم (جيتانوس) ولذلك لم يذهبوا إليها [...].

س (٥): اشرح لنا عن إقامة النَوَر في تريانه (إشبيلية) وفي الجبل المقدس (غرناطة)

ج (٥): انتشر النَوَر (الجيتان) في قسطيلية وأرغونه وفي سرقسطة حيث يقيم ملكهم الذي ينتخبونه. ويزدحمون في بعض محلات مثل غرناطة وبلنسية ومُرسية وربض تريانه وإشبيلية وما يجاورها. فامتدوا في تلك البقاع شأنهم في

تنقلهم وارتحالهم وبقوا على عاداتهم وأخلاقهم وأزيائهم التي حافظوا عليها في كل مكان استقروا فيه. وبقاياهم الآن في المغاور قرب قصر الحمراء في غرناطة.

س (٦): من هم المؤلفون الذين كتبوا عنهم وما هي مؤلفاتهم؟

ج (٦): إن الشرقيين كتبوا في أثناء بحوثهم أشياء عن النَوَر مثل الحريري في «مقامته الساسانية» وذكر ألفاظاً من لغتهم، وكذلك بديع الزمان الهمذاني في «مقاماته» ذكر بعض عاداتهم وحِيَلهم. والخفاجي في «شفاء الغليل» أورد بعض كلمات من رطانتهم. والحاج خليفة أشار إليهم في «كشف الظنون» في باب (الحيل الساسانية). وأبي دلف الخزرجي الينبوعي نظم قصيدته الساسانية الكبرى في عاداتهم وأخلاقهم وأعمالهم ومصطلحاتهم. فنشر منها قسماً الثعالبي في «يتيمة الدهر» وشرح غريب ألفاظها فأظهر كثيراً من شؤونهم. والأحنف العكبري الساساني الشاعر اقتبس من الحريري ما في مقامته المشار إليها. والصاحب بن عباد كان يحفظ ألفاظ الساسانيين. وأبي عبد الله الحسن ابن الحجاج كانت لغته مشوبة بلغة الخُلديين (أي بني ساسان) والمكدّين وأهل الشطارة. والجوبري في كتابه (المختار في كشف الأسرار) نقل عن صاحب (كشف الظنون). وتاريخ مير خوند نقل عنه صاحب (كشف الظنون) فضلاً عما في كتب الجغرافية والتواريخ والأنساب. وألّف جمال الدين الأفغاني كتاباً في (النَوَر) لم يطبع وهو من المعاصرين.

وعند الغربيين مؤلفات ومباحث ومقالات في دوائر المعارف والتواريخ والجغرافيات والرحلات. وممن بحث عنهم من المؤلفين كريلمن وبوتر وجورج بورو وبلاّس ومرثان بلوك ودربلو وداوم ريشاردسن وفياردو وغيرهم من ألمان وفرنسيين وإنكليز وسواهم[١١].

(١١) كتبه بيده عيسى اسكندر المعلوف زحلة (لبنان) في ٢٥ ت[١] سنة ١٩٣٧ عضو المجامع العلمية في مصر ودمشق وبيروت والبرازيل وصاحب مجلة **الآثار** ومؤلف نحو ثلاثين كتاباً في التاريخ والآداب طبع بعضها.

أغاني النَوَر بالأندلس

الرقص والغناء

قال أحد كتبة الإفرنج عن النَوَر ما معرّبه: «وكلا الفريقين من ذكور وإناث يؤنس الشعب بالتطريب والغناء. ويذهب أجواق مغنيهم راجلين إلى بطرسبرج فيستقبلون فيها أحسن استقبال.

وكأن أناشيدهم الوطنية من سَيْر أناشيد الختان الإسبانيين. فقد قال الفاضل ڤياردو Viardot عن هذه الأغاني أنها مقاطيع وفصول يكثر فيها التؤدة والشجو وهي تشبه الأناشيد المعروفة بالپولو Polos والتِيرانا Tiranas في بلاد الأندلس. ومن هذه الأغاني ما فيها هزة النشاط والتحمس وخفة الطرب من الجنس المعروف بالسيكويدلاً Seguidillas في المنشأ. وبالخوتا Jota في أراغون.

وعلى حركات ونغمات هذه الأغاني المتتالية المتتابعة المتساقطة شيئاً بعد شيء ترقص الإناث من عجائز وشابات أو قُل بالأحرى يجررن أنفسهن على الأرض المرصوفة ويُرجِفن سواعدهن وأكتافهن وأوراكهن وكل جسمهن رجفة غريبة مع حركات خلاعية تدفعهن رويداً رويداً إلى مضاهاة الشعّارات[١٢] فيستحوذ

(١٢) الشعارات جمع الشعارة مؤنث الشعار عند الراقيين: الرقاص والرقاصة بحركات مخالفة للآداب ولعلها من (شِعر) إذا قال الشعر لأنهم ينشرون الأشعار ويرقصون معاً. ولما تركوا الشعر وانقطعوا إلى الرقص سموا رقاصاً، والقلاس والقلاسة بالفصحى بمعنى الشعار والشعارة وعند الافرنج Bayadére و Alméa وهذه عربية (عالمة) بالرقص والغناء.

عليهن نوع من الانخطاف أو السُكر. وفي روسية كما في اسبانية يستعمل اللحن للأغاني وللرقص» اهـ (المشرق ٥ : ١٠٧٩).

المؤلفات في النَوَر

مؤرخو العرب

(أبو القاسم الحريري) في مقامته الساسانية ذكر فيها ألفاظاً من لغتهم كان يحفظها عنهم.

(بديع الزمان الهمذاني) في مقاماته ذكر بعض عوائدهم وحيلهم ولم يذكر شيئاً من لغتهم.

وشرح عنهم **(الشيخ محمد عبده)** ص/٨٩ (سناء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل) ذكر بعض كلمات من رطانتهم.

(أبو دلف الخزرجي الينبوعي) نظم قصيدته الساسانية الكبرى. ذكر بعض أبياتها **الثعالبي** في (يتيمة الدهر) وشرح ألفاظها الغريبة وفيها بعض التهتُّك والخلاعة والمجون والبذاءة وشاعت حتى أن بعض ألفاظها دخلت في الفصحى وتناقلها مشاهير الكتاب. ولم ينبّه أحد أنها من لغة بني ساسان. وأكثرها لم ترد في المعاجم. ففاق جميع كتبة العرب بهذا النوع ودوَّن كثيراً مما يهم عنهم بألفاظ اصطلحوا عليها وهي غريبة.

(الأحنف العكبري أبو الحسن عقيل بن محمد) من بني ساسان في عصر الخلفاء وهو شاعر أورد له شيئاً **الشريشي** في (شرح المقامات الحريرية ـ ٢ : ٤٩٤) ومنها اقتبس الحريري ما في مقامته (الساسانية).

(الصاحب بن عباد) ذكر عنه الثعالبي في (اليتيمة) ـ (٣: ١٧٥) أنه كان يحفظ ألفاظ الساسانيين ويعجبنه من أبي دلف وفور حظه. وأتحفه أبو دلف بقصيدته التي عارض بها دالية الأحنف العكبري.

(أبو عبد الله الحسن بن أحمد المعروف بابن الحجاج) قال في (يتيمة الدهر ـ ٢: ٢٨٥): «ولم يُرَ كاقتداره على ما يريده من المعاني التي تقع في

طراوة مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها وانتظامها في سلك الملاحة والبلاغة وإن كانت مفصحة عن السخافة مشوبة بلغة الخُلديين (أي بني ساسان) والمكدّين وأهل الشَطّارة» اهـ.

(الحاج خليفة) صاحب كتاب (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) فقد ذكر (علم الحيل الساسانية) وعرَّفه تعريفاً يدل على أنه منطبق على النَوَر.

(الإمام الجوبري الدمشقي) صاحب (المختار في كشف الأسرار) نَقَل عنه صاحبُ (كشف الظنون) وهو في ثلاثين فصلاً و٢٦٦ باباً.

(تاريخ مير خوند) نقل عنه (صاحب كشف الظنون) في باب (الحيل الساسانية) قصة رجل منهم.

و**(طا شكبري زاده)** في (مفتاح السعادة) طبع الهند صفحة ٣٠٦ من الجزء الأول ونقل عن القصة المذكورة.

(تاريخ النَوَر) للشيخ جمال الدين الأفغاني لم نعلم أنه طبع.

مؤلفات الأوروبيين

وهي كثيرة:

(داود ريشاردسن) D. Richardson القبطان قال: إن النَوَر هم نفس البازيكوَّر Bazigouro وهم شعب هندي واسمهم المألوف المشهور هو نوت (Nouts) مصحف إلى (نُوَر).

(ڤياردو) Viardot له بحث في أغاني النَوَر بالأندلس (الجيتان) أو الخيتان وسمى أغاني (الپولو) Polos والتيرانا (Tiranas) [...]

(گريلمَن الألماني) Grelmann. نُقل كتابه إلى الإفرنسية وطبع في باريس سنة ١٨١٠. قال عن لغة النَوَر أنها تشبه اللغة الهندية كل الشبه. فأصلهم من الهند من الرعاع المعروفة اليوم باسم (الپارية) أو (الخَنْدلة) ,les Parais Chandalas.

(أ. ف. بت) A.F.Potte الألماني وهو من رأي كريملن السابق ذكره.

(جورج بورو) المتوفى سنة ١٨٨١. ذكره في (الهلال) (٤ : ٣٨٢) أنه خالط النَوَر وآخاهم ودرس لغتهم وسائر أحوالهم وألّف بضعة كتب فيهم منها كتاب اسمه (الزنكالي) نشره سنة ١٨٤١ وكتاب اسمه (التوراة في اسبانيا) و(قاموساً) جامعاً لِلُغة النَوَر وغيرها. وهو يذهب إلى أن النَوَر من شمالي بلاد الهند يتكلمون لغة واحدة تشبه في أصولها وتركيبها لغة الهنود القديمة وهم يسمونها ويسمون جنسهم (رُمّاني). ومعنى (رُم) في لغتهم (زوج) ورماني (طائفة الأزواج).

(مُنستر)

(البابابيوس الثاني عشر) (توفي ١٤٦٤)

(بسكياي).

(بلاّس) Pallas ارتأى أن لغة النَوَر أشبه بلغة تجار الهنود المُولتان. وقد تعارف بجماعة منهم في استرخان. فتكون لغتهم هندية الأصل بإجماع الباحثين عنها. وتقسّم كلمهم إلى ثلاثة أقسام (أصلية وفرعية ومشتقة). ويندر عندهم استعمال أداة التعريف مع وجودها. ويعرّب الاسم على ستة أوجه ولهم نوعان من المنصوب ونوعان من المخفوض، إلخ. (تفصيل ذلك في مجلة (المشرق) ٥ : ٩٦٩ و٩٧٠ و٩٧١).

(مرتان بلوك) عاش بين الغجر طويلاً ووقف على جميع شؤونهم وأخلاقهم وعاداتهم ومعيشتهم وهو بينهم يراقبهم في كل عمل.

(دَوبلو D'Herblot**)** قال إن النَوَر من طارئة زنجبار.

الفصل السادس

اليهود في العالم
بحث تاريخي عام

أخبرني حاخاباشي دمشق الدكتور سليمان التاجر القُدْسي الأصل في عام ١٩٢٥ ما نصُّه:

في دمشق والقدس والخليل وصفد وطبرية توجد توراة قديمة منذ سبعمائة سنة وهذا مما يدل أن اليهود كانوا قاطنين في هذه البلاد (وذلك في كنائس مختلفة) وتلك التوراة مقدسة لقدمها.

ويوجد في صيدا توراة (أصلها من الجبل) من ألف سنة على رق غزال. علمية وتاريخية ورياضية وفلسفية.

وفي القدس مكتبة عبرانية كلها وبعضها عربي بالحرف العبراني في (بيت إيل) أي بيت الله يخص أسرة (عيلة) **گاگين** المشهورة (راجع أسر القدس هنا).

وفي دمشق مكتبة قديمة في دار (أنجل) اسمها (مدراش أنجل) أي (مدرسة أنجل) من أسرة أنجل. علمية تاريخية (راجع أسرة **أنجل** في أسر اليهود هنا).

اليهود وتفرقهم وأنسابهم

مشهور أن اليهود من سلالة سام بن نوح وأنهم عندما جاؤوا فلسطين كان فيها من سكانها القدماء الذين من الحويين والفرزيّين واليبوسيين والعمالقة

والمدينيين والأُمُميين والزوزميين والرفائيين وغيرهم كما في التوراة. فدخل عليهم الإسرائيليون في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

ولما دخل العبرانيون القطر الفلسطيني في القرن الثالث عشر (ق.م.) كان فيه أناس طوال القامات في جوار الخليل (حبرون) سموهم الرفائيين. وكان هناك أيضاً الحثيون الذين عظم شأنهم وغلبهم على أمرهم الفراعنة. فطرد العبرانيون هذه الأمم ولم يبق منها إلّا قلة في غزّة وأشدود وغات.

ولما عاد الإسرائيليون من مصر بزمن موسى النبي، كان الفلسطينيون سكان البلاد قد أضعفهم الترف وأثرت بهم حضارة كريت (أقريطش). ولم يبق إلى زمن موسى غير الرفائيين فحاربهم العبرانيون مراراً واستولوا على بلادهم. ونبغ منهم ملوك وحكام أشهرهم داود النبي وابنه سليمان الحكيم في القرن الحادي عشر قبل الميلاد. ثم انقسمت مملكتهم إلى ممالك صغيرة اشتهر منها مملكة (يهودا) في أوائل القرن العاشر قبل الميلاد وكانت عاصمتهم أورشليم المدينة المقدسة ولهم فيها آثار أبنية وعمران حتى أن سليمان الملك أنشأ أسطولاً في البحر الأحمر حمل إليه الذهب من أُوفير [ظفار] وغيرها. وزارته ملكة سبأ المشهورة بنوادرها معه. وقيل إن ملوك الحبشة من سلالتها لأن سليمان تزوجها.

ولما عبث الإسرائيليين الترف وامتد رواق عمرانهم دوّخهم الأشوريون في أوائل القرن السابع قبل الميلاد وسبوهم إلى بابل فبقوا زهاء سبعين سنة يكابدون ذلّ الأسر فتطوروا بأخلاق تلك البلاد.

ولما عادوا إلى فلسطين رمموا أورشليم وأصلحوا شؤونهم.

ثم استولى عليهم الاسكندر المكدوني سنة ٣٣٣ ق.م. فصاروا منذ ذلك الحين خاضعين لفاتحي سورية وفلسطين يرهقونهم بأحكامهم وبتحاملهم على ديانتهم والقضاء على مذهبهم.

فنشأ المكابيون منهم وحاربوا أنطيوخوس أبيفانس سنة ١٧٥ ق.م. لأنه أراد أن يمحو آثار ديانة اليهود. وانتهى عراكهم باستقلال مملكة اليهود سنة ١٤٢ ق.م. وبقوا إلى سنة ٦٣ ق.م. فدخلوا تحت حكم الرومان وقام منهم ملوك بزمن الرومانيين منهم هيرودس الذي ملك سنة ٣٧ ق.م كانوا من ضمن من

ملكهم. وقبل المسيح بأربع سنوات أي سنة ٤ ق.م تنازعوا الملك فاستولى عليهم الرومان. ثم أحدثوا ثورات انتهت بكسوف شمس عظمتهم. فهدم الرومان بلادهم وشتتوا شملهم إلى زمن استيلاء العرب على بلادنا في أوائل القرن السابع للميلاد. ثم جاءت النصرانية واشتد العداء بينهم وبين اليهود.

وبعد استيلاء المسلمين على البلاد ومنها فلسطين حدثت الحروب الصليبية وبقي الصليبيون في أورشليم نحو قرن من فأخرجهم منها صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧م. وبقي القوم مستولين على البلاد فتم خروجهم من فلسطين كلها سنة ١٢٤٨م.

فصارت فلسطين في قبضة الدولة الأيوبية ومن خلفها من السلاطين المماليك المصريين. ثم فتحها العثمانيون سنة ١٥١٦م.

وتقلبت بها الأحوال حتى استعمرها اليهود أخيراً. ثم جاءت الحرب الكبرى فدخلت في يد الدولة البريطانية العظمى سنة ١٩١٨م.

قضى اليهود نحو عشرين قرناً مشتتين تائهين لا يقر لهم قرار فصاروا هدفاً للاحتقار والازدراء إذ ليس لهم دولة تحميهم ولا جندية تدافع عنهم. فصار موضوع الذل وموضع الضَعَة. ينظرون إلى غيرهم متحذرين مسيئين الظن في معاملاتهم لهم.

وهذه أهم هجراتهم التاريخية:

أولاً، هجرتهم إلى أرض مصر. وعودتهم إلى فلسطين وتيههم في برية سيناء.

ثانياً، سبيهم إلى بابل.

ثالثاً، سفرهم للارتزاق ولا سيما بزمن المكدوني الفاتح الملك اسكندر بن فيلبس في القرن الرابع قبل الميلاد.

فانتشر اليهود في القرن الأول للميلاد في:

- شمالي أفريقية

– شرقي أدرنة وكثروا في سورية ولا سيما في دمشق وأنطاكية.

– غربي آسية

– مصر وسورية وفينيقية بجوار أورشليم. وفي مصر كان في الإسكندرية نحو حَيّين منهم فيها. وحدث بينهم وبين اليونان خصام فانحصروا في حيّ واحد منها وثاروا ثورات لم تُجْدِهِم نفعاً.

– آسية الصغرى ومنها عبروا البحر إلى أوروبة فأقاموا في بلاد اليونان وجزائرها: تساليه، مكدونية، أثينه، أرغوس.

ومنهم من كان في بثينيه، فريجيه، ليديه، بونطس.

وبعضهم تجنس في آسية الصغرى بالجنسية الرومانية فأقاموا بين النهرين وفارس حتى قال يوسيفيوس أنهم كانوا يعدون بالملايين ومعظمهم في نصيبين فخافهم تراجان عندما هاجم تلك البلدان.

– وبزمن حكم الرومان فلسطين، حمل بومبي جماعة من أسرى اليهود إلى رومية ودخل هذه العاصمة بعض تجارهم فامتزجوا فيها وكثر اليهود في رومية. فلما غضبت عليهم الحكومة طردتهم منها وأبعدت ألوفاً منهم إلى سردينية وكانوا يعودون أحياناً إلى رومية.

– كان اليهود في الأندلس مشهورين بعلمائهم وأطبائهم نائلي المنزلة السامية فيها عند ملوكها. فبعد ذهاب دولة العرب منها تفرق يهودها في أوروبة وحملوا معهم آثار مدنية العرب في الأندلس وانتشروا في بلدان كثيرة أهمها:

– فرنسا: ونالوا فيها شهرة ونفوذاً حتى أنهم في ليون بدّلوا يوم السوق من السبت إلى الأحد إكراماً لليهود في احترام السبت. وتكاثروا في بعض مقاطعات فرنسا حتى زادوا على عدد سكانها الأصليين واشتركوا مع العرب في إنشاء مدارس عالمية لم يكن لها شبيه في أوروبة. ثم جُدد اضطهاد الاكليروس لهم فألقوا في فرنسة (٣٤) حملاً من الكتب اليهودية في اللهيب في يوم واحد في باريس وحرمت الكنيسة كل من لا يحرم كتب اليهود ولغتهم.

– انكلترة: وأخرج اليهود من إنكلترة سنة ١٢٩٠م. ولم يعودوا إليها إلّا في أواسط القرن السابع عشر للميلاد بتوسط كبير أحبارهم منسى بن إسرائيل من أحبار أمستردام. واشتهر اليهود بالصيرفة في كل زمن فجمعوا المال وكان منهم كبار الأغنياء مثل (بيت روتشيلد).

– البرتغال.

– إيطالية.

أسرة ضائعة يهودية:

روت جريدة (الهدى) النيويوركية بتاريخ ٥ ك[١] سنة ١٩٢٣:

أن القبطان فرنك هورلي المكتشف المعروف قد اكتشف جنساً من البشر في ناحية بحيرة مورداي على نحو ٢٥٠ ميلاً من مجرى نهر فلاي في غويانا الجديدة. وهو يقول أنه لولا جلودهم النحاسية وجهلهم المدنية لحسبهم قبيلة إسرائيل الضائعة.

ولما قدم إلى نيويوك من أوسترالية ذاهباً إلى لندن أخبر أنه صرف سنتين في غويانا الجديدة فأخذ رسوم النواحي العميقة من طيارة بحرية واكتشف في بحيرة موراي اكتشافاته بقارب ركبه فاهتدى إلى الجنس البشري المشار إليه في شباط الماضي (١٩٢٣) ودعاهم (سامبيوس) لأن من عاداتهم أن يرفعوا أصواتهم بكلمة (سامبيو) الترحيبية ويلوحوا بمجاذيفهم متى أقبل عليهم غريب إلّا أنهم كثيراً ما يخدعون. وقد انخدع المكتشف بهم في المرة الأولى وكاد يقتل هو ومن معه من البيض بسهام سامة أطلقها عليهما السامبيوس لما نزلوا إلى شاطئ البحيرة ولكنها أخطأتهم. فتفاهموا وتصافوا بعدئذ وباعهم المكتشف صفائح تنك وغيرها من أوعية فارغة وشرى منهم بعض مصنوعاتهم وحاصلاتهم وحملها إلى متحف أوستراليا في سيدني. ولم يسبق للسامبيوس أن رأوا أواني معدنية فيما مضى وهم يطبخون طعامهم في أوعية حجرية أو خشب القنا.

ووصفهم المكتشف بأنهم أقوياء الأجسام إلى درجة خارقة العادة بالنسبة إلى

صغر قاماتهم التي يتراوح علوها بين خمس أقدام وستة قراريط وخمس أقدام وتسعة قراريط ويقدر أحدهم أن يحني قوساً يزيد طوله [طولها] على قامته عدة أقدام.

ويلقب هؤلاء الأقوام نفوسهم بصيادي الرؤوس في بابوي وأعلى مقام عندهم يعطى لمن عنده العدد الأكبر من الجماجم وكان مزار أحد زعمائهم مزيناً بست وثلاثين جمجمة (اهـ).

فئات اليهود:

الرّبانيون: أصحاب أهمود وهم جمهورهم.

القرّاؤون: ينكرون التلمود ولا يعتقدون إلا بالتوراة والأنبياء. ولا يزيد عددهم على ربع المليون.

الأسر اليهودية:

أكثر الأسر الإنسانية مهاجرة وتفرقاً وتشتتاً اليهود. فإنهم على أثر الخليفة وامتدادهم في البلدان كانوا على أسفار. وكثيراً ما سبوا إلى بابل وبلاد الكلدان وساروا إلى مصر وامتزجوا بأمم كثيرة وعادوا إلى فلسطين ثم تركوها إلى بلدان سحيقة.

ولقد سُبي اليهود مراراً إلى بابل وغيرها فاتصلوا إلى ميديا وفارس وكانت ربوة كشمير آخر مهجر من المهاجر الإسرائيلية كما ذكر بعض المؤرخين. ولا تزال بعض القرى والجبال والقبائل في كشمير وأفغانستان تسمى بالأسماء التي تسمى بها قرى فلسطين قديماً بالتسمية العبرانية ولا يزال بعض سكان الأفغان وكشمير يدعون أنهم من سلائل إسرائيلية.

ولما صُلب المسيح قامت قيامة المسيحيين عليهم فاضطهدوهم في كل صقع حتى توازعتهم البلدان فمنهم من كانوا عرباً ومنهم من كانوا عبرانيين فتنصَّر كثير منهم وفرَّ الباقون في الأصقاع والبلدان.

وروى الأستاذ فلتوفتش (راجع الهلال ٣١: ٤٣٠) ما نصه:

أنه اهتدى إلى أسباط بني إسرائيل المفقودة، فهم في زعمه يوجدون الآن في الحبشة ويطلق عليهم اسم (الفلاشة). وهم يتميزون عن سائر السكان بخفة ألوانهم ولهم عادات اجتماعية خاصة ويدينون باليهودية وإن لم تكن لهم لغة خاصة. وهم يدعون أنفسهم (بيت إسرائيل) ويعبدون في (مسجد) وقد رفعهم التوحيد عن الإيمان بالخرافات الشائعة في الحبشة. فهم لذلك في مستوى أرقى من مستوى سائر السكان. وهم إذا سكنوا في قرية أو بلدة انتخبوا منها ناحية وبنوا فيها أكواخهم على حدة. فلا يختلطون بالسكان وقلَّ أن يتزوجوا من نساء الأحباش. وكهنتهم لا يتميزون إلا بوضع عمامة على رؤوسهم. وأما سائر الفلاشة والأحباش فعارو الرؤوس وهم يختارون المحلة التي ينزلون فيها بجانب نهر جارٍ كي يتيسر لهم الوضوء. وليست لهم لغة خاصة وإنما يصلّون ويرتّلون بلغة الغير لغة الأحباش القديمة. وهم يؤلفون طوائف الصنّاع والتجار. وأما الأحباش فيشتغلون عادة بالزراعة. وهم مكروهون ويسميهم الأهالي (طبيبان) أي العقلاء لما ينسب إليهم من الحذق والمعرفة في الصنائع. (انتهى ما في الهلال).

ولما كان ديوان التفتيش في إسبانية سنة ١٤٩٢ مسيحية في أواخر القرن الخامس عشر، تفرّق اليهود في إسبانية إلى جهات مختلفة في المغرب وأوربة في أكثر الممالك والشرق حتى ملأوا [البلدان] في روسية والمانية وضواحيهما وسلبوهم أموالهم ونكّلوا بهم. وقدّر بعض معاصري تلك الحادثة أنه خرج إسبانية نحو ثماني مائة ألف نسمة. وقسم منهم عذبوا وماتوا شرّ ميتة كما يقول بعض المؤرخين.

في أوربة (في انكلترة) أسرة اللورد **بيكنسفيلد** التي نشأت في البندقية بعد فرار أبنائها من إسبانية وانتقلت إلى إنكلترة حيث ولد من سلائلها اللورد المذكور سنة ١٨٠٤ وتنصَّر وتولى أعمالاً ومناصب مهمة في حكومة بريطانية ولا سيما في وزارتها ومات سنة ١٨٨١م.

في الشرق، روى أحد علماء الإفرنسيين: أن اليابانيين من الإسرائيليين الذين سباهم الملك شلمناصر إلى أواسط آسية والهند اتصلوا من هناك بجزر اليابان. واستدلَّ على قوله: أن عند اليابانيين اعتقاداً قديماً يذكرون فيه أنهم

صغر قاماتهم التي يتراوح علوها بين خمس أقدام وستة قراريط وخمس أقدام وتسعة قراريط ويقدر أحدهم أن يحني قوساً يزيد طوله [طولها] على قامته عدة أقدام.

ويلقب هؤلاء الأقوام نفوسهم بصيادي الرؤوس في بابوي وأعلى مقام عندهم يعطى لمن عنده العدد الأكبر من الجماجم وكان مزار أحد زعمائهم مزيناً بست وثلاثين جمجمة (اهـ).

فئات اليهود:

الرّبانيون: أصحاب أهمود وهم جمهورهم.

القرّاؤون: ينكرون التلمود ولا يعتقدون إلا بالتوراة والأنبياء. ولا يزيد عددهم على ربع المليون.

الأسر اليهودية:

أكثر الأسر الإنسانية مهاجرة وتفرقاً وتشتتاً اليهود. فإنهم على أثر الخليفة وامتدادهم في البلدان كانوا على أسفار. وكثيراً ما سبوا إلى بابل وبلاد الكلدان وساروا إلى مصر وامتزجوا بأمم كثيرة وعادوا إلى فلسطين ثم تركوها إلى بلدان سحيقة.

ولقد سُبي اليهود مراراً إلى بابل وغيرها فاتصلوا إلى ميديا وفارس وكانت ربوة كشمير آخر مهجر من المهاجر الإسرائيلية كما ذكر بعض المؤرخين. ولا تزال بعض القرى والجبال والقبائل في كشمير وأفغانستان تسمى بالأسماء التي تسمى بها قرى فلسطين قديماً بالتسمية العبرانية ولا يزال بعض سكان الأفغان وكشمير يدعون أنهم من سلائل إسرائيلية.

ولما صُلب المسيح قامت قيامة المسيحيين عليهم فاضطهدوهم في كل صقع حتى توازعتهم البلدان فمنهم من كانوا عرباً ومنهم من كانوا عبرانيين فتنصَّر كثير منهم وفرَّ الباقون في الأصقاع والبلدان.

وروى الأستاذ فلتوفتش (راجع الهلال ٣١: ٤٣٠) ما نصه:

أنه اهتدى إلى أسباط بني إسرائيل المفقودة، فهم في زعمه يوجدون الآن في الحبشة ويطلق عليهم اسم (الفلاشة). وهم يتميزون عن سائر السكان بخفة ألوانهم ولهم عادات اجتماعية خاصة ويدينون باليهودية وإن لم تكن لهم لغة خاصة. وهم يدعون أنفسهم (بيت إسرائيل) ويعبدون في (مسجد) وقد رفعهم التوحيد عن الإيمان بالخرافات الشائعة في الحبشة. فهم لذلك في مستوى أرقى من مستوى سائر السكان. وهم إذا سكنوا في قرية أو بلدة انتخبوا منها ناحية وبنوا فيها أكواخهم على حدة. فلا يختلطون بالسكان وقَلَّ أن يتزوجوا من نساء الأحباش. وكهنتهم لا يتميزون إلا بوضع عمامة على رؤوسهم. وأما سائر الفلاشة والأحباش فعارو الرؤوس وهم يختارون المحلة التي ينزلون فيها بجانب نهر جارٍ كي يتيسر لهم الوضوء. وليست لهم لغة خاصة وإنما يصلّون ويرتّلون بلغة الغير لغة الأحباش القديمة. وهم يؤلفون طوائف الصنّاع والتجار. وأما الأحباش فيشتغلون عادة بالزراعة. وهم مكروهون ويسميهم الأهالي (طبيبان) أي العقلاء لما ينسب إليهم من الحذق والمعرفة في الصنائع. (انتهى ما في الهلال).

ولما كان ديوان التفتيش في إسبانية سنة ١٤٩٢ مسيحية في أواخر القرن الخامس عشر، تفرّق اليهود في إسبانية إلى جهات مختلفة في المغرب وأوربة في أكثر الممالك والشرق حتى ملأوا [البلدان] في روسية والمانية وضواحيهما وسلبوهم أموالهم ونكّلوا بهم. وقدّر بعض معاصري تلك الحادثة أنه خرج إسبانية نحو ثماني مائة ألف نسمة. وقسم منهم عذبوا وماتوا شرّ ميتة كما يقول بعض المؤرخين.

في أوربة (في انكلترة) أسرة اللورد **بيكنسفيلد** التي نشأت في البندقية بعد فرار أبنائها من إسبانية وانتقلت إلى إنكلترة حيث ولد من سلائلها اللورد المذكور سنة ١٨٠٤ وتنصَّر وتولى أعمالاً ومناصب مهمة في حكومة بريطانية ولا سيما في وزارتها ومات سنة ١٨٨١م.

في الشرق، روى أحد علماء الإفرنسيين: أن اليابانيين من الإسرائيليين الذين سباهم الملك شلمناصر إلى أواسط آسية والهند اتصلوا من هناك بجزر اليابان. واستدلَّ على قوله: أن عند اليابانيين اعتقاداً قديماً يذكرون فيه أنهم

وصلوا إلى تلك البلاد من قطر سحيق في غربي آسية. ويقول سفر عزرا: ولكنهم (عشرة الأسباط) توافقوا وعزموا أن ينفصلوا عن أكثر أخوتهم وينطلقوا إلى ناحية بعيدة لم يقطنها أحد. وكانت طريقهم طويلة أي نصف سنة.

ويقول سفر عمواص مبيّناً طريقهم هذه: وكانت الطريق من البحر ومن الشمال إلى الشرق.

ولعلّ هذه المهاجرة كانت بين سنتي ٦٧٠ و٦٦٣ قبل المسيح أي عندما عاد اليهود من الأسر البابلي إلى أورشليم وقد كادوا ينسون لغتهم. ومن الأدلة على هذا أن أول أمبراطور ياباني اسمه (جيمو) جالَ بشعبه وقطعانه في آسيا الغربية حتى تديّر جزائر اليابانيين سنة ٦٦٠ ق.م. وعند اليابان رسوم هذه الحادثة القديمة تمثّل هذا الأمبراطور وأعوانه بألبسة وأسلحة مادية وأشورية.

وأما الرسوم القديمة في قصر الميكادو المحفوظة في صناديق من خشب الكافور فهي كثيرة الشبه بقدماء اليهود.

وفي ديانة شانتسو اليابانية عقائد كثيرة تُماثل عادات العبران وعقائدهم القديمة مثل وجود قدس الأقداس في هياكلهم واسم الكاهن عندهم (كان) ولِبْس الكهنة مثل الإسرائيليين ويقدمون وهم بهذه الألبسة الخبز الفطير الذي يسمونه Mochi (موكي) والنبيذ الحلو والأثمار.

وأكثر أعياد الشانتسو كأعياد اليهود وكذلك حفلاتها. وفي هياكلهم تابوت يسمونه (سكين) وهي كلمة تقارب اسم التابوت بالعبرانية (تابوت العهد) فإذا حملوه من مكان إلى آخر رقصوا أمامه مثلهم.

ووافق على هذا أحد علماء الإنكليز أيضاً وبرهن براهين أخرى. (عن جريدة **المحبة** البيروتية).

اليهود في العالم وإحصاؤهم:

إحصاء سنة ١٩٢٠ م قال أحد علماء اليهود أن بني قومه الآن في العالم نحو ١٥ مليوناً و٤٣٠ ألفاً وذلك نحو ٩/ ١٠ الواحد في المائة من مجموع

سكان الكرة الأرضية. وهذا إحصاؤهم في مواطنهم الحالية:

في بولندا = ٣,٣٠٠,٠٠٠

في أكرانيا = ٣,٣٠٠,٠٠٠

في الولايات المتحدة الأميركية = ٣,١٠٠,٠٠٠

في روسية مع سيبرية = ٩٠٠,٠٠٠

في رومانية = ٦٥٠,٠٠٠

في ألمانية = ٥٤٠,٠٠٠

في المجر = ٤٥٠,٠٠٠

في تشيكوسلوفاكيا = ٤٥٠,٠٠٠

في انكلترة = ٣٠٠,٠٠٠

في النمسا = ٣٠٠,٠٠٠

في ليثوانيا = ٢٥٠,٠٠٠

في يوغوسلافيا = ٢٠٠,٠٠٠

عدد اليهود في العالم: (إحصاء آخر)

- روسية ٥ ملايين ونصف.
- النمسة مليونان.
- المانية خمس مائة ألف.
- رومانية ثلاث مائة ألف.
- انكلترة وفرنسة وبلجكا وهولنده وإيطالية خمس مائة ألف.
- أميركا وأوسترالية مليون ونصف.
- العجم وشمال أفريقية مليون ومائة ألف.

- في بلاد الترك في أوروبة وآسية خمس مائة ألف.
- في سورية مائة ألف
- في مصر ٤٥ ألفاً
- والباقون في غيرهما.

اليهود في العواصم الأوروبية:

في روزنامة أبي سيري اليهودي في كازالي من أعمال إيطاليا عن سنة ٥٦٦٤ (١٩٠٣ ـ ١٩٠٤) عن عدد اليهود في خمس عشرة عاصمة من عواصم أوروبا ما يأتي:

يبلغ عدد اليهود في أوروبا ١٥,٠٠٠,٠٠٠ منهم ٧٢٠,٠٠٠ نسمة يقطنون أكبر عواصم أوروبا. ففي مدينة بودابست ١٦٦,٠٠٠ عبراني وفي فينا ١٤٩,٠٠٠ عبراني وفي لندن ١٢٠,٠٠٠ وفي برلين ٨٨,٠٠٠ وفي باريز ٧٥,٠٠٠ وفي القسطنطينية ٤٠,٠٠٠ وفي بخارست ٩,٦٠٠ وفي رومية ٧,٦٠٠ وفي كوبنهاغن ٣٥٠ وبطرسبرج عاصمة المملكة التي يعيش فيها نصف اليهود الموجودين في العالم أجمع يقطنها فقط ٢٨٠٠ عبراني.

وأما باقي العواصم ففي بروكسل ٢٠٠٠ وفي مدريد ٣٠٠ وفي أثينا ٣٠٠ وفي بسابون ٢٥٠.

ولم تدخل في هذا التقويم مدينة فارسافا عاصمة بولونيا قديماً ففيها وحدها ٢٠٠,٠٠٠ عبراني وأكثر المدن سكاناً من اليهود.

أما نيويورك فيقال أن فيها ٦٠٠,٠٠٠ عبراني فتأمل.

الأسر اليهودية في أوروبة:

في ألمانيا: اليهود اندفعوا إلى المانية من حوادث ديوان التفتيش في إسبانية وبقوا إلى آخر القرن السابع عشر لا حقّ لهم أن يسمُّوا عيالهم بل كانوا يقتصرون على اسم الشخص ووالده فقط أحياناً وهم أشبه بالأتراك بدون عيلة. ومنذ

أواخر القرن السابع عشر سمحت لهم الحكومة ببعض الحقوق منها استعمال أسماء للتلقيب بها فأنشأوا عيالاً خاصة منها:

بأسماء أعلام (أوپنهيم) أي ابن حاييم. وهذه الأسرة تنصرت كلها وهي الآن من اللاتين ومنها البارون أوبنهايم الأثري.

وأسماء زهور مثل (رُوزنفيلد) أي حقل الورود، و(بلُو مِنْفيلد) أي حقل الزهور.

وازداد عدد اليهود في ألمانية بعد حوادث البولشفيك من بولونية وروسية، هاجروا منهما إليها لاضطهادهم فزادوا النصف أي بعد أن كانوا مليوناً صاروا مليونين.

واليهود في ألمانية مثل السوريين بمصر لهم الصحافة والمحاماة والتجارة والصيرفة والمعامل. وذلك لكونهم ممنوعين من التجنُّد والقضاء في ألمانية.

واليهود يعتبرون النسب ولهم موظفون يبحثون عن أنسابهم مثل (نقيب الأشراف) عند المسلمين يبحث عن مراتبهم وهم طبقات ثلاث: الأرستوقراط، والديموقراط (البُورجْوَازِي) والعَمَلَة. والآن لتكثيرها عندهم شأن كبير. وطبقة العملة بعد الحرب لها الشأن المهمّ.

في بولونيه: نزح اليهود إلى بولونيه سنة ١٢٦٤م لما نابهم من الاضطهاد الشديد على سواحل البحر الأدرياتيكي. وقد رخص لهم بحرّية الإقامة في المملكة البولونية سنة ١٣٣٤م بأمر الملك كازمير الملقب بالكبير ملك بولونية الذي اشتهر بحبه للرعية وإصلاحاته ومشاريعه الكثيرة.

في القدس الشريف

الأسر القديمة فيها:

- **مِيُوحاس** (أي أصيل): شجرتهم من سيدنا داود (عليه السلام).
- **مزراحي** (المشرقي): من الأندلس جاؤوا سنة ١٥٠٠ على إثر طرد

اليهود منها والعرب سنة ١٤٩٢م إلى القدس وهم منسوبون إلى علماء اليهود القدماء [...] لهم بقية في الأستانة.

- **أليَاشار** (المستقيم) من الأندلس إلى صفد نحو سنة ١٧٠٠م ثم إلى القدس بعد نحو ١٠٠ سنة أي نحو سنة ١٨٠٠م.

- **التاجر**: من الأندلس من (تَاجِر) إلى صوفيه (بلغارية) على زمن الترك نحو سنة ١٦٠٠ م وبعد نحو ١٠٠ سنة أي نحو سنة ١٧٠٠م إلى القدس ولهم بقية مهمة في بلغارية الآن ومنهم العلامة سليمان أفندي التاجر[١] حاخامباشي دمشق الذي نقلنا عنه هذا. ومن القدس إلى مصر وهم مشهورون فيها.

- **نَابُون** أي الفهيم: جاؤوا من الأندلس في القرن السابع عشر للميلاد إلى القدس. ومنهم حاخامباشي في أدرنة والآستانة. ولهم بقايا فيهما (وأمّ جدّ آل التاجر منهم). ومن القدس نشأ (يوسف بك نابون) في باريس الآن أخذ امتيازين يافا والقدس، فبنو نابون في القدس، أدرنة والأستانة.

- **بَارُوخ**، بمعنى مبارك: سافروا إلى الأندلس منذ ٣٠٠ سنة وبعضهم إلى القدس وأدرنه.

- **گاگين**: نسبة إلى بلد في جزائر الغرب جاؤوا إلى الأستانة ثم إلى القدس... من ٢٠٠ سنة وهم شرفاء.

- **أبو العافية**: من الأندلس جاؤوا منذ ٤٠٠ سنة إلى الأستانة وأزمير والمانيا ولهم بقية فيها، ثم إلى القدس ودمشق وطبرية ومنهم حاخام باشي طبرية ودمشق.

الأسر اليهودية في القدس الشريف[١]

تابع أسر القدس الأصلية:

- **حَزَّان**: (عبراني بمعنى إمام) (ومنه الحازي عند العرب)... من الأندلس

(١) عن لسان الدكتور سليمان التاجر ٤ ك١ ١٩٢٥.

من مائتي سنة إلى إزمير ولها بقية فيها ومن أزمير إلى القدس وخليل الرحمن.

- **بَيْنِجيلْ** تحريف (باني كيل) بالعبرانية بمعنى (أبناء جيل واحد) أندلسية توطنت في صوفية (البلغار) ولها هناك بقية ومنها البعض إلى القدس ومن القدس إلى دمشق وبيروت.

- **أسر القدس قبل المهاجرة إلى الأندلس (إسبانيا) هي**: بنو **مرزوق**، بنو **طُبَّل**، بنو **القِيقي** وهي عبرانية بمعنى (المنتخب من سيدنا هارون). لا أهمية لها الآن إذ امتزجت ببقية العيال فيها.

- **عيال أخرى**: من الغرب، من فلسطين (طبرية والخليل)، من مصر، من روسية.

من سكان القدس حديثاً:

- **الكولونيل كِيش** رئيس البعثة الصهيونية. أصله من الأندلس ساكن الآن القدس. وتوطن أهله في هولندة ومنها ساروا إلى لندن ولهم بقية الآن في القدس. **المرحوم (اوسِيشْكن)** من أودسَّه (الرها) من أسرة مشهورة بالتواريخ وبالهندسة وبالعلوم. **ابنه ميناحم** (ناحوم) توطن في القدس وهو أحد رؤساء الصهيونية الملقب (بالرجل الحديدي).

الأسر اليهودية في دمشق (بلسان الحاخام الدكتور سليمان التاجر)

أسر قديمة في الشام قبل هجرة اليهود من إسبانية:

ـ **لِنيادو**: من حلب والشام سافروا إلى إسبانية ورجعوا بعد ديوان التفتيش بهذا الاسم ويجهل اسمهم القديم في الشام.

ـ **الصَفَدية**: أصلهم من صَفد ولهم تبعية فيها ومنهم الآن في: حلب ودمشق.

ـ **طرَّاب**: قديمها فيها.

ـ **هَرارِي** (أي الجبلي): أصلهم من لبنان وهم الآن في: حلب والقاهرة ودمشق (معتبرون).

ـ **لِزبونا**: ساروا من دمشق إلى الأندلس وعادوا بعد ديوان التفتيش منتسبين إلى مدينة لشبونة واسمهم القديم مجهول وهم الآن في: دمشق والقاهرة.

ـ **بنو ملاّخ**، أي ملاك. ساروا من دمشق إلى إسبانية وتُرجم هناك اسمهم (أنْجِل) بمعنى ملاك بالإسبانية. وبعد ديوان التفتيش جاؤوا إلى الأستانة ثم إلى دمشق. لهم شأن مهم وهم الآن في: الإسكندرية والأستانة.

الأسر اليهودية في دمشق (عن لسان الحاخام الدكتور سليمان التاجر ٤ ك١ سنة ١٩٢٥)

الذين ليسوا بوطنيين في دمشق أو جاؤوها من محلات مختلفة.

ـ **السَطَنبولي**: من إسبانية (الأندلس) من ديوان التفتيش إلى اسطنبول (الأستانة) ونسبوا إليها ولهم بقية فيها ـ ومنها إلى دمشق.

ـ **فارحي** (أي الزهور): الأصل من عكا قدماء فيها جاؤوا دمشق ثم سافروا إلى اسبانية ثم عادوا إلى عكّا وكانت الحكومة تعتمد عليهم ومنهم المعلم فارحي وحزقيال وحاييم في دواوين الحكومة والمحاسبات. وبقاياهم الآن هي في: دمشق ـ بيروت ـ مصر ـ تركيا (كثيرون) بلغاريا.

ومن سلالة حاييم في دمشق بنو فارحي ومنهم الآن كثيرون أشهرهم: يوسف أفندي فارحي، عضو البلدية وابن عمه أمين أفندي فارحي.

ومن دمشق (الدكتور هلال فارحي) مشهور، له مقالات بمجلة «المقتطف». ترجم الصلوات العبرانية بالعربية ووسع العبرانية بضم ألفاظ عربية إليها.

الأسر اليهودية (سنة ١٩٢٠)

- **ليزبونا**، من ليزبون في البرتغال.
- **هَرَاري**.
- **شِمْعايا** من اسبانية إلى الاستانة.

- **عُباده**.
- **الاسطنبولي** من الأستانة. منهم قناصل: **روفائيل** اسطنبولي في بيروت أصله من دمشق.
- **فارحي** قدماء في الشام لهم دار بباب واحد وهي سبع دور مهمة فروعها: مراد أبو عبدة فارحي، روفائيل فارحي.
- **طَوْطَح**.
- **لِنيَادو**، ربما من إسبانية.
- **سَاسُون** مهمون. منهم في: الهند، وجهات كثيرة.
- **مِزراحي** (بمعنى الشرق) من العجم. حديثون.
- **عَنْزَروت**، يهود من حلب.

الأسر اليهودية في بيروت (بلسان الدكتور سليمان التاجر في ٤ ك١ سنة ١٩٢٥)

هذه الأسر معظمها من لبنان ولا سيما دير القمر ولهذا يسمونهم (الديارنة) تركوها بعد حوادث ١٨٤١ و١٨٤٥ و١٨٦٠ إلى بيروت ومنهم الآن:

- **بنو زَيْتُوني**: في كل سورية.
- **خيّاط**: في صيدا ودمشق.
- **نِيْگري** (سُود): صيدا.
- **سُرُور**: دمشق وطرابلس وصيدا.
- **المَنّ**.
- **حاصباني** (من حاصبيا) في دمشق.
- **حنَّان** (الحنوّ).
- **دانا**: معناها بالعبرية (حكّام). و(دانا) بالفارسية بمعنى عالم. وهم قدماء

من الفرس. وهي في دمشق وصيدا.

- من المغرب بنو **بزيَانتي كُوهَان**، أصلها من جزائر المغرب، توجد الآن في بيروت وصيدا. - **خيَّاط** (بيروت، صيدا، اسكندرية)

- وطنيون قدماء فيها: **حَنَان**، **المَنّ**، دانا (حاييم دانا).

- من حلب: بنو **عَنْزَروت**، ومنها في الإسكندرية، عنزروت ابن يعقوب عزرا، وولده يوسف

- **فارحي** من دمشق، يوسف فارحي وكيل محل عنتروت.

- **الشطاح** من اسبانيا إلى الاستانة ثم إلى دمشق منذ مائتي سنة ثم إلى بيروت وهم فيها.

الأسر اليهودية في البادية

ذكرت مجلة (الطبيب) (عدد ١٠): ذكرت جريدة الكونفدنس (Convidence) الإنكليزية أن بعض الثقات من سمارا (بليدة بين معرة وبغداد) أخبروا عن قبيلة مؤلفة (من عشرة آلاف) من اليهود الرحّل موجودين في ما بين النهرين يتكلمون العبرانية سرًا والعربية بين العرب. وهم من سبط جاد الذين كانت مساكنهم في الأردن وقد آلوا على أنفسهم ألاً يعودوا إلى فلسطين حتى يجيء مسيًا (أي المسيح). وإذا صحت الرواية، كان ذلك من غرائب الحوادث التاريخية (اهـ).

الأسر اليهودية في بغداد

- **بنو يعقوب**: أصل الأسرة بنو الجراح من همذان في العجم. كان جدهم يعقوب طبيباً وله أقارب هناك. فجاء بغداد على إثر ثورات وطبّب واشتهر باسمه. وزوجة يعقوب هي مريم خان [...] ناصر الدين شاه فلقبها [...] من آل الجواهري.

أولاد يعقوب:

- **الدكتور أفلاطون**، صديقنا. عرفته بلوكندة الناسيونال في بيروت سنة ١٩٣٨. وزارني في آب سنة ١٩٤٤ بزحلة. درس في مدرسة الأميركان بهمذان ثم في لندن وأخذ شهادته. ولد سنة ١٨٩٤ وله ابنتان ليلى ونور.

- **عزيز**: صاحب معمل نسج أول من نوعه في العراق. وأولاده: موريس وهيلانة.

- **كرجي** (نسبة إلى الكرج للحسن): تاجر في السودان.

- **منشّى**: دكتور طبي، تلميذ لوزان في سويسرة.

- **إبراهيم**.

- **نعيم**: مهندس ملكي.

فهرس الأسماء

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

فهرس الأماكن